غداً عيد

غداً

يطل عيد ، ويولد عام جديد .

وبالرغم من تكرر هذا الحدث كل عام ، منذ الفي سنة ، فانه لم يفقد معناه كمناسبة للبهجة في هذا العالم الدامي ، وكنقطة انطلاق دوري للانسان على طريقه الطويل في معارج الرقي .

هذا الميلاد ، لا يعني فقط تمجيدا لذكرى مولد ((الانسان المعجزة)) ولا تكريما للبادرة الالهية بفداء بني الانسان .

هذا العيد ، والعيد الذي يليه احتفالا بالعام الجديد يعبران قبل كل شيء عن ارادة الانسانية في التجدد الدائم برغم كل عوامل الهرم والفناء التي تهددها من كل جانب . انهما مظهران لانتصار الشوق الانساني للعافية والعطاء والفرح والرجاء .

هذا العيد ، وكل الاعياد المماثلة ، ان هي الا كوى تفتح على الامل بمستقبل افضل وانتفاضة الانسان على القدر الغاشم الذي يلاحقه بالف قناع من الموت البطيء او العنيف .

غدا يحتفل الناس ، كل الناس ، الحمر والبيض والصفر والسود ، المتشردون والمرضى والعجز والاطفال ، بمولد الذي لاقى العذاب والاضطهاد والموت في سبيل المجتمع الذي اراد أن يحرره من الطغاة بتعاليم المحبة والرحمة والمساواة ، والذي عرف كيف يموت في سبيل الاخرين وعلم كيف يكون بعث الحياة المتجددة من بين الرماد .

وغدا تتحرك فكرة البعث هذه في خاطر كل انسان ، فيلملم انقاض نفسه التي يطحنها الجهد اليومي وراء العيش ، ويقف بها على عتبة العام الجديد مستطلعا وراء حجاب الغيب عن أمل جديد له ولمجتمعه .

غدا يلج العيد كل بيت ويتملك كل قلب جنون الرغبة في أن يفتح نوافذه للضياء ، وان ينطلق في فرح الفناء .

غدا يهادن الانسان اقداره ساعة أو يوما أو اسبوعا لعله يستجمع قوى جديدة لمناجزتها بعزم أقوى .

وغدا يستسلم كل انسان للذة العودة الى حالة الطفولة . فيضع على وجهه القناع السحري الذي يريه لساعة او ليوم او لاسبوع اشراق السنى وشفافية الماس في كل الاشياء والكلمات والوجوه .

ولسوف يؤمن كل امريء بالحدث الخارق ويستجيب له ، فيترقب تحقق معجزة البعث ، بل انه سوف يعمل على بعث المعجزة التي مات لاجلها الملايين من الناس : تقريب الانسانية من السعادة .

ولسوف يوهم نفسه انه يعمل على اسعاد الناس الآخرين فيوزع الهدايا والتحيات والبسمات على من يحب ومن لا يحب .

انه سوف يشعر بامتداد نفسه الى أبعد من حدود نفسه ، فتصل شرايين خفية بين قلبه وقلوب الآخرين وتسقط التخوم والجدران بين ذاته واهل هذا العالم الكبير .

ولكن ، ألا نجد في كل هذه الصفات التي تدور عليها معاني العيد ، ملامح الخلق الادبي ومعالم الحالة الانسانية التي تسبق كل صنيع فني ؟

بلى . فان من الصفات المشتركة بين روحية العيد ، والاستعداد للخلق الادبي والفني ما يكاد يحملني على الاعتقاد بان المشاركة في الاعياد ، كما في الفن ليست الا بعض وجوه النشاط الجمالي ، المتاصل في الانسان .

فهل بين القوى التي يصدر عنها الفنان والاديب ، ما هو أبرز من استعدادهما الدائم للدهشة امام مظاهر هذا العالم الفسيح ومن قدرتهما على اكتشاف الحدث الحادث الخارق في اكثر الحوادث تفاهة وابتذالا ؟

وهل بين الملامح التي تميز الفنان والاديب ما هو أشد فعالية من شفافيتهما لاصداء الاشياء والاحداث واضوائها ، ومن شحنات الفرح والهناء التي يتهيا لهما خزنها في نفسيهما قبل نقلها للقراء عبر آثارهما ؟

وأي أثر أدبي أو فني يعدو أن يكون ، في طبيعته ومرماه ، وسيلة لاسعاد الانسان بقدر ما هي طبيعة هدايا الاعياد وحرارة البسمات والايدي عند اللقاء ؟

وهل كان يقدر لأثر أدبي أو فني ان يولد لو لم يستجب صاحبه لنداء حاجة ملحة تدفعه الى ان يتصل باخوانه بني الانسان عبر الكلمة او النغمة الفريدة والى ان يوسع حدود نفسه بوساطة اداة جميلة او فذة للتخاطب؟

أي صنيع ادبي أو فني لا يصدر عن الحاجة للتعاطي والتهادي أو عن دافع الامتداد الى أبعد حدود المجتمع والكون ؟

وبعد ، أليس في هذا ما يكفي لان نقول انه ، اذا كان الخلق الفني والادبي تعبيرا واعيا ومستمرا للحاسة الفنية والجمالية عند الانسان ، فان المشاركة بالاعياد ليست الا تعبيرا عفويا وتحركا عابرا لهذه الحاسة .

وقد يكون العيد سمي عيدا لما يتضمن من وعود .

ولكن أي أدب أو أي فن يخلو من كونه مواسم وعود ومواعيد للقلب والروح والعقل ؟

علي سعد

مقالة الشباب

بقلم الدكتور جميل صليبا

*

اذا ذكر الشباب ذكر معه الامل ، والاعتزاز بالنفس ، والاباء والاقدام ، والايثار والبطولة . فسن الشباب هي سن المبالغة في كل شيء ، لا بل هي سن الايمان والاخلاص والطموح والتفاؤل . ولو اتيح لاحد المصورين ان يصور الشباب لصوره باسما ناضرا صاحبا شائقا ، يفيض الحب من عينيه ، والاطمئنان من وجهه ، ولرسم وراءه افقا صاحيا يتلألأ فيه النور ، ولخط امامه ارضا سندسية تنبت فيها الازهار الجميلة ، والخمائل الوارفة ولراى كل انسان في هذه الصورة الجميلة آية رائعة تنعش القلب ، وتبعث النشاط في النفس .

ولكن هذه الصورة الجميلة لا تنطبق تمام الانطباق على الواقع ، لان الكثيرين من شبابنا قد قلبوا ايمانهم الى شك وتفاؤلهم الى تشاؤم ، واطمئنانهم الى قلق واضطراب واملهم الى يأس وفتور ، وصدقهم الى تمويه . تمر بهم الايام كما تمر الاحلام ، حاجاتهم ثقيلة ، ونفوسهم ضيقة يحبون اللذات الرخيصة والعمل السهل ، ويفضلون اللهو على الانتاج ، والعبث على الاقدام ، والراحة على المشقة ومن صفاتهم انهم لا يعدون للمستقبل عدته ، ولا يطمحون الى ما هو اسمى من الواقع ، بل يقنعون بما ادركوه من الكمال النسبي ، ويرغبون في المنفعة التافهة ، ويعرضون عن النجاح الصادق والانتصار النهائي الدائم .

ولو اراد الان احد المصورين ان يصور لنا هذا الشباب الواقعي لصوره عابسا قاتما ، حالما عابثا ، ولرسم في وجهه جبهة مجعدة ، وحاجبين مقوسين ، وعينين غائرتين ينبعث منهما الشك والفتور واليأس .

فليت شعري ما دهى الشباب حتى امسى مكفهر الوجه ، هزيل الجسم ، قليل الايمان بنفسه . كثير الحيرة والتردد ! اهي الهزات العنيفة التي حلت ببلاده خلال هذه الاعوام الاخيرة ، ام هي ظلمات المستقبل ، ام هي سرعة التطور ، واضطراب العالم باسره بعد الحرب العالمية الاخيرة ؟ قد يكون لهذه الاسباب اثرها البالغ العميق في اضطراب الشباب الفكري والخلقي والجسمي ، وقد يكون هناك اسباب اخرى نعرفها او لا نعرفها ، ولكن هذه الاسباب مهما تنوعت لا تسوغ ساعة واحدة من ساعات التشاؤم ، ولا دقيقة واحدة من دقائق الحيرة والشك . ان الشباب رمز النشاط والقوة ، من شرائعه الايمان بالمستقبل ، والسمو الى المثل الاعلى ، وتفضيل الحياة الروحية على الحياة الحرية والابداع ، وتفضيل الحياة الروحية على الحياة المادية . فعلى كل شاب ان يأخذ على نفسه عهدا يحفظه ويرعاه كالعهد الذي اخذه الشبان على انفسهم في اول كل ثورة ، وفي بداية كل بعثة ، وفي فجر كل نهضة . وانا اسميه الان عهد البطولة ، فاذا حفظه الشاب ورعاه وجد فيه الضمان والامان لنفسه ، والسعادة والقوة والمجد لامته .

فاول امر يجب ان يتعهده الشبان هو صيانة شبابهم من العبث ، ووقايته من المرض ، وحفظه من الفساد الخلقي والضلال الفكري ، لان الشباب اقدس ايام الحياة واثمنها ومن اضاع ربيع حياته في اللهو لم يجن في خريفها الا المرارة واليأس . ومن شب على الفوضى والتردد عاش دهره قلقا مضطربا . فليأخذ كل شاب على نفسه عهدا صادقا وليعزم على حفظ شبابه وصيانته من العبث والتواني والتردد .

والامر الثاني الذي يجب ان يتعهده الشاب هو التفاؤل . ان الاصلاح الاجتماعي والاحياء القومي لا يتحققان الا اذا اعتقد الانسان ان الحياة جديرة بان تحب ، وان الخير يجب ان يتغلب فيها على الشر . وهذا يقتضي ان يكون للانسان مثل اعلى يتطلع اليه ، وغاية يسمو اليها . ومن فقد هذه الغايات المثالية كان شبيها بالحيوان ، لا يفكر الا في طعامه وشرابه ، فليقل كل شاب في نفسه ان الحياة ليست بجميلة ، اذا لم تكن كاملة ، وان التفاؤل بالخير يوصل الى الخير ، وان التشاؤم مرض اجتماعي يجب ان تستاصل شأفته من نفوس جميع الناس .

والعهد الثالث الذي يجب على الشاب ان يأخذه على نفسه هو البحث عن الحقيقة . ان الحقائق يجب ان تذاع بين جميع الناس ، ومن الخطأ ان يضن بها على غير اهلها ، بل الناس جميعا اهل لتلقى الحقيقة ، جديرون بالبحث عنها . فلو كانت لنا جميع الحقائق وكان علينا ان نكتمها لفضلنا الجهل على العلم والضلال على الحق . والحق اسمى من الصداقة والمنفعة ، لا بل هو اولى بالمحبة من اي شيء آخر . فليقل كل شاب في نفسه ان الحقيقة ليست ملكا لاحد ، وان من حق جميع الناس ان يدركوها وليعملوا على اظهارها ونشرها .

والعهد الرابع الذي يجب على الشاب ان يخلص له هو

الايمان بالعلم والصناعة ونعني بالعلم العلم الوضعي ماديا كان او روحيا ، وبالصناعة تطبيقات العلم ومـــا ادت اليـــه مـــن الاختراع والانتاج . ان خلو بلادنـا اليوم من العلمـاء المبدعين والمخترعين الحاذقين في مختلف الفنون والصناعات لا يرجع الى نقص في استعدادنا او عجز في طبائعنا ، بل يرجع الى اسباب اجتماعية مرقتة ، ولو توفرت لعلمائنـا الاسباب التي توفرت لعلماء الغرب لما قلوا عنهم ابداعـا ، فليعمل كل شاب من شبابنا على اتقان علم من العلوم او صناعة من الصناعات ، وليؤمن بروح الاختراع ، ان خير وسيلة لتحرير اوطاننا من العوز والفقر هي الاختصاص والابـــداع .

والامر الخامس الذي يجب على الشاب ان يتعهده هو الثبات في العمل . ان روح الحماسة لا تأتي بالنتـــائج المطلوبة الا اذا كانت منظمة ، وان شبابنـا الممتلئين حماسة وخيالا لا يبلغون غايتهم الا اذا دابوا على اعمالهم في صبر وثبـات . واي فائدة ترجى ، بل اي خير يؤمل من شاب لا يثابر على عمله ولا يجني ثمرات مواهبه . ان لهيـــب الشوك السريع الزوال لا يدفيء ، والحماسة التي لا تدوم لا تنتج شيئا ، لا بل ان القليل من الجهد المنظم يغني عن الكثير من الحمـاسة المبددة . فلينتخب كل شاب لنفسه هدفـا في الحياة ، وليأخذ بجميع الوسائل المؤدية اليـه . ان العقبات التي ستعترض سبيله لن تزيده الا حماسة وقوة وايمانا .

والامر السادس الذي يجب على الشاب ان يتعهده هو محبة النظـام . ان الانسان اذا سار على غير نظـام لم يبلغ غايته ولم يصل الى نهايته . ومتى غلبت الفوضى على الامم ساقتها الى الانقراض ، بل المرء يبلغ بالنظـــام ما لا يبلغه غيره بالقوة والبطولة ، لان النظام يوفر عليه كثيرا من الجهد، وكثيرا من الوقت ، ويوصله الى ما يريد ويسهل عليه اتقان عمله . فليقل كل شاب في نفسه ان النظام شرط اساسي للنجاح ، وليأخذ على نفسه عهدا بان يحفظ النظام ويصونه ويمنع غيره من الاخلال به .

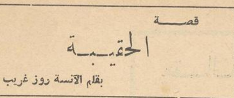
والعهد السابع الذي يجب على الشاب ان يأخـذه على نفسه هو الاخلاص للوطن والقيام بما يفرضه عليـه القانون من واجبات مدنية وخدمات اجتماعية وتعاونية . وغاية ذلك تحقيق العدل الاجتماعي في جميـــع مرافق الحياة . ان روح التعاون لا تظهر عند النكبات فحسب ، بل تظهر في كل وقت . وقد يكون اثرها في زمن السلم ابعد مدى منه في ايام الحرب . فليقل كل شاب في نفسه لقد مات كثير من شبابنا في سبيل الدفاع عن الوطـن ، وليصغ الى اصوات الشهداء التي تناديه في ظلمات الليل قائلة ان بناء المستقبل لا يتم الا باستخراج ثمرات الارض وتحسين الانتاج الطبيعي والبشري وتحقيق العـــدل الاجتماعي .

والعهد الاخير الذي يجب على كل شاب ان يأخذه على نفسه هو الايمان بالعروبة واعني بالعروبة العبقرية الخاصة التي تميزنا عن غيرنا من الامم . وهي تقتضي المحافظة على تراثنا العلمي والادبي كما تقتضي العمل على تنحية هذا التراث واغنائه بالعناصر الانسانية الجديدة . لقد حمـل العرب في ماضيهم رسالة خالدة كان لها اعظـــم الاثر في توجيه الانسانية ، وعليهم منذ الان ان يعملوا على احتلال المكان اللائق بهم بين الامم ، وهذا كله يقتضي حفظ القيم الماضية وخلق القيم الجديدة ، ان العروبة ليست عصبيـة عمياء ولا هي سياسة سلبية مبنية على الانانية والبغضاء بل هي عقيدة وطنية مفعمة بالحب والايمان ، فليقل كل شاب في نفسه ان العروبة فلسفة وطنية وانسانية معـا ، وان الاخلاص لفكرتها واجب قومي مقدس .

هذا هو العهد الذي ندعو شبابنا الى الاخذ به ، وفيه كما ترون فضل وجود ، وكرم وعدل ، وايمان وعلم ، وخير ومحبة ، ونظام ، وحرية ، وابداع .

فلنحرر اذن انفسنا من التشاؤم ، ولنصن شبابنا من العبث ، ولنحب النظام والعدل والانسانية والتقـــدم ولنصبح كلنا كتلة واحدة . فقد آن لنا ان نصل الى المنهل الروي ، وان نسير في طريق التقدم والابداع لبلوغ سدرة المنتهى ، وان نقول مع شبان جميع الامم : ان المستقبل لنـا .

دمشق — جميل صليبا



قصة
الحقيبة
بقلم الآنسة روز غريب

✳

كان اليوم صافيا ، مشرقا ، يشيع في النـاس الدفء والبهجة . لكنها لم تجد فرقا بين هذا اليوم وغيره . فايامها — هي — واحدة — في رتابتها وقتومها . ولا تذكر في حياتها الماضية اياما مشرقة كالتي تطبع على وجوه غيرها مـــن الفتيات ابتسامة الامل والرضى .

لقد انتهت الى الاعتقاد بان ليس في الحياة سعادة واطمانت الى آراء الكثيرين من الكتاب والمفكرين الذين جاهروا بان السعادة وهم وخيال فوجدت في اقوالهم عزاء . .

اتراها احكم منهم واكثر تجربة ؟

السيارة تنساب بها حثيثا على الطريق المعبد الـذي يحاذي الشاطيء الجميل . ونسيم الصباح يسفع وجهها ويداعب شعرها . لكنها لا تشعر به ولا تحفل بما حولهـا من مظاهر نشاط او سكون . بجانبها في السيارة رجـلان

قد غرقا في صمت عميق كأنهما اخذا بسحر هذا الصباح وجلاله . لكنها لم تلتفت اليهما ، بل اغمضت عينيها واستسلمت لافكارها ، لعالمها الداخلي ، كأنها تود ان تقيم حجابا بينها وبين الناس .

وما يعنيها من امر هؤلاء الناس ؟ فهي منذ طفولتها لم تكن بينهم الا غريبة . لماذا ؟.. لماذا ؟ طالما سألت نفسها هذا السؤال . منذ اخذت تلاحظ الاشياء حولها ، احست بهذه الغربة واختبرتها حتى صارت عندها شيئا مألوفا . عاشت غريبة في بيت والديها ، لانهما لم يعيراها اي اهتمام، فهي واحدة من خمسة اولاد ، بنتين وثلاثة صبيان . واي شأن لبنت عادية الشكل في اسرة فقيرة كثيرة العدد

ومع هذا ، كانت تقوم في البيت باشق الاعمال وتتعب لاجل والديها واخوتها ، من غير ان تنتظر منهم كلمة عطف او شكر . فقد قيل لها انها مدينة لهم بوجودها ومهما فعلت لاجلهم ستظل عاجزة عن مكافأتهم ... كان ذلك عهد ومضى .. انها اليوم تسخر من هذه الاقوال ولا تجد في الوجود الذي منحاها اياه نعمة تستحق الشكر .

على انها في علاقاتها مع الناس لم تكن اسعد حظا . كان عملها في التطريز مدة سنة شبيها بالسخرة وكان ابوها يقبض اجرتها في آخر كل شهر ، نصف ليرة عن كل يوم شغل . ثم قيض لها دخول مدرسة تعمل فيها اكثر الوقت في التطريز ورفء الثياب وتدرس في ما بقي منه . ومع هذا استطاعت ان تبرع في الحساب وان تحذق الفرنسية في ذلك المحيط المستغرب حتى كلفتها صاحبة المدرسة تعليم بعض الاولاد في اوقات فراغها . كل هذا بدون مقابل. فرضيت ولم تقل شيئا لانها وجدت لذة في المسؤولية . اخيرا سلمتها احد الصفوف الاولية مقابل اجرة لا تساوي اجرة واحدة من الخادمات ورضيت الفتاة لانها ما تعودت قبل هذا ان تفكر في الاجرة بل كان عملها حتى الان بذلا وخدمة وعطاء سمحا . واكبت على عملها بحماسة الفتوة واندفاعها مدة سنتين متواليتين جمعت فيهما مقدارا زهيدا من المال دفعته الى ابيها بعد ان قترت على نفسها في شراء الكسوة وسواها من اشياء .

وفي بعض زياراتها لبيروت لمشترى حاجاتها لقيت احدى المعلمات في مدرسة هناك ، فبدأ بينهما عهد صداقة ادى الى انتقالها من مدرستها القروية الى مدرسة هذه الفتاة ، لان المديرة رضيت بان تعطيها راتبا يساوي ضعف ما كانت تتناوله في المدرسة الاولى . فادركت المسكينة ان تلك المديرة الاولى كانت تستثمرها بغير علمها . لكن عملها الجديد انساها الغبن القديم . وشعرت انها مدينة لتلك الصديقة ولمديرتها الجديدة التي انقذتها من الغبن والاستثمار فراحت تعمل دائبة جاهدة سنة بعد سنة ، والايام لا تزيدها الا تعلقا بصاحبتها ومديرتها . حتى عرفت يوما من احدى معلمات المدرسة ان الاجرة التي تتناولها هي نصف ما تتقاضاه المعلمات اللواتي يقمن بمثل عملها ولا يفقنها في المستوى الثقافي . ففهمت انها وضعت ثقتها في اناس غير جديرين بالثقة ، وعرفت ان صديقتها قد خانتها وعبثت بها . وحين جاءت البيت آخر مرة لقضاء عطلة العيد ، دخلته وفي نفسها لهفة وحنين . وامل بان تجد هناك بعض الراحة او بعض العزاء كأنها نسيت الماضي . نسيت انها ما اقامت هناك بعض ايام العطلة الا تاقت الى انتهائها وغادرت البيت قبل انتهائها . وها هي الان تعود ولما تنته العطلة . تعود وفي نفسها خيبة جديدة وامل محطم ... لقد وعد ابوها بان لا يمس شيئا من معاشها الجديد في المدرسة الجديدة ، بان يبقي دراهمها في الخزانة حيث تركتها ملفوفة في المحفظة الصغيرة ، وها هو يخلف بوعده فيمد يده الى المال ولا يبقي على شيء منه، زاعما انه احتاج اليه من اجل اخوتها ومن اجل تجارته . طبعا لم يجد حرجا في خلق الاعذار . اما هي فلم تنبس ببنت شفة بل قامت في الصباح الباكر كعادتها وجمعت اشياءها وثيابها وكل ما كانت قد تركته في البيت . ووضعت كل ذلك في حقيبتها الجلدية الضخمة . واضافت اليها رواتب الاشهر الثلاثة الاخيرة ، وهي كل ما تبقى لها من عمل خمس سنوات او اكثر . جعلت هذا المبلغ في المحفظة الصغيرة التي وجدتها فارغة في الخزانة ، ثم ادخلت المحفظة في احد جيوب الحقيبة التي وضعها السائق في صندوق السيارة . هذه الحقيبة .. هي كل ما بقي لها في الوجود .

وحانت منها التفاتة الى الوراء كأنها تريد الوثوق من ان الصندوق ما يزال محكم الاغلاق وان حقيبتها ما تزال في مكانها ، لم يصبها شيء . لكن ، في هذه اللحظة عينها ، وقفت السيارة وتحرك الركاب للنزول لقد بلغت بيروت من غير ان تشعر بمرور الوقت . ونهضت من مكانها كأنها تستيقظ من حلم مزعج. وفركت جبينها تحاول ان تستعيد وعيها كاملا . واذا بالسائق ينزل حقيبتها الكبيرة فيرميها على الرصيف الضيق ويطلق لسيارته العنان وهو لا يلوي على شيء .

كان الرصيف مزدحما بالمارة والباعة . فوقفت الفتاة مرتبكة ويدها على الحقيبة ثم تطلعت حولها تبحث عن عتال ، فظهر لها على بضعة امتار من مكانها عدد من العتالين مجتمعين حول سيارة شحن هائلة الحجم . فاشارت الى واحد منهم وكان شيخا ابيض الشعر اعمش العينين يرتدي الاسمال ...

ـ تعال من فضلك احمل لي هذه الشنتة الى ترام البرج . ساطلع واياك في الترام وادفع عنك الاجرة الى محطة غراهام .

ومشيا وسط الزحام . وما بلغا ساحة البرج حتى ابصرا الترام قادما فصاحت الفتاة :

ـ هيا. تعال. لنصعد بسرعة قبل ان يمشي الترام.

وخيل لها انه صعد بين الصاعدين ، الهاجمين على الترام هجوم الذئاب على الفريسة ، فشقت لنفسها طريقا

بينهم وصعدت واخذت تتلفت باحثة عن العتال فلم تقف له على اثر وتابعت البحث والتفرس بعينيها الحادتين ، وما ان اكدت انه لم يكن في الحافلة حتى اندفعت خارجا وهي تشق طريقها مرة اخرى ورمت بنفسها الى الشارع والحافلة تتحرك للمسير واخذت تتفرس في وجوه الواقفين والمارين على الرصيف وفي كل مكان ، فلم تجد بينهم العتال . فتسارعت نبضات قلبها واحست بدوار يكاد يصرعها ارضا . لكنها تمالكت واخذت تركض كالمجنونة نحو مخفر البرج ولا تدري كيف قصت حكايتها على الشرطي . ولما رات منه برودة واستخفافا اخذت تتوسل اليه بان يصحبها للتفتيش عن العتال .

فهز الشرطي راسه واخذ يسالها :

ـ هل تعرفين اسمه ؟

ـ لا .

ـ هل تعرفين رقمه ؟

ـ لا .

ـ اذن ماذا تريدين ان اعمل ؟

ولما رآها تهم بالبكاء مشى معها الى حيث كان العتال الذي ذهب بحقيبتها فلم تجد من رفاقه الا واحدا لم يستطع افادتها بشيء . وفي هذه الاثناء توارى الشرطي عائدا الى مكان عمله ، ومشت هي وحدها كسيرة الفؤاد ، فارغة اليدين . في يوم واحد اضاعت كل ما بقي لها من مال ومتاع . ولو بقي لها احد تثق به او تشكو اليه لهان الامر ، لكنها فقدت ثقتها في اقرب الناس اليها ، فلا عجب ان يسرقها هذا العتال الغريب ويهرب بحقيبتها . وصعدت حافلة الترام متثاقلة تكاد تتساقط اعياء ويأسا . وتهالكت على احد المقاعد . وحين صرخ قاطع التذاكر : « محطة غراهام » قفزت كمن لذعته جمرة . ولكن ما بلغت الرصيف حتى جمدت في مكانها كالمصعوقة . لقد كان العتال الاشيب الاعمش العينين جالسا على حجر هناك ينتظرها وبجانبه حقيبتها الضخمة .

وطفر الدمع من عينيها فلم تستطع الكلام في بادىء الامر . ثم تقدمت منه وقالت :

ـ ماذا حدث ؟ وكيف وصلت الى هنا ؟

فقال بصوته الذي تمازجه بحة الكبر : رأيت حافلة الامام مكتظة بالركاب فصعدت في حافلة الوراء ونزلت عند محطة غراهام كما قلت . وما زلت منتظرا . . .

لم تعرف كيف تعبر لهذا الرجل عن شكرها وتأثرها . وبحركة عفوية اقبلت عليه كأنها تود تقبيله لكنها احجمت . وفتحت جزدانها الصغير واعطته كل ما وجدت فيه من قطع نقدية صغيرة بين ليرات وانصاف ليرات وارباع وعشرات غروش . وكان بين امتعتها رزمة وضعت فيها عددا من الارغفة وقطع الحلوى والفواكه اشترتها من دكان القرية فدفعت اليه بالرزمة وبكل ما فيها .

واذا بصوت ينادي : عبد ، يا عبد !

النزعة الاصيلة في فلسفة ديووي

بقلم صلاح الدين المحايري

*



تسارى الى العالم منذ اسابيع نبأ وفاة الفيلسوف الاميركي الكبير جون ديووي وهو حكيم اميركا الفذ ومن المع اقطاب التربية في العالم كله . وفلسفة الذرائع او الوسائل التي رسم خطوطها ووضع منهجها مستوحاة من روح الحضارة الاميركية الحديثة وهي حضارة ناشئة ترتكز الى العمل والتطبيق والتجربة واستثمار مكتشفات العلم وخيرات النظام الآلي والاندماج في البيئة الطبيعية والتكيف وفقا لنواميسها من جهة ومحاولة تذليلها وتخضيد شوكتها من جهة اخرى لتصبح طيعة رضية تتحول فيها احلام الانسان الشاردة ـ وراء الآفاق القصية وآماله السارية في آماد التخيل البعيد الى حقائق ماثلة ووقائع ملموسة تحقق الوهيته على سطح هذا الكوكب الصغير .

لقد كان الصراع ولا يزال محتدما بين نزعتين فلسفيتين متنافرتين تعل اولاهما من المناهل الرومانيكية التي تحفل بالرؤى والاخيلة الاثرية وتصدر عن بدوات الحدس واوهام الغيب فتعمل على استبدال التعاليم والمصطلحات اللاهوتية بمجردات ومقولات غيبية تستمد نسغها من جذور هذه التعاليم والمصطلحات نفسها . وترتكز النزعة الثانية الى المبادىء الحسية او الواقعية الخاضعة للتجارب التفصيلية والمشاهدة العيانية . فاذا آتت الاولى اكلها بمناهج عقلية متسقة ومذاهب فلسفية شامخة يشيع الانسجام في مخططاتها الظاهرة وتتحلى مصوراتها بالجمال والجلال ففي تضاعيفها تنطوي اساطير الاولين واوهام القرون . ـ ولعلها تؤثر عيون الخفافيش فتظل سادرة في رؤاها الجميلة المخدرة لئلا يخطف برق الحقائق الواقعية ابصارها . اما النزعة الثانية التي تتمسك باهداب الاختبار والمشاهدة فهي تهدف الى مسايرة العلم ومحاكاته ـ والانسياق في تيار التطور المتسارع وتحويل انظار الفلاسفة من السماء القصية الى الارض والمجتمع والوطن والبشرية جمعاء والمساهمة في ايجاد الحلول لردم الهوة الفاصلة بين التقدم الآلي والتخلف النفساني .

فالتفتت ورات عتالا يقف في الجانب الاخر من الشارع ويردد مخاطبا الذي بجانبها :

ـ عبد يا عبد . ايها الابله . اين كنت مختفيا هذا الصباح ؟ لقد سال عنك الخواجا محسن عدة مرار لنقل الاكياس . اين كنت ايها المغفل ؟ . .

روز غريب

وديووي هو في طليعة اولئك الفلاسفة الذين يرتوون من موارد الاختبار وحقائق المشاهدة وقد جعل الحياة اليومية في مختلف وجوهها الثقافية محور فلسفته وتأملاته المجال للتبسط في شرح فلسفته والافاضة في آرائه التربوية ولكنني ساجتزىء بقبس يهديني الى وصف نزعته الاصيلة الرئيسية في البحث الكامنة وراء هذه الآراء – والنظريات جميعا .

يحسب البعض ان مهمة الفيلسوف استخدام طلاسم السحرة وشعوذة الحواة واستثمار وسائلهم الخفية لتفسير الكون وتعليل ماهياته في مذهب متسق الخطوط متناغم الاقيسة متراك المقدمات والنتائج غير ان ظنونهم ستتلاشى وآمالهم ستخب حين يطلعون على فلسفة ديووي وآرائه الكثيرة المتنوعة . فالعالم الذي يتوفر على اكتناه اسراره وتفهم احاجيه وقوانينه هو عالم التجربة المشتركة الذي نحياه جميعا هذه الشؤون اليومية التي نعالجها ونندفع في غمرتها وليس التوفر على اكتشاف القوانين الشاملة التي تنتظم الحياة اليومية والتجارب المشتركة الواقعية بدعا طريفا في الفلسفة والتفلسف فقد نحا هذا النحو القويم في الماضي فلاسفة افذاذ واعون واضطر لاحتذاء سننهم واقتفاء بعض خطواتهم آخرون بالرغم من المقاصد المجنحة والاماني الابية البعيدة التي اترعت بها نفوسهم ، فهم بشر اسوياء ولا بد لاعناقهم المتطلعة الى عالم فكري اثيري آخر واخمص اقدامهم المرتفعة المشوقة لتخطي الطبيعة المائلة من شروع اولا في درس الارض الثابتة وتفهم قوانينها ولكن فلسفة ديووي التي تشمل سائر حقول الثقافة بكر الهامة متذرعة في بواكيرها وخواتيمها بدنيا الحوادث اليومية الجارية هي حدث فريد في تاريخ الفكر البشري

لا جرم ان فلسفة ديووي كغيرها من الفلسفات ترتكز الى البرهان والاقيسة والحجاج المنطقي ، ولا غرابة في ذلك فالفلسفة برهان او حجاج طويل مديد الاطراف باسق الفروع ولكن العالم الذي ينقر ديووي في اطرافه ويحاول كشف خفاياه ليس عالما ذاتيا متولدا من هذه الحجج والبراهين التي دارت في خلده ، فهي ترتكز الى التجربة في عالم الواقع وينتظم عقدها في نطاق الاختبار الحسي . وهذا المبدأ الذي يدعوه فيلسوفنا بالمبدأ التجريبي في الفلسفة او المنهج الاختباري العلمي . وينطوي العلم على براهين وحجج كثيرة متنوعة ولكن الكلمة الاخيرة فيه للظواهر والمشاهدات والاختبارات التي يسجلها العالم في مختبره يصطنعه لنفسه ويزوده بالاجهزة المعقدة الدقيقة او في كنف هذه الطبيعة الفسيحة التي تتحول صخورها وكواكبها وخلائقها وظواهرها جميعا الى مسرح لمشاهداته وآرائه . ولا يستطيع العالم مهما يكن رياضيا او نظريا يقدس النظر ويؤثر التجريد انكار هذه الحقائق الاولية الا وسخرية العلماء والفلاسفة المعاصرين انفسهم

وليصبح طريدا من حرم العلم المقدس .

ولكن ثمة فلاسفة كثيرين لا يزالون على قيد الحياة يشيحون ابصارهم عن المشاهدة ويزدرون الاختبار ولا يقيمون لهما عهدا في نظرياتهم واقيستهم . واذا كانت التجارب العملية ضرورة محتمة لاختبار النظريات العلمية والتثبت من صحتها فهي في نظرهم نوافل توافه لا تستطيبها النظريات والمناهج الفلسفية . ففي الابراج المشيدة التي يقيم فيها هؤلاء الحكماء وينعمون في ظلالها بهناءة التخيل بعيدا عن جلبة الحياة وحركتها وديمومتها يتمثل النظر او التجريد في ابصارهم صنما جليلا متجلببا بجلباب القداسة منطويا على ذاته مكتفيا بنفسه لا يطيب على التطبيق والعمل والاختبار . وللنظر ، في رأيهم ، اساليبه المعصومة عن الخطأ في تقرير الحقيقة وتثبيت اركانها وهي اساليب قدسية لا تشوبها شوائب التجارب الواقعية .

اما النظر في الفلسفة – في راي ديووي – فهو كالنظر في العلم لا يتمتع بامتياز يعفيه من موازين التطبيق ومعايير الاختبار . والفلاسفة كالعلماء برئوا بادمغة متماثلة ونسجوا بخيوط متشابهة فهم جميعا نتاج التطور الارضي المبدع . ومن خرق الوهم والتواء الظن ان يحسب الفلاسفة انفسهم مزودين بقوى خارقة تمكنهم من ارتياد مجاهل خصيصة في صميم الوجود واجتلاء حقائق معينة من حقائق المعرفة الشاملة ، ممتنعة على عقول غيرهم من ابناء الفناء . فليس ثمة مناطق منفردة في كنف الوجود وظلال الواقع يلجها الفيلسوف بجواز فلسفي اعده لنفسه . والجواز الحقيقي الوحيد الذي يخوله الدخول الى حرم الوجود والواقع والطبيعة او ما شئت من مسميات رئيسية وفرعية هو الجواز الذي توقعه وتمهره وتبصمه التجربة العامة دون غيرها . وما دام الفلاسفة لا يقرون بهذه الحقيقة الناصعة ولا يعترفون بانسانيتهم العادية التي يشاركون فيها البشر جميعا بتسامح مجرد عن كل حيطة عقلية فلا يرجى ان ياتوا باعمال مثمرة يربن عليها الادراك وان ينفحوا الروح المولدة في الفلسفة لتغدو قوة تقدمية في الحياة الانسانية العادية .

ومن سخرية القدر وشذوذ التفكير – كما يرتأي ديووي – ان يظل الجدل محتدما حول المنهج الاختباري في الفلسفة حتى يومنا هذا ، فالاختبارية في العلم قد اثارت صراعا مريرا في القرنين السادس عشر والسابع عشر فخرجت من غمرة العراك شامخة الانف تحمل رايات الظفر وتزهو بالتفوق والغلبة ، وما هذه المكتشفات العلمية العجيبة التي تبلغ سمت الاعجاز وتفوق الخوارق المأثورة خلال مئتين وخمسين عاما من الاعوام المنصرمة سوى ثمرات يانعات دانيات القطوف من دوحتها الباسقة . فاستمرار الجدل وطغيانه حول هذه القضية في الفلسفة عرض بارز من اعراض التخلف الثقافي الراهن ، لا سيما والفلسفة تختال

بالزعامة الفكرية التي تتناول مقاليدها من التاريخ والطبيعة وتنبري لقيادة الصفوف المتقدمة في ركب الحضارة .

فما ترى سر هذا التخلف ؟ ولماذا يقاوم الفلاسفة وضع نظرياتهم على اسس تجريبية راسخة واخضاعها لموازين اختبارية ؟ قد تنعكس في هذه المقاومة العنيدة بعض الانعكاس صورة بالية عتيقة من دوارس الفكر الغابر ولكنها ليست ، والحق يقال ، وليدة البلاهة ولا ربيبة الجهل بالتاريخ العلمي ولا تعزى اسباب تخلفها كما بين لنا ديووي بوضوح بالغ الى عيوب شخصية في الفلاسفة كفئة رفيعة متفردة من فئات المجتمع الفكرية بل تعود الى عوامل كامنة في صميم ثقافتنا وقوى تقليدية فعالة مؤثرة في حقول السياسة والدين والتربية والفلسفة والعلم نفسه

والثقافة الحديثة قد انبثقت اصولها من جذور مختلفة متنوعة فاينما سرح الانسان ناظريه وجد خليطا متنافرا من القوى المتفاعلة وتبدت له مشاهد غريبة من الصراع المروع بينها . وقد يعثر المرء في مناطق جد قليلة من ميدان الثقافة الفسيح على شيء من التناغم الظاهري والتآلف البادي ولكنه تناغم سطحي وتآلف ابتر كسيح . والقراع بين المناهج الحديثة في مثلها ومفاهيمها وبين النظم التقليدية القديمة في معتقداتها ومقاصدها قد يتلاشى من السطوح احيانا ليتغلغل في الاعماق ويصبح رسيسا في البواطن وحسب المرء أن يسبر الغور قليلا لتنكشف له نار النزاع الموقدة وتنفرج امامه هوة الانقسام الفاغرة . وما التخلف في الفلسفة سوى تعبير مختزل وانعكاس بين للتخلف الثقافي الشامل في صوره المختلفة ، وما هو الا عرض ورمز للتنازع الظاهر والاضطراب الباطني في الثقافة الحديثة التي تتصف عناصرها الجوهرية بالتنافر ويتعذر توحيد اجزائها . والفلسفة التي ما برحت تحلم بادراك الوجود الابدي قد اصبحت وريثة شرور اجتماعية ناجمة عن التجربة القاتلة التي تعانيها .

وفي الحالة العامة للثقافة الحديثة تبيين لوضع الفلسفة الراهن . ولكن التبيين او الايضاح في نظر ديووي لا يبرر الجمود السلبي ازاء المعضلات المعقدة بل احرى به ان يكون حافزا اوليا وبراعة استهلال لاعادة النظر والبحث في تلك المعضلات بوعي ثاقب وادراك نير ومنهج قويم لا سيما والايضاح سبيل سوي لتخطيط معالمها وتحديد المهمة الملائمة لايجاد حلولها . والفلسفة بالغة القدرة جليلة الشان، ولذا فالفلاسفة ينعمون بالسيطرة المطلقة في احلامهم الافلاطونية دون غيرها وهي احلام لم ينخدع ديووي ببريقها الخالب وسرابها الخادع . وبالرغم من ذلك فلا يستطيع امرء ان ينكر التاثير الاجتماعي القليل الذي كانت وما برحت الفلسفة تتسم بطابعه ، ومهما يكن مقدار هذا التاثير فهو في راي ديووي معيار المسؤولية الاجتماعية التي اضطلعت بها الفلسفة في الماضي وتضطلع في الحاضر والمستقبل .

ومن المتعذر تحديد اثر الفلسفة والمذاهب الفلسفية الحديثة تحديدا دقيقا في خلق عوامل الانشقاق وبواعث التفرقة واستمرار نوازع الاضطراب والتنافر في الحياة الثقافية الحديثة . ولكن تعذر الحصول على الاجوبة الدقيقة الملائمة في هذا الشان لا يحجب في ابصارنا عبء اللوم الذي ينوء به عاتق الفلسفة ولا يمنعنا من الوصول الى [illegible] العمل والهدف اللذين يجب ان تجد الفلسفة في تحقيقهما خلال هذه المرحلة المرتبكة المعقدة من حياتنا الاجتماعية .

والفلسفة في تاثيرها الاجتماعي مسؤول عن الحالة الفكرية الراهنة وما دامت تتصف بهذا التاثير فان مهمتها الحقيقية في الدور الثقافي الحالي يجب ان تكون مستلهمة من طبيعة هذا الدور الاصيلة . فليس لها ان تبرر الفوضى التي تسربت الى مختلف نواحي الفكر والاعتقاد والقول والعمل ولا ان توطد دعائمها فتعصف بهيكل الحضارة الركين بل قمين بها ان تبذل اكرم الجهود لايجاد نظام افضل وتناغم امثل تتحقق في ظلهما وحدة الفكر الاجتماعية نتيجة لاتساق الحياة الثقافية بكاملها . هذه هي مهمة الفلسفة السامية الخطيرة — في نظر ديووي وهي المهمة الشاملة الوحيدة التي تربطها بالنطاق الكلي اذا كان ثمة رسالة للفلسفة في صميم الحياة الاجتماعية تزود لها بالعدة الوافية فهي هذه الرسالة نفسها . ولذلك فالفلسفة الحديثة قد انحرفت في حمل هذه الرسالة ونكبت طريقها السوي او عمدت الى تحطيم مصباحها ظنا منها بان اهدافها تجاوز الارض وتسمو فوق افق الحياة والواقع وان نصيبها المرسوم ان تخوض عباب الوجود شاردة وتحلق فوق ثبجه وتجوب اطرافه البعيدة جامحة .

ولا جرم ان الدعوى الفلسفية العريضة في انتحال صفات الشمول وخصائصه الباهرة التي تطوي معالم البشرية مفضية — في الامد الطويل — الى [illegible] نظريات ملتوية تهبط بالحياة البشرية والتجربة الوالهة دركات خفيضة من الحيوانية العمياء . وهي حين تزالحق في بسط قوانينها وسيطرة اقيستها خلال الزمن كله ما بين ازله وابده والوجود بكامله انما تؤيد — بصورة مباشرة — بواعث الطغيان وتبرر همجية التعصب الذميم وجائعه الدامية . وقد وضع ديووي نصب عينيه انقاذ الفلسفة من هذه الدعوى الفارغة — وهي مصدر الشر وام الخصبة — فنذر لذلك اعظم آثاره واكرم جهوده واطيب مقده . وما اعظم القدوة المرتسمة في اثره الجليل — وهو ابلغ قوامه الاعتقاد اللاهب بان مهمة الفلسفة قد تكون متضعة ، ولكنها مهمة انسانية واقعية مفيدة تعمل على [illegible] البشرية وتجدد كيانها . وما انفك صوته مدويا [illegible] ستين عاما وهو يلح في دعوة زملائه من الفلاسفة الى [illegible] هذه الكثبان الرملية المتراكمة فوق شاطىء الحيا[illegible] الانسانية وان يتغلغلوا منتشرين في الارض اليابسة ليقيموا فوقها مساكن منيعة وصروحا رفيعة تقيهم غوائل الحدثان

دمشق — صلاح الديرجايري

مواكب المساء

خليل مردم بك

دمشق

للشمس اذ هجمت اضغاث احلام أما ترى الافق أمسى لوح رسام
مالت الى الغرب تتلوها مشيعة مواكب ناشرات حمر أعـــلام
انظر الى الافق الغربي تلف به جنـــان عبقر فوق الاخضر الطامي
خمـــائل انبتت من كل زاهرة يجودها النور مثل العارض الهامي
نهر من النور هاجت في جوانبه رياض ورد ومنثور وتمـــام
تريك فوضى من الالوان مائجة على قوارب من ضوء واظـــلام
من ازرق قاتـــم او اخضر شرق أو اصفر فاقـــع أو احمـــر دام
ظلالهـــــا في حواشي الافق ناصلة كمـــا تراءت ظلال الراح من جام

***

ما ينقضي عجبي من منظر عجب على خضم من الالوان عـــــوام
فالافق مثل ستار (السينماء) ومـــا عليه من صور اشباح افـــلام
بحر يمور وبركان يثور بــــه لعارض من شعاع الشمس سجـــام
وصورة من نعيم الخلد باديــــة في الجو ما بين ايضاح وابهـــام
لله كم من تهاويل ومـــن صور ثيابهـــا ذات الـــوان وارقام
لا تستقر عـلى حـال مظاهرهـا تقمص الروح جسما بعد اجسام
تخالهـــا وهي في نقص وتكملة تعاورتها يدا بـــان وهـــدام
عجلى ولكنهـــا حيرى تتردد في كر وفر واقـــدام واحجام
ليســت تجهـم الا ريث تسفر عن طلق المحيا ضحوك السن بسام

***

فلم ازل شاخصا حتى طغى بصري وزاغ مـــا بين ايماض واعتـــام
وجهت وجهي شطر الشرق مرتعشا فشمت زينة كسرى ليلة (الرام)
الليل يزحف حبوا في مشـــاعله كأنمـــا هو جيش من بني حـــام
كالبحر في مده ما منه معتصم ولا ينهنـــه عن زحف واقـــدام
في كل برج فريق من كواكبـــه وكـل قطر شهـاب راصـــد رام
حكى النجاشي مختـالا يســـير على بساط كسرى الى كرسي بهرام
وللمجرة روض ممـرع ابـــدا نجومـــه زاهرات ذات اكمـــام

***

يا ساجي الليل كم هيجت لي شجنا وكم بعثت خيالاتي وأوهـــامي
بلغت بالصمت ما يعيـا البيـــان به كم في سكونك من وحي والهام
افـــدي سوادك بالسوداء حين جـلا عرائس الشعر مرحى ذات انغام
لي بينهن وراء الليل ساحرة لا يستفيق بهـا وجدي وتهيـامي
ذهلت عمـا سواها فهي ماثلة أنى انجهت امـــام العين قدامي
هوى لذيذ عـــلى ما فيـــه من ألم والحـــب مبعث لذات وآلام
لولا مشاهد سحر تستفز لمـا مجت دم القلب فوق الطرس أقلامي

قصة

الكنز الضائع

مهداة الى هانيء وعلاء

بقلم ابراهيم شكرالله

✳

وهو واقف خلف زجاج النافذة يتأمل مفتونا ـ في جذالة عمره الغض وفرحة السنين الخمسة التي يحملها على كاهله الصغير ـ المطر الهاطل طوال اليوم وامس واول امس . ثلاثة ايام لم ينقطع فيها هذا السيل السمائي العرم يغسل العالم ويهز الاشجار ويدفع الرجال الى تلمس الحيطان والهرب من وجه هذا الهول العظيم . من الذي فتح نوافذ السماء ومزاريبها ؟ من الذي اطلق عنان هذا الغضب ؟ المطر ياتي من السماء ، من الله ـ كما قال ابوه . فلم يفهم عنه حتى رأى شجرة الليمون الكبيرة في الحديقة تهتز وتأن والعصافير التي كانت تأوى الى وارف فيئها تتطاير كالاوراق ويغشاها مثل غاشية الموت . فأحس بيد الله على العالم . وتخيله جالسا بلحية صهباء ووجه مربد على السماء عند مجمع المياه يرسلها من بين يديه على العالم يغسله ويهزه ويطلق الرجال الصغار يهربون بجانب الحيطان ويخشون الانزلاق .

وانفرج ثغره عن ابتسامة فرحه . ابوه في الصباح وهو يجري في الطريق ويرفع الجريدة الى راسه فوق طربوشه يحتمي من المطر ورجله تكاد تنزلق في الطين . ويد الله على العالم . يد الله فوق يد ابيه واقوى وارهب . هذا الصباح وابوه يجري مضطربا في الطريق ادرك فجأة ـ في اشراقة طفولية ـ ان ابيه ليس على ما كان يعتقد من ضخامة وقوة . ليس العملاق الذي كان يراه . الملك الذي يركب الفرس ويرهب الاعداء . هذا الصباح في اطار الغضب الالهي ، في ازمة الطبيعة ، صغر ابوه جدا . صغر وكاد ان يسقط في الماء ورفع الجريدة الى راسه ومضى مهرولا يبحث عن مواطىء لقدميه . وظلت هذه الفكرة تنمو في حسه . ابوه الصغير الضعيف . فلما كملت احس بالخوف والاثم . وتحول عن النافذة وخرج الى الصالة ونظر فاذا فنجان القهوة الفارغ على الطاولة وخفا ابيه ملقيان على الارض وآثاره في كل مكان . فعاوده احساس الاثم اذ ارتفع بقامته فوق قامة ابيه عند النافذة امام مشهد المطر . واحس بغصة في حلقه وود لو تواته الشجاعة فيجلس مجلس ابيه يرشف القهوة ويلبس الخفين الكبيرين ويأمر فلا يرد له امر ويرضى فتشرق جنبات البيت لرضائه ، وتاتي اليه امه فتجلس الى جانبه وترتفع اليه بوجهها الوضيء حتى اذا احتوى البيت الظلام دخلا الى الفراش وناما الى جانب بعضهما .

امه ـ وتفتحت في جسمه ينابيع الشوق والحب واسرع اليها فاذا هي واقفة الى الحوض تغسل الاواني في عجلة واستغراق وصوتها يهمس بولولة حزينة على كل الذين ورووا التراب من « الحبايب » .. فود لو يستطيع ان ينزعها من جميع هذا . ان ياخذها ويجلس اليها ويدفعها الى الحديث معه .

ـ ماما .. امتى المطرة حتخلص .

فلم تجب وظلت ماضية في عملها تغسل الاواني ثم تجففها ثم ترفعها الى الرفوف . فيرتفع صوته وقد علاه رنة الغضب .

ـ ماما .. بقولك امتى المطرة حتخلص ..

ـ انا ايش عرفني .

ثم بلهجة ارق .

ـ روح يا حبيبي العب وسيبني دلوقتي . احسن عندي شغل كتير وبابا بيزعل لما يجي وما يلاقيش الاكل جاهز .

بابا .. بابا .. دائما بابا . وتحول وخرج مطأطأ الراس . كيف انتزعها منه . انتزعها من صدره ومن نفسه . كانت امه له وحده . امتدادا له وجزءا منه . وطفا احساس غير واضح المعالم . احساس من الدفء والاطمئنان والسكينة . احساس قديم . قبل ان يكبر . قبل ان يعرف الاشياء والاسماء . احساس سابق على كل شيء ولكنه مقترن اقترانا وثيقا بامه . أكان هذا وهو على صدر امه في الموضع الذي راى فيه اخيه الصغير ، في دفء الثدي وخيره وجوده . ام لعله قبل هذا . قبل كل شيء .. في بطن امه وحنايا جسمها الظليل ؟ وليس له من هذه السكينة اليوم الا ومضات . يبكي او يفزع فتأخذه بين احضانها وتضمه بقوة فيعاوده ظل من هذا الاحساس القديم . هو وهي مربوطان بوجود واحد . هي امتداد له ـ نهاية حبه ومبتداه . المعنى والشكل واللون المضفي على الحياة .

ولكنه يكبر . تطول قامته ويمتد عالمه وتتضح المعالم . ونداء يحيط به يجذبه خارج هذه الدائرة السحرية ، خارج المجال الذي تتداخل فيه الموجودات وتختلط فيه خيوط حياته بخيوط حياة امه . نداء مدوي من عالم ابيه . ان اخرج ، اخرج ، اخرج من جسد امك وتعلم الاسماء وعش في الانفصال ، وفي وحدة وجودك المفرد . في العزلة ، في الايام وفي العالم الذي يحيطك .

ثم يقف امام النافذة ثانية يشاهد المطر وتعاوده صورة ابيه يجري في الشارع ويخاف الانزلاق . ولكنه لا يبتسم هذه المرة . بل يمتد بخياله . سيمضي ابوه حتى نهاية الشارع ثم يعبر طريق السيارات ثم يصعد المرتقى حتى الحديدتين المتعارضتين فيمرق من بينهما ويقف تحت المظلة الخشبية ينتظر الترام . فاذا اتى مجلجلا منزلقا على القضبان ركبه في زحمة الناس ومضى به الى عالم الرجال . «الشغل» . يجلس الى المكتب ويتحدث في التليفون ويخاطب

الناس ويكسب « الفلوس » . ثم يعود الى البيت متعبا ولكنه مليء بالحكايات والقصص عن مغامرات يومه وجميعها تحمل رنة الانتصار .

هو ايضا سيكبر . ستطول قامته اكثر . وسيخرج ايضا الى العالم . سيكون ضابطا كبيرا يحارب كل يوم وينتصر كل يوم . بل سيصير اكبر من ابيه واقوى . فاذا عاد الى البيت جلس مكانه وجاءت اليه امه بالقهوة والحب الخالص له وحده .

وجميع هذه المشاعر تصعد الى سطح وعيه في صور باهتة المعالم ولكنها صارخة الالوان ، مشاعر من الانطواء ثم الامتداد ، من الرغبة في العودة الى دفء اعطاف امه ، الى الخروج الى العالم والانتصار والحلول محل ابيه . واذا المطر تتقطع حباله ، ويخف ثم ينقطع فجاة كما اقبل . وبعد قليل تصعد شمس جديدة تغمر البيوت والافنية والاشجار باشعة حانية والعصافير تهز ريشها تنفض الماء عنها وتتعالى وصوصتها بحياة جديدة .

ارتفعت يد الغضب . وولد العالم من جديد . فغمره فرح هائل وارتد الى طفولته الفضة بعد ان كانت مشاعر الغيرة قد سارت عليها باصابعها الثلجية .

ثم انطلق خارجا كالحمامة البيضاء يكتشف العالم الذي انحسر عنه الماء . عالمه الذي يمتد بامتداد الشارع حتى دغل اشجار الموز الذي يحيطه سور من الغاب وتتحرك داخله الاطياف ووجوه سوداء صارمة .

ويعدو في الشارع ويتعالى صوته بالصراخ والغناء حتى يبلغ الدغل . فيقف برهة يتأمل اوراق شجر الموز العريضة تهتز فرحة في الشمس وتنفض عنها المياه .

ثم – فجأة وفي مثل الرؤيا – يعلق بصره باروع ما شاهدته عيناه . على الارض وسط مياه ضحلة وقراقة شاهد ثلاث بليات (كرات بلورية) انصبت عليها اشعة الشمس فتالقت بعشرات الالوان البراقة الخاطفة للاعين .

فجمد امام هذا المشهد الهائل . انحسر العالم كله ولم يعد فيه غير هذه البليات الثلاثة الملونة . ومن وجوده ، من اعماق نفسه انطلقت انبثاقة اختلطت بخيوط الشمس وترقرقت الماء وغمرت البليات لضوء رائع تحركت فيه الاشياء والاطياف وتراقصت كأنما في عرس هائل من اعراس الله .

وانحنى في رهبة والتقط البليات واطبق عليها بيديه بشدة وخوف . ومضى يعدو واندفع داخل المنزل وجلس الى طاولته الصغيرة وصفها في بطء وخشية واخذ يتأملها كما يتأمل العابد صنمه المعبود .

وهو في هذا الجو الخاشع واذا البيت يفيق من اغفائته على صوت مقدم ابيه . فتهرع امه الى الطاولة تصفف عليها صحاف الطعام ويستيقظ اخوه الصغير من نومه ويهرع نحو ابيه يعانقه . ويحمله هذا باحثا عنه حتى اذا وجده اخذه اليه وعانقه وقبله ولكن الابن منصرف عنه الى كنزه الجديد .

ويرى الاخ الصغير البليات فيمد يده ليأخذها ولكنه يرده عنها في عنف . فيبكي ويشكو لابيه . فيأمر هذا ابنه ان يعطي اخيه واحدة منها فيرفض . فيعاود الامر بلهجة اشد فيرفض في عنف فينتزع واحدة منها ويعطيها للابن الصغير .

فيحس كأنما انتزعت منه نفسه . فتثور ثائرته ويصرخ ويضرب اخيه ويسعى لانتزاع البلية منه وقد استبد به الغضب الشديد . فينهره ابوه ويضربه .

فيبكي . يبكي ويسترسل في البكاء وقد غص صوته باحساس المرارة والعجز . ويظل يبكي ويده قابضة في عنف البليتين الاخرتين . ثم تأتي امه على صوت نحيبه فتأخذه بين ذراعيها وتنهنهه بصوتها الحنون فيصعد التعب الى اطرافه وتثقل عيناه ويحتويه النوم وترتخي قبضته على البليتين فيسقطا . وتحمله امه الى الفراش وتجمع عليه اطراف الملاءة وهي تتمتم :

– اسم الله عليك يا بني ... اسم الله عليك يا حبيبي ... محفض ومنصان ...

القاهرة ابراهيم شكرالله

مارسيل بروست

بقلم ميشال عفلق

✱

اعتاد الناس ان يطلبوا التضحية من الكاتب فيريدون ان يضحي الكاتب بكل شيء في سبيل فنه ، براحته ورفاهيته ، بشهرته ، حتى بحياته ، يريدون ان يكتب الكاتب بدمه .

اما القارىء فمن يجسر على مطالبته من هذا ؟ على اني كنت اتمنى لو ان القارىء يقبل بتضحية واحدة : بعادات فكره ؛ كما يتعود اللسان نوعا من الاطعمة ، والجسم اقليما خاصا ، كذلك الفكر ، انه اسرع الى التعلق بالاشياء من الجسم واميل للراحة والجمود . فهو اذا سار على طريق ، يؤلمه الانحراف عنها والمجازفة في طرق مجهولة .

يطلب الناس من الكاتب جديدا ، ولكن ما النفع من هذا الجديد اذا كانوا لا يرونه ولا يسمعونه الا باعين وآذان قديمة اني قلما اقدر الجديد الذي يكتسب هذه الصفة دون مقاومة وصراع عنيف . وقد لا يكون الجديد في اغلب الاحيان الا صدى لملل القراء . اما الجديد الحقيقي فيظل مجهولا زمنا حتى ولو صفقت له الجماهير ، لانها في الواقع تصفق لتلهي نفسها .

ومارسيل بروست من هذه الفئة التي تصطدم بما

في الفكر البشري من عادات سقيمة فتذوق من العذابات اقساها في صراعها مع بلادة الناس ، ولكنها ترقى الى سماء الخلود على سلم هذه العذابات . الاديب كالنبي ، لا بد ان يضطهد من اجل رسالته، لولا فرق بينهما يميز الاديب على النبي وهو ان هذا يحمل في جديده بذور الموت اذ انه يجيء بجديد يفرضه على المستقبل ويحرم عليه التجدد ، في حين ان جوهر الادب حرية لا نهاية لها . ان حماقة الناس لا تفتأ منذ القديم في ندم متواصل على اخطاء متواصلة ومنذ القديم لا يزال الناس يتعامون عن العبقرية اذ تكون ماثلة امامهم ، ثم يعودون فيندمون على جهلهم ، ولكن بعد ابتعادها عنهم ، مثل الناظر الى لوحة تصوير فانه لا يستطيع تقديرها ما لم يبتعد عنها بضع خطوات .

اليس من المشجي ان نرى مارسيل بروست ، وقد انهكته الامراض ، واحس بالموت يدنو منه حثيث الخطى ، يستعطف اصحاب المكاتب والناشرين ، ويتقرب من الادباء يطلب رفقهم برسالة يحسها كامنة في فؤاده ويخشى عليها الضياع في جسمه المريض العاني اذا هي لم تنقل الى ملجأ امين، وتودع في صفحات كتاب ؟! ولكن الادباء حتى اكابرهم لم يفهموا معنى هذه الرسالة ، والناشرين حتى احقرهم لم يرضوا ان يفسحوا مطابعهم لافكار بروست ، ولم يجدوا فيها ما يستحق النشر والبيع !

قضى بروست بضع سنين في يأس قتال من الصمت الذي احاط كتبه عندما توصل اخيرا الى نشرها . فهو كان يفضل لو يلقى من ينتقده وينهال عليه بالذم والشتم على ان يبقى الناس في ذلك الوجوم ، ويتجاهلوا كتاباته كأنه لم يأت بفن حقيق بالذكر . ولكن القدر شاء له ان لا يموت قبل ان يستمتع بقسط من الظفر الذي يستحقه ، وان يطمئن على مصير فنه. فقد توصل سنة ١٩١٩ بمساعي بعض افراد فهموه ، لنيل جائزة « غونكور » ، فمدت شهرته جناحيها على اوروبا بسرعة البرق . ولكنه لئن سره ان يرى بعض المفكرين قد فهموه وقدروه ، فلقد تألم كثيرا من مرأى تلك الجماهير التي غدت تصفق له اليوم بدون ان تقرأه ، مثلما كانت تتجاهله بالامس ، وهي في الحالين تسير مستعبدة للتقليد والجمود !

اذا لقي بروست في فرنسا من المقاومة اشكالا والوانا ، فلا احسب حظه يكون اوفر في البلاد العربية ، بل اني اتوقع له فيها مقاومة اشد . لان الاصنام التي انتصبت امامه ومنعت عنه معبد الادب حينا ، هي نفس الاصنام التي تقف في بلادنا حائلا دون كل تجديد : عادات الفكر ، وطرق الانشاء . توسط صديق لبروست عند احد الناشرين من اجل طبع كتبه ، فاجابه الناشر : « لا بد ان يكون الله ضرب على عقلي غشاوة فلا افهم كيف يخصص كاتب ثلاثين صفحة يصف لنا فيها تقلبه في فراشه قبل ان يوافيه النوم ! »

ان هذه الصفحات الثلاثين من اجمل ما قرأت من حيث بلاغة الوصف ودقته ، ولكن ذنبها انها لم تكتب بالاسلوب السهل الواضح الذي تعوده القراء واختصت به اللغة الفرنسية ، بل هي معقدة لكون الموضوع معقدا ، ولان بروست ضحى السهولة والوضوح في سبيل الاخلاص والصدق في التعبير لان السهولة والوضوح لا يتفقان دائما مع التفكير الجديد والصور الجديدة فوصف الحالة المتوسطة بين النوم واليقظة ، بما فيها من تمازج عويص غريب بين الحقائق والاوهام ، ثم الانتقال السريع من عالم النوم الى عالم اليقظة ، وكيف يقفز المرء في مدة ثانية او ثانيتين من فوق اجيال وعوالم عديدة مجهولة ليعود شيئا فشيئا الى رابطة بالعالم الحقيقي ، ويسترجع مركزه من هذا العالم في المكان والزمان ، كل هذا يضطر الكاتب الى تناسي قواعد البيان ليؤدي رسالة الفكر الصحيح .

قضى بروست حياته في الاوجاع ، وظهرت فيه امراض عصبية قاسية وهو لا يزال ابن تسع سنين ، فكان يعيش من جرائها عيشة محجوبة ، يجعل جدران غرفته من الفلين لان اقل صوت يزعجه ، واذا سافر ونزل في فندق ، يستأجر علاوة على غرفته الخاصة ، الغرف الاربع المحيطة بها من كل جهاتها حتى لا يسكنها احد يقلقه بضجيجه ! لا يستطيع احتمال النور ولا رائحة العطور . يسد النوافذ بسجوف كثيفة ، ويهجر غرفته ليعرضها ثلاثة ايام متوالية للهواء اذا زاره فيها صديق يحمل في جيبه منديلا معطرا . ان هذه الحساسية الدقيقة الشديدة أثرت في ادبه ، وخلقت خاصة من اهم خواصه هي : احياء الماضي بالاحساس الحاضر . كان بروست قد نسي اكثر ماضيه طفولته وحداثته ، ولم يحفظ منهما سوى خيالات مبهمة ، ولطخ من النور مبعثرة على ظلام وسيع ، فاذا به يذكر هذا الماضي بصورة قوية حية كأنه يعيش فيه للمرة الاولى ، وكل ذلك لانه اكل قطعة من الحلوى بعد ان اغمسها في كأس من الشاي ، فاعاد اليه طعمها تاريخ سنين طويلة ، ملأى بالحوادث ضاجة بالاحساسات ، لانها ذكرته بنفس الحلوى المغموسة بالشاي التي كان يأكلها صباح كل احد عند عمته في صغره .

ان هذه النقطة فتح جديد في الفلسفة والادب لانها تبتكر طريقة جديدة في التذكر بواسطة الحواس . فتذكر الماضي بواسطة عقل جامد ميت لا يوحي لنا شيئا ولا يهز نفوسنا لاننا ، كما يقول « باسكال » في الموت ، « نعلمه ولا نؤمن به » ، نشعر انه غريب عنا ومنفصل عن شخصنا، كأنه عضو ميت في جسمنا لا نستطيع بتره ولا احياءه ! ولكنه يكفينا ان نسمع انغاما شاردة ، او يهفو نحونا عبير ضائع او نذوق طعما او نلمس شيئا ، حتى نشعر بكل كياننا يرتجف ، كأن برقا اخترق داخلنا فاضاء فينا قسما من حياتنا التي كنا حسبناها قد فقدت منا الى الابد ، فاذا بها تعود الينا بدمها وحرارتها بادق تفاصيلها .

دخل بروست حياة الادب وهو مسلح بقوتين بلغتا

عنده اقصى حدودهما : الاحساس والذكاء . وقد رأينـا الى اي ابتكار قاده احساسه العجيب . اما ذكاؤه فاوصله الى عمق في التحليل لم يستهدف له كاتب قبله . مثلما غاص في بحر الماضي باحساسه ، انظر اليه كيف يغوص بذكائه : لماذا تردد عشيقته (البرتين) ابدا هذه الكلمة : « اصحيح هذا ؟ » بمناسبة وبغير مناسبة ؟ اتكون كلمة من جملة الكلمات التي يتصور الناس تكرارها دون اي قصد آخر ؟ كلا ، لانها لوكانت كذلك لرددتها (البرتين) بصورة آلية وبدون شعور بمعناها ولكنها ترفقها بلهجة السؤال وبشيء من الغنج اذن ماذا ؟ ايبلغ النسيان بها انها تحتاج الاستفهام والتأكد من كل ما يقال لها ؟ غير محتمل . ولكن بروست يتغلغل في ظلمات ماضي عشيقته المجهول ويتصور زمنا كانت فيه البرتين عشيقة لغيره ، وكان ذلك العشيق يقول لها : « اتعلمين اني لم ار امرأة حتى اليوم تدانيك في الجمال » او « اتعلمين اني اكن لك حبا كبيرا » فتجيبه بشيء من الدلال : « اصحيح هذا ؟ » وتملكت منها العادة حتى غدت الان تسأل نفس السؤال بنفس اللهجة لمن يقول لها : لقد غفوت اكثر من ساعة .

يقول بروست : « كل حيـاة فيها سر ومجهول تستهوينا ، كي نهتك سرها ونعريها من جمالها » . في هذه الفكرة خلاصة حياة بروست وادبه ، وهي اول صلتي وتعلقي به لاني قرأت فيها حقيقة نفسي المرة وحقيقة كل نفس تضم بين جوانحها وحشا هداما ، يجمع بين رقة الشاعر وقسوة الجلاد . ترى مثل هذه النفوس تعشق الحياة ، تهيم بمظاهرها المتنوعة والوانها الشتيتة ، تميل من ادق طعم لها وتهفو مع اخف نسائمها .

لماذا ؟ الحب الحياة المجرد ولتعبدها تعبدا صوفيا ؟ كلا . بل لتهدم مظاهرها وبواطنها ، لتحل الوانها وتفسد طعمها ، لتوقف الحركة ، لتسلب الحياة من الحياة ! . . . وحش هدام او طفل ساذج قاس ، هكذا ارى بروست ، والحياة دمية امامه لا يهدأ له روع الا اذا فككها وهتك سرها وارجعها الى اجزائها البسيطة ، بعد ذلك ، كالطفل امام دميته المحطمة ، يقف بروست امام الحياة وقفة اليائس المشدوه ! ويلذ لي تشبيه فنان كبروست بفاتح وحشي كجنكيز ، يمشي على ملايين الجماجم والاطلال ، ويجيل فيها نظرة انتقام اخرس وتشف بلا سبب ! لماذا اسـال جنكيز من الدم انهارا ؟ هو نفسه لا يدري .

لماذا انهال بروست على اصنام الحياة فاظهر للملأ فراغها اطاعة للفن الذي في نفسه . افيكون الفن ، هو ابن الحياة ، ابنا عاقا بها ؟

يحب بروست المرأة ، فتراه يقترب منها وكله اجلال وعبادة ، يحب امرأة فيخالها تختلف عن كل النساء غيرها يراها فياضة بالاسرار ، غنية بالغرائب ، ثم يتابع اقترابه منها ، لا يزال يدنو خفيف الخطى كاللص ، وفي كل خطوة يسرق سرا من اسرارها ، يمزق برقعا من براقعها ، الى ان يصحو لنفسه فلا يرى امامه الا امرأة عادية ، لا يلوح لها فكر او يبدو عمل الا ويعلم كنهه وعلته ، فينصرف عنهـا قانطا لانه لم يعد لنفسه فيها غذاء . اولع بروست منذ صغره بالعالم الارستقراطي ، لما يحيطه من الاسرار ويحول دون الوصول اليه من العقبات ، وكانت طفولته قد تغذت من مطالعة اخبار هذه الطبقة وتاريخها العجيب ، فغدا اذا لمح امرأة ارستقراطية مارة بمركبتها في الطريق او جالسة على مقعدها في الكنيسة ، ازدحمت مخيلته بكل الصور والقصص التي قرأها وحسب ان هـذه المرأة تضم في شخصها ، في القبعة التي تلبسها والثوب الفضفاض الذي تجرره وراءها ، ثروة لامتناهية من العجائب والغوامض تجعل منها كائنا فوق منزلة البشر . ظل هـذا الشوق اللجوج يذكي خياله حتى استطاع دخول المعبد الارستقراطي وهناك بدأ زحفه البطيء على فريسته ، ما زال يتحبب الى جماعة الاشراف من رجـال ونساء ، ويحضر حفلاتهم ويسايرهم في نزهاتهم ، يصغي بتعبد لاحاديثهم ويشخص الى حركاتهم وتحياتهم وشكل مشيهم وقعودهم ، ينساب كالافعى في مشكلاتهم الشخصية والعائلية ، حتى انبرى بعد بضع سنين وهو يحمل في يده صك اعدامهم ، لانـه ازاح عنهم القناع فاذا هم آلات مسكينة تسيرهم تقاليد حقيرة ، فيخضعون لها خضوع النعاج ، واذا بتلك العظمة الظاهرية تستر فراغا في النفس وجفافا في الشعور .

لقد رفع الكاتب لنا الستار عن العالم الارستقراطي فاذا بنا امام مرسح تمثيل يلعب فيه الشريف الدور الذي تمليه عليه طبقته ولقبه ، وينسى شخصه ، بل يقتل شخصه من اجل دوره . انه دوق او كونت قبل ان يكون انسانا انه رمز قبل ان يكون حقيقة . فمهما بلغ حب ارستقراطي لشخص من غير منزلته لا يمكن ان يظهر له من التقرب اكثر مما تسمح له قوانين طبقته . انظر كيف يحلل لنا بروست اشكال التحية عند الاشراف !

« اذا اضطرت مدام كورفوازيه ان تحي شخصا ادنى من طبقتها فانها تحني نحوه رأسها والقسم العلوي مـن جسمها بمقدار زاوية من ٤٥ درجة . ولكنها لا تلبث ان ترجع هذا القسم العلوي من جسمها فجأة الى الوراء بمقدار يقرب من المسافة التي انحنت بها في البدء كأنها تريد ان تسحب تواضعها الموقت الـذي تظاهرت به امام ذلـك الشخص ! » على ان الرجال الارستقراطيين يعكسون هذه الخطة فيبداون سلفا بسحب ما سيظهرونه لك من احترام موقت:« فالدوق (دي غيرمانت) يبدو لاول وهلة عازما على ان لا يحييك ثم يمد اليك ذراعه بكل طوله كأنه يقدم لك سيفا للبراز ، ويده تبعد عنه الى حد انه تصعب عليـك عندما يحني رأسه معرفة ما اذا كان يحييك ام يحيي يده!»

وهناك فلسفة غزيرة للتحايا : تحية «الجمود الرفيع»

– التتمة في صفحة ٨٩ –

دمشق ميشال عفلق

ارض فلسطين

✳

اجل هو الشعر يعلو وجهه الخجل فكيف لا تخجل الاحرار والمثل
هل يزدهي الشعر في سوق الرقيق اذا رفت عليه الحلى والوشي والحلل
ما الشعر الا وشاح النور جنحه على المدى ألم في الشعب او أمل
زهر الكواكب أغفت فوق مفرقه فكيف لا ينثني عن افقه زحل
ما الشعر ان لم يلح فيه سنى وطن ولم يعطره منه السهل والجبل
ناجى فلسطين فاخضلت ذوائبه وخلدته ، فرايات العلى خصل
زحفت ألثم أرضي وهي باكية والقلب باك وراحت تنتشي القبل
وعدت انشق من عطر التراب هوى في ظله التقت الاجداد والرسل
أهلي على الدهر تدميني جراحهم في حبهم يتساوى العذر والعذل
خيامهم في مهب الريح معولة ودورهم من وراء الدمع تبتهل
تقاذفتهم دروب العمر دامية وانكرتهم ربوع الاهل والملل
على المشارف اعراض ممزقة وفي كهوف الربى الانسان مبتذل
في كل ارض شظاياهم مشردة وتحت كل سماء معشر ذلل
أطوف أحمل أنى سرت نكبتهم كأنني طيف ثار والحمى طلل
يا فتية الوطن المسلوب هل أمل على جباهكم السمراء يكتمل
أنتم بنو الشعب لا الطغيان يرهبكم ولا زعيم على الشيطان يتكل
تبنون امجاده والخلد رفرفها كأنما هي بالآباد تتصل
ان الطريق الى العلياء مظلمة ولن نضل وفي أيديكم الشعل
يا عاريا من ثياب المجد كيف ترى أرض الخلود وقد ضلت بك السبل
هذي فلسطين هل اشجتك تربتها تبكي الاحباء من غابوا ومن رحلوا
وهل شجاك الدم المطلول تسفحه أيدي الجناة وقد عاهدت من قتلوا
تبكي المروءات مرضاة غدائرها وما انتخت للجهاد البيض والاسل
يا أيها الشعب ركب الفجر منتظر بعد السرى وعلى الآمال يشتمل
من يشتري وطنا او يبتغي بدلا وأين في الكون او في الجنة البدل
هذي النداءات من أهلي مخضبة الدهر يسمع والتاريخ يرتجل

دمشق — أبو سلمى

قصة

المغنون في الظلال

بقلم جبرا ابراهيم جبرا

°°°

على دلعونة وعلى دلعونة ...
دلعونة دلعونة دلعونة تصفيق
زغاريد دلعونة

وعازف العود منتش بما يعزف وبما يشرب، ورأسه متدل من النشوة فوق عوده والريشة بين اصابعه تضرب الاوتار، فتقارعها بطنطنة تتعالى وتتهاوى خلال اصوات المغنين.

والايدي تصفق وتصفق، على دلعونة، وهوا الشمالي –

والشمس تتراقص على اشجار الزيتون

اشجار خضراء غبراء، الواحدة تلو الاخرى، في « حبلات » الجبل المنحدر الى الطريق. اشجار زيتون لعل الذين زرعوها هم قديسو القرون الغابرة، فهذه الجذوع الملتوية العقداء بما عليها من لحاء رمادي مشقق، هي اخوات الزمن والايام التي اذا فكر فيها سلوم شعر بدوخة لذيذة وكأنه يقترب من ملتقى السماء بالارض وراء تلك الجبال الزرقاء النائية.

اوف يابا .. والشمس تتراقص على آلاف اوراق الزيتون، خضراء اللون عفراء الملمس، شذاها شذا الارض، هذه الارض التي يجلس على احدى حجاراتها – فالحجارة في كل مكان: مبيضة مخضوضرة، من يدري اية يد نثرتها على هذه السفوح المتهادية نزلا نحو واد عريض بعيد.

والرجال والنساء والاطفال يغنون، ويقرعون الكف بالكف، وكؤوس العرق الصغيرة امام الرجال الكبار، وقد تربعوا في شبكة الظلال تحت الافنان الضامرة، يغنون على دلعونة، ثم يتوقفون حابسين الصوت والنفس بينما يرسل احد الرجال تنهدة أووووووف.. طويلة طول ايام الزمن، مشحونة بما في الماضي كله من حنين الى الاحياء الذين ما عادت العين تراهم وحسرة على الاحياء الذين راحوا ولم تحظ الشفاه بلمس الخدود منهم والشفاه ... أووووووف ... يا حسرتي ... وسلوم يصغي، يفهم ولا يفهم، والغناء يستتبع الحنين والحسرة حتى من سنيه السبع، ولكنه يعلم انه عندما يكبر كهؤلاء الرجال ويجلس مثلهم متربعا تحت اشجار الزيتون في الاعياد، سيحتضن ما يحتضنونه من هيبة وقوة... وحنين وحسرة.

أوووووف ... ودارت الزجاجة بين الرجال بينما راحت احدى النساء تقدم المزيد من قطع الخبز والجبن الابيض والزيتون الاخضر ...

وسال لعاب سلوم، لا لمرأى المازة فحسب، بل لرائحة الارز واللحم الفائحة من قدر كبير على النار وراء المغنين. وفيه وفاء الوعد الذي وعده به صديقه موسى. واين موسى الان؟

تلفت سلوم حوله باحثا بعينيه عن صديقه بين جماعة المصفقين المغنين، بين النساء الدائبات الحركة تحت الزيتونة المجاورة، بين اكوام السلال والبقج والصحون. فلم يجده. ولما عاد بنظرته الى القدر البعيد، وقد تجمع حوله عدد من الصبية وامرأتان او ثلاث، يكسرن الحطب ويلقمنها النار، وتسعل الواحدة منهن بين الآونة والاخرى عندما تنفث هبة من الريح الدخان في وجهها – هناك راى موسى جالسا على حجر وعيناه مسمرتان بالقدر. فاطمأن سلوم، وعاد الى الغناء، يصفق مرتين او ثلاثا ثم ينقطع. وعينه تداعب القدر المدخن البعيد، ورائحة الارز واللحم العابقة تراود زلعومه، وان مازجها الدخان احيانا، او اختلطت برائحة الشجر الطفيفة ورائحة التراب.

ثم احس بشيء يابس، كان يضغط فخذه وهو مقتعد صخرته، يخرج من جيبه ويكاد يسقط، فبادره بكفه المصفقة بسرعة، ودفعه الى جيبه عميقا حتى لا يراه احد: كسرة من الخبز لا يليق به ان يراها الجمع بين يديه في مكان كهذا، والاكل الشهي على وشك الحضور.

أوو وووف .... وود سلوم لو كانت له الجراة على رفع صوته هو ايضا بمقطع من مقاطع « الميجانا ». كثيرا ما يقعد برفقة موسى والياس وغيرهما على عتبة احدى الدكاكين المغلقة في شوارع البلدة الصغيرة، فيمثلون سهرة غنائية. فيثني كل منهم ذراعيه كانه يحتضن عودا، ويتظاهرون بالعزف، ثم يبداون بغناء على دلعونة، ويعقبها سلوم « بأوف » مديدة، وهو لا يعرف الكثير من الكلمات التي تلي هذه التنهدات، فيقتصر على:

« الجمال محملة
الجمال محملة والاجراس بترن
يا ليلي يا ليل »

وفي كل مرة، في كل مرة، يتصور الجمال باعناقها القوسية ورؤوسها الشماء تتدافع، واجراسها الصفراء، جرس ضمن جرس، ترن طوال الطريق الغبراء الموصلة من بلدته الى اشجار الزيتون البعيدة، الى المدينة التي وراء التلال، تلك المدينة السحرية التي رآها مرة حين مشى اليها مع ابيه – واسوارها الشاهقة تعلو السيارات والبياعين والصائحين

والجالسين في المقاهي خارج بـاب الخليـل .

« غدا عيد الخضر . »

قال موسى ذلك لسلوم عصر اليوم السابق ، مذكرا اياه بما كان قد قاله قبلا عدة مرات . « سيكون هنـاك اناس كثيرون . وقد نذر ابو اليـاس نذرا اذا شفي الياس بانه سيذبـح خروفا . وقد شفي الياس . هـل رايت الخروف الذي اشتروه منـذ ايـام ؟ »

فقال سلوم : « نعم . الم نأخذ له كيسا من الحشيش من حواكير التين؟ اذن سيذبحونه غدا ؟ »

ـ نعم . وسيطبخونه مع الارز ، ويوزعونه على الناس . وسوف يغنون بعد الصلاة ، ثم يحضرون الاكل .

ـ انذهب الى الخضر ؟

ـ طبعا . وسوف نأكـل الارز واللحم .

وكان عشاء سلوم مع والديـه واخوته ذلك المساء شوربة عدس . فلما عرف ذلك سلوم قال لامـه : « اف ! عدس مرة اخرى زهقنـا العدس . »

فقالت امه : « وماذا تريد ؟ دجاج محمر ؟ »

ـ لا . شوية لحم .

ـ لحم يا مقصوف في اثنـاء الاسبوع ؟ ساطبخ لكم راس خروف مع مقادم يوم الاحد .

ـ اوه . . زهقت الرؤوس والمقادم. نريد شوية لحم .

ـ تريد ضربة على قفاك ! مـن الفجـر حتى غروب الشمس ابوك يشتغل ولا يقول مثل هذا القول .

ـ لماذا لا تشترين لنا شوية لحم ؟

ـ بماذا اشتريه لك ؟ بقمـل راسك ؟

فقال سلوم وقد سلم امره لله : « غدا ساذهب الى الخضر . وقـد نذر ابو الياس ان يذبح خروفا لشفاء ابنه . سيكون هناك لحم كثير . »

وفي الصباح الباكر افاق سلوم على صوت امه وابيه وهما يتكلمان ، وامه تروح وتجيء ببابوجها المطقطق على ارض الغرفة العاريـة . فرفع عن نفسه لحافا اهترات منه الحافـة التي من دابه ان يضعها تحت ذقنـه كلما نام . واذا موسى يطل حبيا حذرا من الباب ثم يرسل صوته الرفيع الى الداخل : « يلا يا سلوم . اما قمت بعد »

فنهض سلوم ولبس بنطلونـه وقميصه بسرعة .

وقالت امه : « والله ما فرغت لارقع رجل بنطلونك الممزقة . » ثم التفتت الى اخوته النائمين الواحد تلو الاخر على الارض ، وقالت لابيه « ما نلحق عليهم ! بنطلون سلوم ما صار له شهر بعد . ولكنه كالشيطان يتسلق الشجر ويتمرغ في التراب ولا يشفق علـى ثيابـه . »

واحس سلوم احساسا غير ملموس بالرقعة الكبيرة التي على مقعد بنطلونه والتي اقتطعتها امه من بنطلون قديـم لاخيه الاكبر .

وبعد الغسيل والفطور خرج سلوم وصديقه الى الحوش وصعدا منـه الى حاكورة التين ومنه الى الطريق ، وفجاة لاحظ ان موسى يلبس حذاء ، فقال : اتدري ان امي ما عرفت انني خرجت حافيا ؟ اني اكره الحذاء . ولكنها تصر علي بان البسه يوم الاحد وايام الاعياد . »

فقال موسى : « انتظرني هنا دقيقة لكي اعود الى البيت وانزع حذائـي واجيء حافيا انا ايضا . بس اخاف ان تراني امي . »

وانطلق راكضا الى بيت مجاور . وفي الحال تذكر سلوم امرا جعله هو ايضا يهرول عائدا الى بيته ، فقالت امـه :

« لماذا رجعت ؟ »

فأجاب وقـد يمم شطر الخبز المحفوظ في « الباطيه » :

« اريد قطعة خبز . »

واخذ كسرة مضى على خبزهـا ثلاثة ايام او اربعة . ودسها في جيب بنطلونه الصغير ، فانتفخ بها الجيب ، وعاد الى حاكورة التين ومنها الـى الطريق ثانية . وبعد لحظة جاء موسى حافيا مثله ، وانطلقا نحو دير الخضر كأنهما ذاهبان الى حيث الافراح لا تنتهي . واقدامهما تبيض شيئـا فشيئا من الغبار المتراكم .

اوووووف . . . والغبار على اغصان الزيتون يكاد يهتز من رجرجة التنهدة وهي تمتد وتمتد وتلتف حول الرجال والنساء والاطفال ، وتتسع في دوائر متلاحقة تضم الظلال والشمس الملتمعة واشجار الزيتون المتباعدة ومن تحتها من معيدين . والدخان من تحت القدر الكبير يتصاعد مع النغم ليتلاشى في انسيابات كانسياب الحنين الملحن . وخطرت ببال سلوم اغنيته الوحيدة :

الجمال محملة

والاجراس بترن

ودفع قدميه الحافتين في الارض يحس بهما البرودة الندية في اطواء التراب السفلى ، وخيل اليه ان اجراسا ترن من بعيد .

جاءت ام الياس وهتفت بالرجال :

« يلا يا جماعة . »

فانقطع الغناء فجاة ، وضرب عازف العود اوتاره مرتين او ثلاثا قبل ان ينتبه الى ذلك ، ثم دس الريشة بين الاوتار عند عنق العود ، ووضعه جانبا .

وما هي الا لحظة حتى مـــدت الحصيرة وملأت قرقعة الصحون المكان ، وعلت صيحات النساء والرجال وهم يمدون المائدة . صحن هنا ، صحن هناك ! صحن لابو سمير . يلا يا ابوديع . خبز ، ملاعق ، ملاعق ! » ووقعت الملاعق على الحصيرة الممتدة برنـين جاد يطيب سمعه للجائعين . ثم جعلت النساء يحضرن الارز في آنية كبيرة ، مكللة بقطع اللحم ، ويضعنها على الحصيرة امام الرجال وامتدت اليها الايدي والملاعـق تفرغها في الصحون ، وتهافت عليها عدد مـن الصبية ، فصاحت ام الياس :

« يا اولاد ! انتم بعدين . الاولاد بعدين . الرجال بالاول . من ايـن جاء هؤلاء الاولاد كلهم ؟ يا قطيعة ! » فتراجع بعض الصبيـة لينتظروا الوجبة التالية . وهتفت ام اليـاس تخاطب الرجال : « كلوا بالهنـــا والعافية . تحرك يا ابو جورج ، املأوا له الصحن مرة ثانية يا جماعة ! لحمة من الفخذ لابو عبدالله ... »

وراى سلوم من صخرته ابا جورج يدلي راسه المكور فوق بطنه المستقر في حضنه ، ويرفع الارز الى فمه الفاغر ويعلق الكثير منه بشاربيـه وزاويتي فمه ، فيدفعه بين شفتيه بقطعة لحم امسك بعظمتها ينزع عنها اللحم باسنان قوية . وامتلأ صحنه من جديد . وغارت قدما سلوم في التراب الندي .

وتقدم بعض الصبية من المائدة مرة اخرى ، فصاح احد الرجال بهـم « ابعدوا شوية ! انتظروا شوية ! »

فجاءت احدى النساء اليهـــم وشتتتهم ، فتراجعوا الى الوراء كسرب فزع من الدجاج . وتعثر احدهم وهو يتقهقر بسلوم الجالس على الحجر وقدماه مغروزتان في التراب ، فأحس سلوم لما رآه بخجل حاول ان يغالبه فلم يستطع ، واذا هو يقوم ويتراجع عن مقعده خطوتين او ثلاثا .

« يلا يا بنات ! » صاحت ام الياس بالنساء ، فجئن يحملن اطباقا من الارز من جديد ، ولكنها كانت اقل امتلاء من قبل وقطع اللحم التي تكللها اكثر تباعدا . وقام الرجال الواحد تلو الاخر ليصبوا المياه من الجرار والتنكات على ايديهم ، بينما احتلت النساء امكنتهم وتجمع الصبية حول الصحون .

وشعر سلوم بجوع هائل ، كأن هاوية قد انشقت في معدته عن فراغ يجب ملؤه . فقام من مكانه ، وخطا نحو الطعام .

فصاحت ام وديع : « من اين جاء هؤلاء الاولاد كلهم ؟ اما يستحون ؟ » ودفعت صبيين بدا لها انهما غريبان ، وكان سلوم وراءهما فاصطدما به ، ولما اندفع الى الامام ، اصابته كف ام وديع وهي تصده قائلة : « يا عمي ! ولد وراء ولد ! ! اي روحوا عند امهاتكم ! شو هالمصيبة ؟ »

فشعر سلوم عندها كأن الهاوية التي في احشائه قد انسدت . وراى موسى مكبا على الارز يحشو به فمه بيده ، غير ان دفعة المرأة له جعلته يتراجع ، فادار ظهره لمنظر الطعام ، واحس كأن هناك من يركله على اليته ويبعده كالكلب . فكان مشيه على التراب بين الصخور والشجر بطيئا اولا ، ثم اخذ يتسارع ، ثم تحول الى ركض ، وهو لا يدري الى اين هـو راكض بمثل تلك السرعة . غير انه ادرك انه لا يريد ان يسمع اصوات الذين ياكلون وراءه .

وعندمـــا بلغ الدير ، مشى الى الناحية الاخرى من البنيان العتيق حيث كان في الظل عين جارية ، ياتي اليها المعيدون ليملأوا منها جرارهم وتنكاتهم ثم يعودون الى الاشجار التي يجلسون في افيائها .

فجلس على حجر وشعر برغبة عنيفة في البكاء ، ولكنه عقد العزم على الا يبكي . ثم اخرج كسرة الخبز من جيبه ، ونفض عنها ما علق بها من غبار ، واطبق اسنانه عليها ، غير انها كانت قد غدت كالعظمة بحيث لم يستطع ان يستقطع لقمة منها ، وسقف حلقه جاف من كل لعاب .

فتقدم من العين ، وانحنى فوقها وسمح للماء بالانصباب على الخبزة حتى تبللت من كل نواحيها ، وشعر في اثناء ذلك بالماء يتراشق باردا منعشا على قدميه وساقيه ، فيرسم في غبارهما زخارف كثيرة ، فانتصب واقفا ومد رجليه الى الدفق الناعم ، وعض الخبز البليل وهو يرقب قدميه تنظفان اكثر فاكثر .

ثم نقع خبزه مرة اخرى ، ومشى الى صخرة قريبة وقدماه تقطران ماء وجلس عليها لياكل غداءه وقال لنفسه : « مليح الي جبت خبزي معي ... »

وبعد قليل سمع صوت جماعة من المغنين وراءه . تصفيق زغاريد تصفيق . اغنية جديدة لم يكن قد سمعها من قبل . فاستدار نحو المغنين ، وتذكر كلمات اغنيته من جديد :

« الجمال محملة ... »

ثم قال بصوت مسموع : « محملة ... باي شيء محملة » وتصور الجمال تحمل اكياسا منتفخة بما فيها دون ان يعرف ما الذي فيها : واذا موسى ينحدر في اتجاهه ويصيح :

« سلوم ! »

فازدرد بسرعة آخر لقمة كان يمضغها لئلا يعرف موسى بما حدث وقال :

« الا تريد ان تغسل رجليك ؟ »

فقال موسى : « اكلت ؟ »

ـ نعم .

ـ اكلت لحما ؟

ـ طبعا .

ـ اما انا فلم احصل الا على قطعة صغيرة .

فقال سلوم : « كلها واحـــدة . صغيرة او كبيرة . »

فاتجه موسى نحو العين وشرب من مائها وغسل رجليه ثم عاد الى صديقه وجلس على الصخرة بقربه .

بغداد — جبرا ابراهيم جبرا

عاصفة

✱

للريح في كبد السمـــاء شكاية المتوجـع
ولرعشة الفصن النحيل تضرع المتخشـع
والطير في شبه الذهول ولوعـــة المتفجع
درجت الى اعشاشها شتى الوساوس لا تعي
ورنت الى الافق البعيد بمقـلة المتطلـع
فامضها ان ابصرت قطـع الرياض كبلقع
والكون في حلل الدجى كالراهـب المتضرع
والارض تزخر بالعواصف مثل يم صاخب

★

تتكفا الاغصان كالسكير من عصف الريـاح
واها اذا اصطفقت حفيف مثل غمغمة النواح
واذا تمايلت الفصون كمرهق فوق البطاح
الفيتها تنزو على مضض كمقصوص الجناح
او مثلما ينزو جريح تحت اعبـاء السلاح
ان قام اقعده العياء وعاقه نزف الجراح
والريح تعصف بالفصون بكف عربيد وقـاح
شدا وجذبا مثلمـــا عبث الشجاع بهارب

★

تلقى الغمام يمور مصطخبا باجواز الفضاء
تجري العواصف بالغمام كماجرى حكم القضاء
وتراه أسلس للرياح قياد اعمى عن رضـاء
وتراه حين تهيجـــه الانواء معتكر الدلاء
متخبط في جهله يرغي ويزبـد من عيـاء
والسحب تضرب في الفضاء كحائر دون اهتداء
تحبو وتنزو كالسقيم امضـــه برح العناء
ان قام اعياه الضنى وثنـاه جهد اللاغـب

✱

والنهر في الليل البهيم يئن كالمضنى السقيم
تلقاه مضطرب الجوانب مثل شيطان رجيم
متململ في سيره كتململ البرم السليـم
اتراه محموما يعـاني نهشة الـداء الذميم
لا ياتلي كالصب ينفث زفرة الوجـد الاليم
ويمج كالمصـــدور انفاس الكآبة والهموم
او مثلما راح القبيـح يغط من نزف الكلوم
والريح مشرعة حبـال النهر رمح محـارب

✱

سكنت عوادي الدهر حين الصبح آذن بالشروق
وتنبهت عين الشقائق من كرى ليل سحيق
وتنفست قطع الرياض كمدنف من كرب ضيق
والطير قامت تمسح الاجفان من نوم عميق
بسم الزمان فماست الاغصان عن قد رشيق
لكن قلبي من عوادي الدهر موصول الخفوق
وعواصف الالم المرير تمج نارا في عروقي
لا تاتلي جياشة مثـلَ المغيظ الغاضب

دمشق — عدنان مردم بك

احمد ابو خليل القباني

بقلم الدكتور محمد يوسف نجم

°°°

لا نعرف للتمثيل تاريخا في سوريا ، قبل ظهور احمد ابي خليل القباني فيها ، حوالى سنة ١٨٦٥ (١٢٨٢ هـ) . وان كنا نعرف انه كان من عادة مدارس الارساليات في القرن الماضي ، ان تقدم مسرحيات عربية يمثلها الطلبة ، في نهاية العام الدراسي . ونحن نقدر ذلك تقديرا ، رغم اننا لم نعثر على خبر يفيد وجود مثل ذلك في سوريا . ونبني تقديرنا هذا على شيوع هذا التقليد في مدارس الارساليات في لبنان . ولا يستبعد انيكون الامر على ذلك في مدارسها في سوريا . فقد كانت ترمي من وراء ذلك الى اهداف تربوية وثقافية ودينية .

***

ينتسب القباني الى اسرة تركية ، كانت تسكن في قونية ، وهاجرت منها الى دمشق ، واتخذتها وطنا لها . وولد احمد سنة ١٢٥٢ هـ (١) . وتعلم القراءة ومبادىء العلوم في احد الكتاتيب ، ومنه انتقل الى مدرسة ابتدائية . وعندما شب عن الطوق ، اخذ يحضر حلقات الدرس في المساجد والبيوت . ثم اشترى قبانا وجعل القبانة مهنة له (٢) . وكان اثناء ذلك ينمي ميوله الموسيقية والغنائية ، وياخذ عن اهل المذاهب . ومن اساتذته في الموسيقى ورقص السماح ، الشيخ احمد عقيل الحلبي (٣) . وقد اكتسب من الشهرة في فن الموسيقى والغناء ، ما جعل اساتذة هذه الفنون يلهجون بذكره ويشيدون بمقدرته وبراعته ، ويرجعون اليه وبخاصة عندما انتقل الى مصر ، ليبذر فيها بذور هذا الفن الجديد .

ويحدثنا مؤرخ سوري معاصر عن نشاة هذا الفن في سوريا ، وينسبه الى القباني ويقصره عليه . قال :

« بيد ان العصر الاخير لم يضن على الشام بتجلي الآداب الرفيعة فيه . فقام فيها سنة ١٢٨٢هـ وفي دمشق ايضا ، رجل من ابنائها هو السيد احمد ابو خليل القباني ، من المبرزين في الموسيقى المشهود لهم بالاجادة : فانشأ دارا للتمثيل ، وبدا يضع روايات تمثيلية وطنية ، من تاليفه ونظمه وتلحينه ، ويمثلها فتجيء دهشة الاسماع والابصار . لا تقل فيالاجادة ، من حيث موضوعها وازياؤها ونغماتها ومناظرها عن التمثيل الجميل في الغرب .

واعتاض اول مرة عن النساء بالمرد ، ولما انتقل الى مصر ، لنشر فن التمثيل العربي هناك ، عاد الى الطبيعة ، واستخدم في كل دور من يصلح له من الجنسين . ووجه الفخر في ابي خليل انه لم ينقل فن التمثيل عن لغة اجنبية ، ولم يذهب الى الغرب لغرض اقتباسه ، بل قيل له ان في الغرب فنا هذه صورته فقلده . وقيل انه شهد رواية واحدة مثلت امامه . ولما كانت عنده اهم ادوات التمثيل ، وهو الشعر والموسيقى والغناء ، وراى انه لا ينقصه الا المظاهر والقوالب ، اوجدها واجاد في ايجادها » (٤) .

ياتي كرد علي في حديثه هذا بخبر لم نتاكد من صحته ، وهو انه شاهد مسرحية تمثل امامه ، ويفصل لنا كاتب آخر هذا الخبر فيقول :

« وفي عهد ولاية صبحي باشا (٥) ، حضرت الى دمشق من فرنسا فرقة تمثيلية ومثلت في مدرسة العازارية روايات اجتماعية واخلاقية في باب توما (٦) . وهي اقدم مدرسة لدينا كانت تقوم ولا تزال قائمة حتى الان بتعليم اللغة الفرنسية . وكان القباني قد شهد هذه الروايات جميعها ، واخذ فكرةعن المسرح والتمثيل والممثلين ، وتوزيع

(١) هنالكروايات تشير الى انه ولدسنة ١٢٥١هـ. وقدذكر ذلك ادهم الجندي في مقال نشره في جريدة « اللواء » السورية في ٣٠ نوفمبر ١٩٥٢ . وهنالك رواية اخرى تشير الى انه ولد سنة ١٢٥٨هـ وقد ذكر ذلك تلميذ القباني وصديقه كامل الخلعي ، في كتابه « الموسيقي الشرقي » ص ١٣٧ .

(٢) هذه المعلومات مستقاة من مقال للاستاذ ابراهيم الكيلاني نشره في العدد الاول من مجلة « المعلم العربي » السورية (يناير ١٩٤٨) . ومن مقال للاستاذ حسني كنعان نشره في مجلة الرسالة عدد ٧٩٦ ، (٤ اكتوبر ١٩٤٨) . ومن كتاب « الموسيقي الشرقي » لكامل الخلعي ص ١٣٧ .

(٣) محمد كرد علي ـ « خطط الشام » ج ٤ ص ١١١

(٤) محمد كرد علي ـ « خطط الشام » ج ٤ ص ١٤٣ ـ ١٤٤

(٥) كان واليا على سوريا سنة ١٢٨٨ ـ ١٢٨٩هـ

(٦) يذكر ابراهيم الكيلاني في مقاله المشار اليه سابقا ، ان القباني شاهد في هذه المدرسة تمثيل مسرحيته « البخيل » لموليير

الادوار والمكياج فتمم بذلك ما كان ينقصه من فكرة التمثيل والمسرح ، وامسى اكبر همه ان يؤسس في دمشق مسرحا ويؤلف فرقة . بيد ان الذي عاقه عن المضي في سبيله ، قضية ظهور الفتيات على المسرح ، وما يعتور هذه الفكرة من طرق شائكة وصعاب وعقبات » (٧).

ونحن لا نتقيد بما جاء في هـــذه الاخبار ، التي لا تعتمد على وثائق علمية او حقائق مثبتة ، بل نذهب الى غير هذا فنقول، ان اخبار مارون النقاش ومدرسته المسرحية في لبنان ، كانت قد وصلت الى دمشق ، ونقلت اليها نبأ هذا الفن الغريب الذي جلبه من ايطاليا ، ذلك التاجر اللبناني المتادب . ولا استبعد ان يكون ابو خليل ، قد شاهد احدى هذه المسرحيات تمثل في موطنها الاول ، اوانه قابل احدا ممن شاهدوها ، او انه شاهد احد الاجواق اللبنانية يمثل في دمشق .

وهنالك اشارة اوردها طرازي في « تاريخ الصحافة العربية » ، تفيد ان احد الاجواق اللبنانية مثل مسرحية في دمشق حوالي سنة ١٨٦٨ . قال ــ والحديث عن الشيخ ابراهيم الاحدب ــ :

« وكان له كلف بالروايات ، حتى بلغ ما جمعه منهـــا نحو عشرين رواية ، بعضها مبتكر له ، وبعضها ماخوذ من التاريخ او مترجم من لغة اوروبية ، كرواية « اسكنـــدر المكدوني » ورواية « السيف والقلم » ورواية « المعتمـــد بن عباد » وغيرها . وقد بلغت شهرة رواياته مسمعي راشد باشا ، والي سوريا في دمشق ، فاعجب ببراعة منشئها . ولما اراد ان يحتفل بختان انجاله ، في نواحي سنة ١٨٦٨ ، كلف صاحب الترجمة ان يعلم رواية « اسكندر المكدوني » لجوق من الممثلين ، ويذهب بهم الى دمشق لاجل تمثيلها . ففعل الشيخ ذلك ، وكان لتمثيل الرواية صدى استحسان لم يزل يردده سكان الفيحاء الى الزمن الحاضر » (٨).

***

ونحن لا نعلم التاريخ الدقيق لبداية اشتغال القباني بهذا الفن ، وان كانت بعض المراجـــع تقدر انه بدا سنة ١٢٨٢هـ (١٨٦٥) . والذي نعرفه ان عمله الجدي ، بدا في ولاية مدحت باشا (٩) على دمشق ، حوالى سنة ١٨٧٨، فيكون بذلك قد شاهد هذه الفرقة اللبنانية ، وشاهد غيرها مما لا تحفظ لنا المراجع اخبارها ، لتفاهة مثل هذه الاخبار في نظر المعاصرين . ومن ناحية ثانية ، استبعد كثيرا ان يبدا القباني نشاطه التمثيلي في دمشق حوالي سنة ١٨٦٥، ويستمر فيه حتى سنة ١٨٨٤ ، عندما هاجر الى مصر . فالرجعية لا يمكن ان تتغاضى عن بدعته هذه طوال هـــذه المدة ، دون ان تقوض دعائم مسرحه .

مثل هذه التقديرات والاخبار ، تعيننا على تخمين المنبع الذي استقى منه القباني . فنحن لا نؤمن بالطفرة ، بل نربط النتائج دائما باسبابها ، خفية كانت ام ظاهرة .

والذي لا شك فيه ، ان الذي ساعد القباني ، على ان يتمثل روح هذا الفن تمثلا يكاد يكون صحيحا ، هو علمه بالموسيقى والغناء ، وهما دعامتا هذا الفن ، على الصورة التي اتى بها النقاش . اضف الى ذلك ، انه كان يحسن نظم الازجال والاشعار ، وله قدرة على ربط الحوادث في شكل قصصي ، يضيف اليها ذلك الحوار الساذج المتكلف . واثر هذه المحاولة واضح في مسرحيته الاولى « ناكر الجميل » . وقد كان بين يديه آنئذ ، تلك الكتب الشعبية ، التي طالما تداولتها ايدي ابناء هذه البلاد في بيوتهم ، وطالما قراوها في سهراتهم ، او استمعوا اليها حين كان يقصها الشعراء الشعبيون في المقاهي ؛ ونحن نلمس اثر « الف ليلة وليلة »، وغيرها من القصص الشعبي ، واضحا في تلك المسرحيـــات التي نقلها معه الى مصر .

ولعله اطلع كذلك ، على بعض المسرحيات التركية ، التي ترجمها او الفها بعض ادباء الترك في القرن الماضي . ونحن نعلم ان حركة التجديد في الادب التركي ، بدات

(٧) حسني كنعان ــ « ابو خليل القباني باعث نهضتنا الفنية » ــ مجلة الرسالة العدد ٨٠٤ ، (٢٩ نوفمبر ١٩٤٨) ص ١٣٥٢.

(٨) طرازي ــ « تاريخ الصحافة العربية » ج ٢ ص ١٠٣ ــ ١٠٤

(٩) الولاة الذين عاصرهم القباني في دمشق هم : عبد اللطيف صبحـــي باشا (١٢٨٨هـ) ، ومحمد حالت باشا (١٢٨٩هـ) ، واسعد باشـــا (١٢٩٢هـ) ، واحمد حموي باشا (١٢٩٢هـ) ، وراشد ناشد باشا (١٢٩٣هـ) ، وضيا باشا (١٢٩٣هـ) ، وعمر فوزي باشا (١٢٩٤هـ) ، واحمد جودت باشا (١٢٩٥هـ) ، ومدحت باشا (١٢٩٥هـ) ، واحمد حموي باشا ، للمرة الثانية (١٢٩٦ ــ ١٣٠١ هـ) .

حوالي منتصف القرن الماضي . وقد اتصل الادباء الاتراك المجددون ، بالادب الاوروبي ، وترجموا بعض آثاره ، ومنها بعض المسرحيات ، كمسرحيات موليير وراسين وغيرهما . وكذلك الفوا للمسرح ، ونذكر منهم على سبيل التمثيل شناسي افندي (١٨٢٤ — ١٨٧١) ، وهو شيخ المجددين. وقد الف بعض المسرحيات ، منها مسرحية « زواج الشاعر»، وترجم « أندروماك » و « استر » و « أتالي » عن راسين . ومنهم ضيا باشا (١٨٨٠) وقد ترجم « طرطوف » لموليير، واخيرا « نامق كمال » ، الذي عني بالمسرح عناية فائقة ، وكتب بعض المسرحيات الوطنية ، منها «الوطن اوسلسترة»، و « كلنهال » و «عاكف بك» و « زوالي جوجوق » وغيرها.

اقدم القباني على محاولته الاولى ، وامامه تلك النماذج في اشكالها الساذجة ، التي تقوم على الغناء والموسيقى والرقص ، او في اشكالها المتقنة ، التي ربما يكون قد قراها في الادب التركي . والف من هذا الخليط ، الذي انصهر في بوتقته الخاصة ، مسرحيته الاولى « ناكر الجميل » . ودرب اصدقاءه وسمار لياليه على تمثيلها ، وقدمها في بيت جده ، كتجربة ، ان كتب لها النجاح ، ولاقت من مشاهديها في تلك الحفلات الخاصة ، حسن القبول ، تقدم بها الى الجمهور ، وهو الحكم الاخير ، وبيده ، ان شاء ، انجاح هذا الفن الناشيء ، او القضاء عليه قضاء مبرما .

وكانه اقتنع بنجاح هذه التجربة ، وقدر ان الجمهور الذي سيشاهدها ، على تأخره ، سيستقبلها احسن استقبال . فعقد العزم على الظهور بعد الخفاء . وشجعه على ذلك ان الوالي « صبحي باشا » ، شاهد احدى هذه المسرحيات ، في حفلة خاصة اقيمت على شرفه ، فاعجب بها وشجع صاحبها على المضي في هذا السبيل ، والخروج بها الى الجمهور ، على ما كان عليه آنذاك من الجهل والتأخر والرجعية .

وخرج الى الجمهور ، بمسرحيته « وضاح » ، وقيل انه الفها في ثلاثة ايام ، ولحنها ووزع ادوارها على اصحابه، ومثلت في بيت احدهم اولا ، على سبيل التجربة ، ثم مثلت امام النظارة ، في كازينو الطليان ، في محلة باب الجابية عند سوق مدحت باشا . (١٠)

وفوجيء الجمهور بهذا العمل الجريء ، ودهش لهذا الفن الجديد ، يقدمه اليه دمشقي من ابناء وطنه ، فاقبل عليه وشجع صاحبه .

ثم نقل الوالي «صبحي باشا» ، نصير القباني وظهيره، واتى من بعده ولاة ساروا على خطة سلفهم في تشجيعه والاخذ بيده ، الى ان آل الامر الى ابي الاحرار مدحت باشا (١٨٧٨ — ١٨٧٩) ، فكانت للقباني نقلة جديدة ، خطا بها خطوة فسيحة ، في سبيل الوصول الى اهدافه الفنية .

***

(١٠) ابراهيم الكيلاني — « احمد ابو خليل القباني » — مجلة المعلم العربي، العدد الاول ، يناير ١٩٤٨ ص ٤٦ .

تروي المراجع هنا ، ان مدحت باشا ، تمشيا مع خطته في الاصلاح ، كلف اسكندر فرح ، وقد كان معاونا بدائرة الاجراءات الجمركية في دمشق ، بان يؤلف فرقة للتمثيل ، « لما عهد فيه من الميل اليه والالمام به . وسمح له بان يزاول عمله في وظيفته مدة ساعة كل يوم ، ليباشر بقية النهار ، تدريب الممثلين على العمل . فاتفق مع المرحوم احمد ابي خليل القباني الملحن المشهور ، واستأجرا بجنينة « الافندي » بباب توما ، من احياء المدينة ، مكانا فسيحا مثلا فيه اولا رواية « عائدة » (١١) . وامد الفرقة مدحت باشا بمبلغ عشرين الف قرش من عملة دمشق ، لتشتري به ملابس للممثلين وغيرها . فاقبلت الجماهير على سماعها مرارا عديدة ، واستمر اقبال الناس عليها ، على تكرار تمثيلها ، حتى اخذ ابو خليل واسكندر فرح يفكران في ايجاد روايات اخرى ، نزولا على رغبة الوالي . وما كادت الفرقة تمثل رواية ابي الحسن (١٢) ، حتى قام بعض المشايخ الرجعيين وقعدوا ، لظهور هرون الرشيد على المسرح ، على شكل ابي الحسن المغفل . ورفعوا احتجاجا بذلك الى الحكومة العثمانية بالاستانة . فاصدرت ارادة شاهانية بمنع التمثيل العربي في سوريا » (١٣).

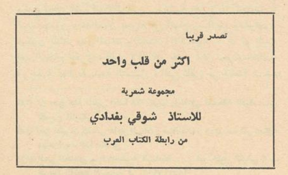
ويروي لنا احدى الادباء ، قصة تشجيع مدحت باشا له، فيقول :

« ولما كلفه بتمثيل رواية ليشاهدها بنفسه ، ارتد اليه روعه ، واطمأن على حياته . فامتثل للامر ، وشرح له بان التمثيل يحتاج الى مسرح وادوات تمثيلية لا بد منها . فامر ان يعطى من بلدية دمشق تسعمائة ليرة ذهبية لهذه الغاية . واستعد الفقيد على قدر الامكان . وقد دعا

(١١) ترجمها سليم النقاش عن اوبرا « عايدة » المعروفة التي لحنها فردي.

(١٢) هي مسرحية « ابو الحسن المغفل او هارون الرشيد » ، تأليف مارون النقاش . وقد ظهرت في بيروت في مجموعة « ارزة لبنان »، سنة ١٨٦٩ .

(١٣) قسطندي رزق — « تاريخ الموسيقى الشرقية » ج ٢ ص ١٧١ . وان صح هذا الخبر ، بتفاصيله ، فانه يدعم راينا في تأثر القباني بالمسرح اللبناني ، اذ انه اعتمد على بعض مسرحيات مارون النقاش ، وابن اخيه سليم .



الوالي مدحت باشا المشائخ لمشاهدة التمثيل بحضوره ، ومثل القباني رواية « الشاه محمود » ، واستعان بآنستين كليهما من لبنان هما (بيبة ومريم) (١٤) ، وبفتيان مرد هم موسى ابو الهيبي ، وهو مسيحي من باب توما ، وتوفيق شمس وراغب سمسمية من مسلمي دمشق للقيام بادوار التمثيل . فكان الوالي معجبا من براعة الفقيد بالتمثيل ، ومسرورا لهذا النجاح الذي كان وليد اقتراحه . وابتسم الدهر للفقيد ، رحمه الله ، واغتبط لاقبال الاهلين على مشاهدة التمثيل ، وتشجيع الوالي لفنه ، الذي كان له اعظم الاثر في منهاج حياته ، فعمد لبيع حصته من ارض قرية جديدة عرطوز ، وحصة من املاكه بدمشق مع القبان الذي يملكه ، وصرف المبالغ على انشاء المسرح بشكل فني ، فبلغت تكاليفه مع لوازمه كالبسة الممثلين والسيوف والمناظر والستائر الملونة ، مبلغ الفي ليرة عثمانية . وهو مبلغ ضخم بالنسبة لذلك العهد . وبدا التمثيل في عام الف وثمانمائة وتسع وثمانين (١٥) ، في البناية التي استاجرها في خان الكمرك المشهور ، الواقع في منطقة باب البريد . فكان ثمانون بالمائة من اعيان دمشق واتباعهم يدخلون المسرح لمشاهدة التمثيل ، دون ان يدفعوا بدل الدخول . وكان رحمه الله يقابلهم بالبشاشة والترحاب ، رغبة في تنوير الاذهان وليعلموا ان التمثيل يدعو الى مكارم الاخلاق والمباديء القومية . وقد قام بالتمثيل سنة واحد عشر شهرا ، على احسن ما يرام ، بالنسبة لتقدم الفن . وعلى اسوا ما يكون بالنسبة الى المادة . اذ كانت الواردات تسدد النفقات فقط ، دون ان يجني الفقيد شيئا من الارباح لقاء أتعابه » (١٦) .

وتروي لنا المراجع السورية ، ان حملات الرجعية توالت عليه ، فكان يسترضيهم بالرفق حينا ، وبالرشوة احيانا . الا ان حبل الاسترضاء ما عتم ان انقطع ، وثارت ثائرة هؤلاء الشيوخ ، وبخاصة بعد انتهاء ولاية مدحت باشا على سورية .

ويحدثنا كاتب سوري آخر عن هذه الحملة ، وعن اسبابها ومظاهرها ، فيقول :

« لكل جديد دهشة ، ولكنها دهشة تجعل الناس في وضع تحفز للثورة والانتفاض . دهشة يخدع بها المجددون ، فيتشجعون ويندفعون بجراة في اتمام رسالتهم ودعوتهم . فيكون بذلك بدء الشك والنقمة والاضطهاد . اذ لم يلبث بعد النجاح المغري ، الذي لاقاه ابو خليل ، ان تحركت عناصر الرجعية لمحاربة بدعة التمثيل ، التي تلقى في ايامنا هذه خصوما اشداء من الرجعيين والجامدين . وكان ابا خليل ، بما فطر عليه من لطف الحس ، قد تنبه الى الخطر المحدق بحركته الفنية ، وهي لما تزل في مهدها . فعمد الى استرضاء زعماء الرجعية ، المتسلطين على الجهال والرعاع ، فقاسمهم الربح . ويظهر ان نصيب احدهم ، الشيخ سعيد الغبراء ، الذي تسلط على عقول الغاغة ببيانه ولسنه ، كان ضئيلا . فشد رحاله الى الاستانة عاصمة الخلافة ، لما اعجزته الحيلة عن محاربة ابي خليل في بلده . فانتهز فرصة وجود السلطان عبد الحميد الثاني في صلاة الجمعة ، فانبرى الشيخ الغبراء من بين صفوف المصلين يخطب بحماسة ، منذرا خليفة المسلمين بالبدعة الجهنمية التي تهدد عقيدة المسلمين ، وتحدث الفتن ، وكان مما قاله مستغيثا : ادركنا يا امير المؤمنين ، فان الفسق والفجور قد تفشيا في الشام ، فهتكت الاعراض وماتت الفضيلة ووئد الشرف واختلطت النساء بالرجال .

فكان ان صدرت الارادة السنية الى حمدي باشا ، والي الشام ، بمنع ابي خليل من التمثيل ، واغلاق مسرحه » (١٧) .

اغلق مسرح القباني ، ووجد خصومه الفرصة سانحة للنيل منه . فاغروا به صبية الازقة ، وحفظوهم بعض الاغاني والاشعار ، ليشتموه بها كلما قابلوه في الطريق . وقد قيل في هذه المناسبة اشعار كثيرة ، ظل السوريون يرددونها امدا طويلا .(١٨)

وبهذا اسدل الستار على الفصل الاول من حياة القباني في وطنه الاول . ولم يعثر في المراجع على ما يشير الى ان تاثيره في دمشق استمر ، فكانت له مدرسة تقوم على رعاية التراث الذي خلفه لها ، كما كان لمارون النقاش ، صنوه وزميله في لبنان . وقد ذكر كرد علي ان التمثيل في دمشق رجع القهقرى بعد ابي خليل ، قال :

« ولما كان التمثيل كما قلنا عارضا على مدنيتنا ، رجع القهقرى بعد ابي خليل وظل الى يومنا هذا يمشي مشيا ضعيفا ، بالنسبة لسائر مشخصاتنا ، فلم تقم الى الان جوقة تمثيل وطنية » (١٩) .

الجامعة الاميركية — **محمد يوسف نجم**

---

(١٤) ان صح هذا الخبر ايضا فانه يدعم راينا في استعانة القباني بالمسرح اللبناني .

(١٥) نحن نعلم ان القباني هاجر الى مصر سنة ١٨٨٤ ، ولم يعد الى دمشق، ممثلا ، بعد هذا التاريخ

(١٦) ادهم الجندي ـ « العبقرية الشامخة ... ابو خليل القباني » ـ جريدة الفيحاء السورية في ١٩٥٢\٧\١٢ .

(١٧) ابراهيم الكيلاني ـ « احمد ابو خليل القباني » ـ مجلة المعلم العربي، العدد الاول ـ يناير ١٩٤٨ ص ٥٠

(١٨) نذكر منها على سبيل التمثيل :

ابو خليل النشواتي — يا مزيف البنات
ارجع لكارك احسن لك — ارجع لكارك نشواتي

✶

ابو خليل مين قال لك — على الكوميدي مين دلك
ارجع لكارك أحسن لك — ارجع لكارك قباني

✶

ابو خليل القباني — يا مرقص الصبيان
ارجع لكارك أحسن لك — ابو خليل القباني

(١٩) محمد كرد علي ـ « خطط الشام » ج ٤ ص ١٤٤ .

ليالي الصفصافة

[من « اغاني افريقيا » تحت الطبع]

محمد الفيتوري
من رابطة النهر الخالد

القاهرة

صفصافتي .. يا حلم الغدير ، يا جنتي .. وجنة الطيور
كم خفقت فوقك اغنياتي ، خفوق هذا الورق النضير
وانتفضت حولك تنهيداتي كأنها زنابق السعير
وكم توسدتك من سهادي ، وكم توشحتك من هجيري
وكم صباح ناعم أنيق ، كأنه في الافق كأس نور ..
لم تحلم الطير بأبهى منه ، ولا تشهت مهج الزهور
نادى دمي ، فاستيقظت حياتي على صدى هتافه المنير
وسرت في موكب ذكرياتي ، على ثرى معشوشب مطير
حتى اذا جئتك هللت لي غصونك الراقصة العطور
واستقبلتني فرحة الروابي ، واختلجت عمائق الغدير
ورحت في فيئك أجتليه ، وأطبق العينين في سرور !

***

وليلة .. كأنها كتاب بنفسجي أبيض السطور ..
جلست في حجرك مثل طفل مستغرق في سكرة الشعور
أقرأ ما ترسمه الدراري ، بريشة المبتدع القدير ..
وانت تحنين على ذهولي ، بقلبك المقدس الكبير
فتلثمين تارة جبيني ، وتلمسين تارة ضميري ..

***

صفصافتي .. يا حلم الغدير يا جنتي .. وجنة الطيور
لانت مثلي في طموح روحي ، وفي خمول جسدي الاسير
اغصانك الخضر محلقات كأنها اجنحة الاثير ..
تضرب وجه الريح في شموخ ، وتمنع السحب عن المسير
وفي الثرى جذعك مستكين تمتصه اجنة الصخور !

***

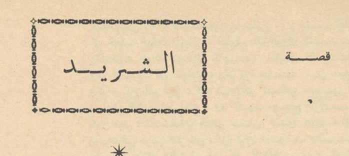
وانت مثلي في فرار نفسي من صخب المدينة المثير ..
لكنني اقتات بانفعالي في زحمة المجتمع الشرير !

***

وانت مثلي راهب غريب ، مفتكر في هيكل العصور
لكنما فكرك من ظلام ، وفكري من ظلمة ونور ..

***

وانت مثلي مخدع ظليل يحنو على البائس والفقير
لكنني أحنو على البرايا ، وانت تحنين على العبور !
صفصافتي .. يا حلم الغدير ، يا جنتي وجنة الطيور
زنبقة الصيف ذوى شذاها ، وانطفأت مواقد الهجير
وانطلقت افعى الخريف تسعى على سفوح الجبل الوقور
وسوف تعرى عودك الموشى من الوشاح الاخضر الحريري
وسوف تبدين على الدياجي ، تحت عيون المطر الغزير
مثل بغي صلبت يداها على جدار الظلمة الكبير ...
وسوف تجفوك شياه الراعي في رحلة الرواح والبكور
وسوف لا تذكرك القماري ، وجوقة البلبل والشحرور
الا انا سوف ترين ظلي يطوف في معبدك الطهور
يحلم بالصيف لتبصريه في حلمك المكتئب المغرور
ويسكب النور براحتيه ، على دجاك المقعد الضرير !



قصة

الشريد

بقلم الدكتور بديع حقي

✳

استيقظ احمد في الصباح على جلبة غير مالوفة لديه، لقد كانت امه هي التي توقظه عند متوع الفجر ، بيد ان امه قد ماتت منذ يومين ، لا ريب ان هذه الجلبة التي ايقظته قد تناهت اليه من جيرانه اللاجئين الذين يسكنون معه في هذه الغرفة من جامع (السباهية)

كانت الغرفة وسيعة مقسمة الى اطراف عديدة ، يحجز بينها ستائر مهترئة مرقعة ، تتصاعد منها رائحة نتنة اشبه برائحة التبن العفن ، ولعل هذه الستائر كانت من قبل اكياسا معدة لحفظ الحبوب ثم بليت وتناهبتها الثقوب فانتهى بها المصير الى الى ان تنشر بين جدران هذه الغرفة المظلمة لتفصل بين ساكنيها .

ولما فتح احمد جفنيه ، جاذبه شعور حلو بان نظراته ستصافح وجه امه الحنون ، تميل عليه في حدب وحنان . ودانى بين جفنيه ، كأنه يود ان يلاحق حلما ناعما ، وتوقع ان يسمع سعلتها الجافة ، القاسية ، تختنق في صدرها ، وتنثال من حلقها مشفوعة بهذه الجملة (آه يا رب خلصني) ثم تبصق في خرقة مهلهلة ، بصقتها الدامية ، توقع ان تمر راحتها المرتجفة ، المتعبة ، الندية على جبينه توقظه كعادتها عند منبلج الفجر ، غير انه لم يجدها الى جانبه وتذكر انه لم يرها البارحة ايضا ، لقد ماتت منذ يومين ، ولن تعود ، اجل لن تعود ، مثل ابيه الذي قتل في فلسطين منذ اربع سنوات ولم يعد ابدا .

ودفن وجهه في المخدة ، ليبكي ، في صمت ، بكاء مكتوما متقطعا ، لقد كان يخاف ان يعلو صوت نحيبه فقد انتهرته ليلة البارحة ام حسن الجارة البذيئة الصخابة ، لانه لم يتح لها سبيلا الى النوم ببكائه المتصل .

وشعر بانه اضحى الآن وحيدا ، بعد ان ماتت امه ، ولم يكد ، وهو بعد في العاشرة من عمره ، ان يعرف كيف سيعيش ، انه يحذق التسول بل السرقة ، ان الذي يحز في قلبه الصغير هو يقينه بانه قد فقد امه الى الابد .

وكانت الجلبة لا تزال تتردد في الغرفة ، وحزر احمد ان الجيران قد استيقظوا في هذه الساعة المبكرة ، ليستقبلوا اول يوم من ايام عيد الاضحى .

وسمع خفق اقدام تقترب منه ، وصوتا يقول له في نبرة لطيفة :

ـ لا تبك يا احمد ، هذه مشيئة الله .

ولم يكف احمد عن البكاء ، بل زاده هذا اللطف الذي يشيع في صوت (ابي حسن) اغراء بالنحيب ، ورفع راسه ونظر اليه ، وهو واقف قريبا من الحصير الذي الذي يتمدد عليه ، نظرة يائسة ضارعة ، ولمحه وهو يهز راسه في اسف ثم ينصرف ، واستند الى الحائط الرطب ، واتكأ بمرفقه على المخدة ، وازاح بقدميه الغطاء الرقيق الرث الذي كان يلتحف به ، ومسح بطرف كمه عينيه النديتين وانفه المبتل ، وجعل يتلفت حواليه كأنه يصر أن يرى امه مقبلة عليه ، فلم يلمح سوى الستارة الممزقة التي تفصله عن جيرانه وهي تهتز وتخفق كأن روح امه تجذبها وتنحيها الى جانب .

وبدت الغرفة في عينيه مظلمة معتمة ، كل شيء فيها قاتم حزين يذكره بامه الحبيبة ، حتى هذه المخدة الصغيرة التي لم تكن تسع راسيهما معا حين كانا يفيئان الى النوم ، ان فيها اثارا من امه ، فلا تزال فوقها بقعة من دم سعالها ، بقعة كبيرة ، حال لونها الاحمر وصار الى سواد كريه . وتذكر احمد تلك السعلة ، الجافة المجروحة ، المختنقة في صدر امه ، وشعر بحاجة ملحة الى ان يستأنف بكاءه الصامت المكظوم .

كانت الشمس قد نفضت اشعتها الاولى ، حين غادر احمد الغرفة المعتمة في جامع السباهية ، متجها الى مقبرة (الباب الصغير) .

وكان ممسكا بيده دلوا صغيرة فارغة ، جعل يراوحها الى الامام والخلف ، متلهيا عابثا ، فقد اعدته هذه البشاشة التي تترقرق على وجوه اكثر المارين في ذلك الصباح .

وقرّت الدلو في يده وتوقفت ، فقد تذكر احمد مصابه، وفكر بان روح امه لو راته يلهو كالاطفال لبادرته بالعتاب .

وكان يسعى حافيا ، وقدماه تتنقلان في خطى خفيفة ، فوق ارض الشارع ، وكأنه يسير على رؤوس اصابعه . ولم تكن الطريق قد نعمت باشعة الشمس الدافئة ، فسرت رطوبتها في قدميه الوسختين العاريتين ، وتمشّت في اوصاله فارتعش ونفخ في راحته ليهبها بلهاثه بعض الدفء،

ومد في خطاه مسرعا .

وراى على الرصيف طفلا يسير الى جانب امه ، مزهوا ببذلته الجديدة ، وبيده بندقية خشبية صغيرة ، يا لله .. لقد حظي بطربوش نظيف احمر !

ومد احمد يده في حركة نزقة فحك راسه ورفع خصلة من شعره الاشعث تزحف على جبينه وتضايق عينيه . وغمغم في حسرة :

– رباه متى سيتاح لي بذلة جديدة وطربوش احمر وبندقية مثل هذه البندقية ..

وتنهد ثم تابع سيره ، وتذكر انه قد اصاب في العيد الماضي خمسة وثمانين قرشا من سقاية القبور ، لقد تأخر في هذا الصباح ، فانه يرى كثيرا من الناس راجعين من المقبرة ، بعد ان ادوا واجب الزيارة الى موتاهم على اي حال ، سيجد بعض المتخلفين الذين يرغبون في الماء لسقاية قبور موتاهم ، وسيتيسر لديه مبلغ كاف لشراء حزمة من اغصان الآس يضعها على قبر امه ، افلم تقل له امه وهي تستوفي انفاسها الاخيرة :

– لا تنقطع عن زيارة قبري يا احمد .

وحين تذكر هذه الجملة، ارتجف فكه الاسفل وارتخى طرفا فمه واشفى على البكاء ، بيد انه غالب دمعه الذي كان يزحم فوق عينيه ، وجعل يدير نظراته في المخازن والدكاكين ، ليصرف رغبته الجامحة في البكاء .

وتساءل ، ترى كم يخبىء هذا العيد من مسرات ومباهج الى لداته الاطفال ؟ ينبغي عليه ان يحرم نفسه منها ، فقد ماتت امه منذ يومين ، عليه ان يبكي فحسب .

ولما وصل الى المقبرة ، الفاها حافلة بالناس ، وتبدت له النساء كغربان تقفز بين القبور والخرائب ، وسك سمعه اصوات بعض الاطفال السقاة المتنقلين ترتفع بهذا النداء .

– ربي ، عفوك ورضاك ..

اجل لقد اتقن ترديد هذه الجملة في العيد الماضي حين كان يسقي القبور ...

ونسمت في ذهنه ذكرى حزينة ، ذكرى جنازة امه كيف كانت تتهادى منذ يومين ، هنا ، غير بعيد منه ، لم يكن وراءها سوى ثلاثة رجال لا يعرفهم ، لقد مروا بالنعش، من هذه الطريق ، فيما يذكر ، لا ، لا ، بل من هذه الدرب الضيقة ، ثم ساروا بها بين القبور مسافة طويلة ، وتذكر ان احد حامليها قد تعثر باحد القبور وكاد يقع ولكنه تماسك وبصق على القبر الذي تصدى له ساخطا لاعنا .

ومسح احمد دمعة انحدرت على مسارب وجهه ، فقد تذكر كيف فارق امه بعد ان ضمها التراب .

وفزع الى النبع حيث يملأ الاطفال دلاءهم بالماء فاترع دلوه وعاد بها يحث خطاه بين القبور ، ورفع صوته المرتجف بهذا النداء :

– ربي عفوك ورضاك ....

وسمع طفلا يقول لرفيقه وهو يشير اليه :

– افلا ترى هذا الولد انه بصراخه يشبه فرخ ديك يزقو

آه .. لو لم يكن مشغولا بمصابه ، لرد هذه الاهانة وناجز هذا الطفل الساخر وضربه ...

وانصرف الى امراة عجوز تدعوه ليسقي قبرا امامها ، واراق الماء ويداه ترتعشان ، وانقبض قلبه وهو يسمعها تقول :

– الله يحفظك لامك يا بني

– لقد ماتت منذ يومين يا خالتي

قالها بصوت خفيض يشرق بالدمع ، ونفحته العجوز عشرة قروش وتمتمت :

– كان الله في عونك

وتركها احمد وهو يفكر ، بان الناس لو عرفوا مصابه لجادوا بالعطاء كما جادت هذه العجوز ، انه يود ان يشتري لامه حزمة من اغصان الآس ، لا ، بل حزمتين ، لقد راى بائع الآس عندمدخل المقبرةيبيع الحزمةبخمسة عشر قرشا.

وخيل اليه انه اقترب من الناحية التي يجثم فيها قبر امه ، فشعر بوجيب قلبه ، اجل سيقوم بزيارته للقبر بعد ان يشتري الآس ، وسترضى عنه امه وهي في التراب.

وتادى الى سمعه صوت حزين مبحوح يرتل القرآن داخل خيمة فخمة كبيرة منصوبة فوق قبر ، واجال عينيه في الخيمة الجميلة الحمراء ، وتذكر الخيمة التي كانت تظلله مع امه وبعض اللاجئين ، حين هربوا من صفد ، كان ذلك منذ زمن بعيد بعيد ، لقد كانت تلك الخيمة المهترئة المرقعة المغبرة اجمل في عينيه من هذه الخيمة لانها كانت تظلل امه الحبيبة .

ومسح انفه بكمه وابتعد ، ورامقت عيناه قبرا رخاميا كبيرا مزينا بالورد والآس ، قد انتصبت شاهدته عالية لتعانق اشعة الشمس ، وقد نقش فوقها بخط جميل اسود كتابة لم يعرف احمد ماذا تعني ، فما يعرف ان يقرأ.

واطرق احمد مفكرا ، مسكينة امه ، لقد دفنت في قبر حقير ، ولم تحظ حتى بشاهدة تدل عليها ، وشعر بان القدر قد جار على امه وهي حية وميتة ، فلم يتح لها قبر جميل ، كما يتاح للاغنياء من الناس حين يوارون في التراب .

وتلاشت هذه الخواطر التي كانت تدور في راسه الصغير المتعب ، فقد الح عليه الكثيرون لجلب الماء وكان يلبي الطلب وهو يقفز بين القبور خفيفا كالجرادة ، وكان يدير القروش براحته قطعة قطعة ، وبعدها في فرحة بريئة ساذجة ، لقد اصاب اربعين قرشا ، فليجتزىء اذن بما كسب لشراء حزمتين من الآس . واتخذ سمته نحو باب المقبرة .

وجال في ذهنه خاطر جريء ، انه يستطيع نزع حزمتين من الآس من احد هذه القبور الكثيرة المترامية في مدى الطرف ، دون ان يلمحه احد ، فقد ذهب معظم

الزائرين وخلت المقبرة . لا ، لا ، لن يعمد الى ذلك ، فما تجوز سرقة الميت ، سوف تلعنه روح امه وتقول له : لا اريد آسا مسروقا ، اريد آسا من كسب يديك .

وشعر احمد براحة وهو يصرف هذا الخاطر الجريء ، وتقدم من البائع لينقده ثمن حزمتين ، وانكفأ مسرعا في الطريق التي سلكتها جنازة امه ، لا ، لقد سارت في هذه الدرب الضيقة ، قريبا من هذا القبر الرخامي الكبير .

وتحدر العرق من جبينه غزيرا ، فمسحه براحته المرتجفة ، وجعل يدير عينيه الخائفتين حوله في قلق . تراه اضاع معالم الطريق الى قبر امه ؟ انه لم يعد يعرف في اي مكان دفنت فيه امه المسكينة .

وشرع يبكي في حرقة ومرارة ...

وكانت الشمس تبذل اشعتها قوية حارة ، فاحس باهاب جسمه يكاد يحترق من الحر ، وكان يتبدى مضطربا، هائما ، بين القبور المترامية كالامواج ، مثل غريق في اليم، تبحث يداه عن شيء يتعلق به .

والم به شعور الخوف والوحشة ، لقد بلا هذا الشعور المؤلم من قبل ، حين اضاع امه مرة ، منذ سنوات وكانا يسيران في شارع مزدحم بدمشق ، وكان يبحث عنها في وجل ، ويناديها بصوته المختنق بالدمع ، حتى وجدها فضمته الى صدرها في لهفة وزجرته ثم قبلته .

اما الآن ، فهي في هذه المقبرة ، لا تسمعه ان ناداها ، لا ترد عليه ، لا تستطيع ان تضمه الى صدرها ، انه لا يدري كيف يعثر على قبرها ، انه بائس ، قانط ، مسكين . ترى من يدله على قبر امه ؟ لا احد ، الا ما اغباه ، كيف نسي مكان قبرها ؟.

لم يبق احد في المقبرة ، وارهف سمعه : ما يزال الصوت الذي يرتل القرآن يتناهى اليه حزينا مبحوحا . وشعر بالخزي والخجل ، لن تغتفر له امه غفلته وغباءه ، ووضع حزمتي الآس فوق قبر خرب ، واتخذ ادراجه نحو الشارع لا يدري ماذا يفعل ...

وكان الشارع مزدحما بالناس ، ورأى ترام الميدان يسعى بطيئا وئيدا ، فخف اليه كعادته ، وتعلق به ولمحه قاطع التذاكر ، فانتهره وهم ان يضربه بقدمه ، وترك احمد الترام في خفة ، وكاد يتردى ارضا ، لا باس عليه ، انه يعرف كيف يتجنب الوقوع .

وتوقف قليلا ، ورأى ارجوحة منصوبة على حيد الطريق ، يتداول ركوبها رتل من الصبية ، ما امتع المشاهدة ! وامتع من ذلك ركوب هذه الارجوحة . ولمح طربوش احد الاطفال الراكبين يقع ارضا ، ويتسخ بالتراب وسمع الاطفال يقهقهون في براءة والفى نفسه يشاركهم في ضحكهم البريء دون ان يدري . وتذكر احمد مصابه ، جرحه الذي لم يلأم بعد ، قبر امه الذي اضاعه ، ولام نفسه على ضحكه ، وترك التفرج ومشى .

وكانت الشمس تسفح اشعتها قوية ملتهبة ، لقد اضحت ارض الشارع حارة ، تتلظى قدماه العاريتان على مسها ورأى ، على عذار الرصيف ، قطة صغيرة تموء في صوت غريب ، وامسك بها ، وامر راحته على ظهرها مداعبا ملاطفا لعلها تبحث عن امها مثله ، وفجاته رغبة في البكاء ، فارتجف فكه الاسفل وارتخى طرفا فمه ، وقفزت القطة من يده وعاذت بمنعطف قريب فنسي بكاءه لحظة ،وتابع القطة الصغيرة بنظراته الحزينة الغائمة بالدمع .

اواه .. انه يشعر بالحر والالم والخزي واليأس والتعب ....

ولكن ما هذا ؟ انه خيط من الدم يسيل من انفه وينحدر ويشخب على شفتيه ، ويسيل على عنقه ، وامر يده المرتجفة ورأى الدم الاحمر يخضب اصابعه النحيلة ، ومسح الدم بكمه ، ولكنه لا يزال يتدفق فيلوث ثيابه ،

آه من هذا الدم .. انه يذكره بسعال امه ، بذلك الدم الاحمر الداكن الذي كانت تبصقه

وشرع احمد يبكي بصوت مختنق مكظوم .

وتوقف رجل عابر ، وقال له ملاطفا :

ـ لا تبك يا بني ، لا تخف انها ضربة شمس .

ونظر اليه احمد نظرة ضارعة يائسة حسيرة مستجدية ، واضطربت شفتاه المخضبتان بالدم وهو يقول :

ـ لا ، لا ، يا عمي ، لست خائفا ، لقد ماتت امي منذ يومين واضعت قبرها ، اضعت قبرها يا عمي ...

دمشق بديع حقي

ايليا ابو ماضي

في اليوبيل الفضي لجريدته « السمير »

✳

(انا لا اهدي اليكم ورقا
غيركم يرضى بحبر وورق
انما اهدي الى ارواحكم فكرا
تبقى اذا الطرس احترق)
[صاحب السمير]

●

لجورج صيدح

✳

ماضيك زهر وعطر يا (ابو ماضي) انظر اليه بعين الغانم الراضي
واحرص على يومك الباني ليوم غد قصور مجدك من أعلاق انقاض
وابحث عن اسمك في سفر الخلود تجد حروفه لألأت من بعد ايماض
ترَ (الجداول) تجري في (الخمائل) من جيل لجيل ومن ارض لآراض
ترَ (السمير) على السمار منحنيا (يهدي لهم فكرا) من فكرك الواضي
تسمع حديث اخيك النجم عن حدث في يوم يوبيلك الفضي ، فضاض
يوم التقى السرب حول النسر في فنن مصفق للتلاقي بعد اعراض
أعدت (للتينة الحمقاء) نضرتها (وللفراشة) عيشا شبه فضفاض
تشدو لأنضاء تيه لا دليل لهم على المهاجر الا صوتك اللاضي
عاشوا وارواحهم (بالطين) لاصقة حتى نضوها بروح الشاعر الناضي
لم يجترح أنبياء الشعر معجزة مثل النهوض بشعب غير نهّاض

***

يا ضارب الرمل ، يامن شق باتره ثوب (الطلاسم) ، زودني بمقراض ..
انت الذي أوقع (العنقاء) في يده ولي يد" لم تقع الا على الفاضي
والنفس من غرض تعدو الى عرض واحيرتي بين أغراض وأعراض !..
جربت في حملة الاوطان اسلحتي فما أجادت ، وأجدى سيفك الماضي
هذا جناحك كالاعصار منطلق" وذا جناحي حبيس بين أرباض
وفي لهاتك اوتار تداعبها ولا أداعب الا ناب عضاض
وددت لو عقمت قلبي تجاربه من حبه كل حباب وبغاض
او لو تفهمني من راح يعذلني على هيامي بايليا ابو ماضي
امارة الشعر ، دعهم يلتهون بها ما في القضية غير الشعب من قاض
والشعب قدّس شعرا انت قائله كأنه آية في مصحف الضاض
يهوى (السمير) ويهوى ما يولده من الصباحى ، صباحا ، دون اجهاض
أتاحك الله للاعراب تعزية عما ابتلاهم به من شر امراض
لو ان عينك في عيني ، تشاهد ما شاهدت منهم ، لما أغمضت اغماضي..

***

يا شاعري وحبيبي ، أين موعدنا ؟ في الرفرف الغض ، أم في المهمه الغاضي ؟
ألم تقل ان رب الشعر يجمعنا يوما على منهل بالوحي فيّاض ؟
مشارق الارض ، والانوار تغمرها ، تغنيك عن مغرب بالنور نضّاض
وحي تحن الى جو يظللنا حنين هم الى عهد الصبا الماضي
من لي بعودة ساعات أبث بها من الشفاه الى خديك أغراضي
رسالة" من فمي ، اسطارها قبل" هي القريض الذي يحلو لجرّاض

---

(١) القيت في حفلة اليوبيل التي اقامتها الجوالي العربية في نيويورك يوم ٥ من كانون الاول

تمثيلية

صوت من الاعماق

بقلم نسيب الاختيار

°°

الخادم — سيدتي. في غرفةالاستقبال رجل يود مقابلتك .

الزوجة — رجل يود مقابلتي ؟

الخادم — نعم . يا سيدتي .

الزوجة — الم يقل لك اسمه ؟

الخادم — كلا يا سيدتي

الزوجة — الم يقدم لك بطاقته ؟

الخادم — ولا هذه يا سيدتي

الزوجة — غريب ! رجل يود مقابلتي ، ولا يذكر اسمه ولا يقدم بطاقته ! زهرة . قولي له ان سيدتي لا تستقبل زائرا لا تعرفه .

[وفي صوتخافترددت الزوجة] : يا للغرابة اي زائر هذا الرجل

[الخادم تعود]

الخادم — لقد رفض الزائر الافضاء باسمه وتقديم بطاقته .

الزوجة — رفض ! امـــا قلت له ان سيدتي لا تستقبل رجلا لا تعرفه؟

الخادم — لقد قلت له ذلك ، ولكنــه اصر على مقابلتك ، وقال انـــك تعرفينه حق المعرفة .

الزوجة — اعرفه؟ دعيه، دعيه يدخل.

[الخادم تخف الى غرفة الاستقبال وتدعو الزائر]

[الزوجة تقول لنفسها] اي رجل هذا الانسان الذي يقول اني اعرفه ؟! ترى من هو ؟ ترى من هو ؟

[الباب يفتح] — يدخل رجـل في الثلاثين من سني عمره

الزوجة — [في دهشة] — آه . اهذا انت . اهذا انت يا عمر !

عمر — انا عمر . يا سيدتي انا عمر .

الزوجة — وماذا جئت تصنع في هذا البيت ؟

عمر — جئت . جئت لاتحدث اليك .

الزوجة — تتحدث الي؟! وكيف تجرؤ على ذلك ؟ الا تعلـــم اني امراة متزوجة .

عمر — اعلم ذلك .

الزوجة — وان ما كان بيننا ولى وذهب

عمر — لن يذهب الماضي الذي يعيش به الانسان ، كما لو انـــه يعيش الابد .

الزوجة — ان ماضي المراة المتزوجـة صفحة مطوية ، صفحة مهمـــلة منسية .

عمر — ولكن ماضي رجل على شاكلتي، كتاب مفتوح .

الزوجة — واي كتاب ، هذا الكتـــاب الذي عفت آثاره

عمر — عفت آثاره .؟

الزوجة — نعم .

عمر — قد تطوين صفحة من صفحات حياتك ، لو انها كانت ملكك ، امـــا وقد ساهم في تحريرها غيرك اما وانها لك ولغيرك ...

الزوجة — قلت لك ان صفحة المراة المتزوجة ، صفحة مطوية .

عمر — لقد حاولت طي هذه الصفحة ولكنني اخفقت ذهبت بعيدا بعيدا عنك انشد السلوان واستلهـــم العزاء ، ولكن ما املته خـــاب وضاع . كانت كرامتي تهيب بي الى الصدوف عنك والفرار منـــك فالقيت بنفسي فيما يلقى فيه نفسه كل انسان على شاكلتي وخيل الي في اول الامر اني نسيتك واني امقتك واكرهك فلما عدت ، عدت وفي راسي فكرة ، فكرة الا اراك ابدا ، ولكن ...

الزوجة — ولكن .

عمر — ولكن عزيمتي زايلتنيوارادتي خذلتني رايتك انت وزوجـــك تتابطين ذراعه فثارت عواطفـــي المكبوتة ومشـــاعري الدفينة ، فاندفعت وراءكما وبي جنونعطيل ولما دخلتما صالة السينما اندفعت خلفكما ورحت اختلس النظراليك وعبثا حاولت صرف وجهي عنك كانتهنالك قوة اقوى منيتكرهني على الشخوص اليك ، ومنذ ذاك اليوم وانا اقفو اثركامضيوامضي، اجر ورائي حطام حياتي .

الزوجة — انت مسكين يا عمر . انت مسكين .

عمر — نعم . انا مسكين . انامسكين.

الزوجة — وماذا تريدني ان اصنع يا عمر ماذا تريد ؟ لقد خرجت مـــن حياتي وانا الان امراة متزوجـــة ولي طفل ولي بيتي اما كان فـــي مقدورك ان تستمد من كبريائـــك شجاعة فتنسى وتتناسى هــــذا الماضي .

عمر — كيف انساه كيف انساه انـــه يلاحقنيانى انطلقتوحيثما اقمت

الزوجة — ان الرجل الحق هو الرجل الذي لا ماضي له

عمر — لا ماضي له ؟!

الزوجة — نعم . ان الماضي لا يعيش الا في نفوس الفقراء من الرجال

عمر — واية ثروة اغنى من ثروة ماضي حياتي معك ؟

الزوجة — انها ثروة الاحلام ، احـــلام اولئك الذين تنطلق بهم حياتهـــم الى الوراء بدلا من ان تنطلق الـــى الامام ، لقد جددت حياتي يا عمر ، وما عليك الا تجديد حياتك .

عمر — ولكني لا استطيع .

الزوجة — لقد انتهى كل شيء

عمر — قلت لك لا استطيع ، نجـوى

الا تذهبين الى السينما ؟ اصغي الي ، الا تذهبين ؟ هبيني عزاء واحدا ، عزاء رؤيتك من بعيد في السينما ، في . . .

ـ القسم الثاني ـ

الزوج ـ ما بك يا نجوى ما بك ؟ انك الليلة على خلاف عادتك ، ساهمة شاحبة مضطربة .

الزوجة ـ لا شيء ، لا شيء .

الزوج ـ لا شيء ! وهذا العزوف عن الطعام ، والانصراف عن الكلام ؟أهل انت مريضة ؟

الزوجة ـ انه صداع ، يحطم راسي ويشل قواى .

الزوج ـ اصغي الي يا نجوى ، ان بقاءك المتواصل في البيت الى جانب ابنك ، هو مصدر صداعك سنذهب الليلة الى السينما ، فقد تجدين فيها عزاء وسلوى .

الزوجة ـ الى السينما ؟

الزوج ـ نعم الى السينما .

الزوجة ـ ولكن صداعي اليم ، واني اؤثر البقاء في البيت على الذهاب الى اي مكان آخر .

الزوج ـ البيت ، دائما البيت ، ان بقاءك المطرد بين جدرانه الاربعة ، سيحرق رواء حياتك ويصوح زهر شبابك .

الزوجة ـ واي شباب واية حياة !!!

الزوج ـ الست راضية ؟ الست راضية عني ؟ انت المخلوق الوحيد الذي احبه في هذه الحياة ، انت . . .

الزوجة ـ كفى غزلا ، كفى غزلا .

الزوج ـ ما هو بغزل يا عزيزتي ، انه حب .

الزوجة ـ واي قلب يخفق به حب ، بعد هذا العمر ؟

الزوج ـ ولم يا عزيزتي ؟ ان حب رجل في مثل سني ، اقوى واعمق منه في اي سن اخرى لقد احب كثيرون من الناس وهم فيخريف العمر ، ذلك لان الحب هو الحياة في امتدادها اللانهائي ، فلماذا لا احب ، لماذا لا احبك ؟

الزوجة ـ قلت لك حسبك غزلا .

الزوج ـ نجوى . لاجل هذا الحب اريدك على الذهاب الى السينما اود ان اراك ضاحكة مرحة ان الكآبة التي تطل من عينيك تقضي على راحتي .

الزوجة ـ قلت لك ـ لا اود الذهاب الى السينما .

الزوج ـ ولكنه فيلم « انا كارانينا » .

الزوجة ـ لقد قرات القصة مرارا .

الزوج ـ ولكنها في الفيلم غيرها في القصة

[الزوج ينادي] زهرة . زهرة . معطف سيدتك

• • •

الزوج ـ لقد كان الفيلم رائعا حقا .

الزوجة ـ وهل اعجبك !؟

الزوج ـ ولم لا يا عزيزتي !

الزوجة ـ انكم معشر الرجال لا تحبون من القصص والروايات الا ما يتجاوب منها مع انانيتكم اما المراة الفريسة العاجزة فانتم لا تأبهون لها ولا تحفلون بامرها .

الزوج ـ كيف لا نأبه الا بما يتجاوب مع انانيتنا !؟

الزوجة ـ ها انت ذا ، لا تتحدث الا عن الزوج المخدوع والعشيق المنكوب ، اما (انا) الضحية المسكينة فلا تستحق منك ولا كلمة رثاء .

الزوج ـ لكل شيء في هذه الحياة الدنيا ثمنه والحياة تعطى بقدر ما تأخذ فقد اخذت من (انا) باليد اليسرى ما حبته اياها باليد اليمنى اما الرجلان الزوج والعشيق

الزوجة ـ [مقاطعة] اما الرجلان فلم يقترفا ذنبا اليس كذلك ؟

الزوج ـ اتسخرين يا نجوى ؟

الزوجة ـ اسخر ؟ ولماذا ؟ انه الواقع زوج تحدوه انانية التملك فيهمل زوجته لتتردى في الهوة وعشيق تحفزه انانية شهواته ليدع المراة وحيدة على الميدان .

الزوج ـ ليس في الحب انانية ، لان الانسان الذي لا يحب نفسهلا يحب غيره اتذكرين قصة « نارسيس والجدول ؟ » ان مثل الحب مثل قصة نارسيس ، احبه الجدول لانه كان يبصر نفسه في عينيه .

الزوجة ـ اذن ، فانت لا تحبني لذاتي بل تحب ذاتك في شخصي ، اين انت مما قلته لي قبل ساعات ؟

الزوج ـ نجوى . انا احبك لانني وجدت نفسي فيك فلست انت الا انا ، فتصوري كم هو عظيم لك .

الزوجة [ساخرة] واذا خرجتحياتك من حياتي فلن تحبني بعد ذلك .

الزوج ـ كلا يا نجوى كلا . ان حبي لك اخذ صورته اللامتناهية في الامتداد ثم ما لبث ان وجد صورته الحية في طفلنا الصغير فانا احبك لا لان وجودي ماثل في وجودك فحسب بل لان حبي تجسد في رمز حقيقي الف بين شخصينا معا في شخص واحد .

الزوجة ـ حب وفلسفة .

الزوج ـ ليس من الضروري ان يكون الانسان فيلسوفا في الحب مثل « كازانوفا » فهناك اشياء كثيرة في هذا العالم يحيا بها الانسان كما يحيا لها دون ان تكون لها فلسفة الا وجودها هي ذاتها .

انت تعبة اليس كذلك يا نجوى ؟ سادعك واذهب الى مخدعي ، ليلة سعيدة .

الزوجة ـ [تردد بصوت خافت] ماذا عساني اصنع !؟

لقد عاد ، عاد ليلاحقني من جديد، يا له من بائس مسكين .

[صوت اجش يصدر من اعماق صدرها] ـ يا له من بائس مسكين ! انت . . انت المسئولة عن شقاء عمر ، انه يتألم ويتعذب من اجلك، حطمت حياته والقيت به الى الرصيف .

الزوجة ـ انا !؟ انا المسئولة ؟

الصوت ـ نعم انت ، انت التي وعدت واخلفت ومنيت ونكلت .

الزوجة ـ ولكنها كانت نزوة ، نزوة عابرة .

الصوت ــ وهل الحب غير نزوة ؟ وذاك الصرح من الامال الذي شيدته له ، اينهار هكذا كأن لم يكن !؟

الزوجة ــ صرح الحب ؟ اين مني هذا الصرح ؟ اين ؟

الصوت ــ انه في قلبك .

الزوجة ــ في قلبي ؟ اهو لي ؟

الصوت ــ انه لعمر

الزوجة ــ لا انه لبيتي

الصوت ــ ولماذا غررت بالمسكين ؟

الزوجة ــ غررت به ؟

الصوت ــ نعم . لماذا فتحت له باب بيتك ؟ لماذا ذهبت الى السينما ؟

الزوجة ــ لم اذهب الى السينما بمحض اختياري .

الصوت ــ كلا . لقد ذهبت لاجله، من حيث كنت لا تقدرين ذلك كنت تعلمين بانه يراقبك ويقفو اثرك ولكنك اغمضت عينيك عن الحقيقة الكامنة في اعماق صدرك .

الزوجة ــ يا الهي . لم اذهب من اجله لم اذهب .

الصوت ــ اتخذ عين نفسك ؟ وتلك النظرات المختلسة التي كنت تبادلينه اياها وانت في السينما . اتحسبين انها مجرد نظرات ، توزع عبثا وتنثر حيثما اتفق ؟

ــ القسم الثالث ــ

الخادم ــ سيدتي . لقد عاد .

الزوجة ــ عاد ! ومن هو الذي عاد ؟

الخادم ــ زائر يوم امس

الخادم ــ [بخبث] نعم ، هل اصرفه ؟

الزوجة ــ كلا . دعيه يدخل .

[ورددت الزوجة بينها وبين نفسها] : يا للرجل ...

[يدخل عمر]

الزوجة ــ كيف سولت لك نفسك العودة ثانية ؟

عمر ــ سولت لي نفسي يا نجوى ؟

الزوجة ــ نعم نفسك .

عمر ــ لقد جئت لاودعك الوداع الاخير .

الزوجة ــ اما كان في مقدورك الذهاب دون ما وداع ؟ . .

عمر ــ وددت لو كان في مقدوري ذلك ، ولكن . . .

الزوجة ــ مقاطعة ــ ولكن ، ولكنك اتيت ، اتيت وانت لا تفكر الا بنفسك اما انك تسيء الي والى سمعتي ، فهذا لم يخطر لك على بال . .

عمر ــ الحب اعمى . لا بصر ولا بصيرة .

الزوجة ــ ليس الذنب ذنب الحب ، وانما هي الانانية التي توجه خطاك ، لو كنت تحبني حقا لمضيت دون ان تقف في طريق حياتي الجديدة .

عمر ــ واية انانية في حب لا امل فيه ولا رجاء معه ؟

الزوجة ــ وهذه الزيارة اليست هي الانانية بعينها ؟ ان المحب الحقيقي الذي ينشد الحب لذاته ، الحب المجرد المطلق ، الذي يؤمن بقدسية التضحية .

عمر ــ لو كنت اعلم ان زيارتي لك ستفسر على هذا الوجه لما اتيت اليك ولما طرقت بابك . ولكني حينما شاهدتك في السينما ليلة امس . . .

الزوجة ــ [مقاطعة] نعم حينما شاهدتني في السينما ليلة امس خيل اليك اني نزلت على رغبتك واني عدت اليك ثانية ، اليس كذلك ؟؟

عمر ــ لا . لا . . لم يخطر لي ذلك على بال . .

الزوجة ــ [مقاطعة] ــ بل خطر على بالك هذا كله .

عمر ــ لماذا تتجنين علي ؟ انا احبك ، احبك بكل ما بي من قوة انانية ، نعم انانية ترى لو فقد الحب هذه الانانية ، اي شيء يبقى فيه ؟ نجوى لا تقاطعي كلامي ، ما انا بالوثني الذي يعبد الاوابد حتى يحبك لذاتك كما لو انك رمز خالد لفكرة ، انا انسان اؤمن بوجودي ، لما تزوجت ، ذهبت ، ذهبت بعيدا وليس في جوانحي غير عاطفة المقت والكراهية والازدراء ، القيت بنفسي في الحمأ ، في الحضيض في الوحل ، لا لاجلك ، بل لاجلي انا ، شعرت بهواني وضعتي لانني احببت واخلصت في الحب بصقت على الوجوه التي ترنو الي والثغور التي تشرئب نحوي ، ذلك لاني كنت ارى وراءها وجهك وثغرك وخيل الي اني شفيت من دائي وان المراة خرجت من حياتي واني اصبحت حرا ، سيد نفسي ولما عدت ، عدت لاراك ثانية وانا موقن بانك لن تغلبيني على امري .

ولكن . . [وتوقف عمر قليلا وتابع كلامه] :

ولكن رايتك الى جانب رجل آخر .

الزوجة ــ وماذا في ذلك ، الا يحق للمراة التي احبت رجلا ما فيما مضى من ايام حياتها ان تتزوج وتنجب الاطفال ؟

عمر ــ صارخا ــ لا . لا يحق لها ذلك ، انك لا تعرفين طبيعة الرجل . لقد ايقظت بي وانت الى جانب زوجك كبرياء الرجولة المجروحة ، ان الرجل المحب لا يطيق رؤية المراة التي يحبها الى جانب رجل آخر .

الزوجة ــ ولكنك نسيتني يا عمر .

عمر ــ [بضراعة] ــ لم انسك . لم انسك .

الزوجة ــ [بصوت مرتعش] لم تنسني

عمر ــ [بصوت متهدج] ــ لم انس . انت المراة التي عشت لها وساعيش لاجلها .

الزوجة ــ وانا ايضا يا عمر وانا ايضا لم انس ، لم انس .

ــ وتعالى صوت ابنها من الغرفة الثانية وهو يصيح : ماما . . ماما . .

الزوجة ــ آه محسن ولدي . عمر . اذهب . اذهب . لن اكون لك . لن اكون .

ــ تمت ــ

دمشق **نسيب الاختيار**

اصرار

✳

يا واحة الظمآن للاشجان اني هنـــا ، هـــل تعرفين مكاني ؟
أسمعت من هذا الجحيم مناديا ؟ هـذا أنا والصوت صوت حناني
فاذا سمعت شكايتـــي فتجبري وتحجري كالصخر كالاوثان
ما أنــت اول غادة قد مزقت عهد الهوى بالصد والهجـران

***

في معبد الاحزان أصبح خافقي شيخا يصلي في لظى حرمـــاني
يمشي على قبس المنى متعثرا باليـأس بالآلام بالاشجـــان
تأتيـه أفراح الحياة وترتمي في جرحه الدامي العميق ثواني ..

***

هل تحسبين بأنني أنسى الهوى لما أرى ظلم الجفاء الجـــاني ؟
هيهات ان يفنى الهوى يا منيتي فالذكريات تصيح في وجـداني
ذكرى الوفاء الحلو تغشى خافقي وتذوب في دمع الفؤاد الحاني
وتهزني دوما فأبصر ما مضى وأكاد ألمس وجهـــك النوراني

***

أمسى وفاء القلب طودا شامخا أبدا سيهزأ من صروف زماني
ما قيمـــة العمر القصير اذا انطوى حبي وماتت رعشة الايمـــان ؟

بغداد **حارث طه الراوي المحامي**

من الادب المقارن

موهبة الشاعر بين التقليد والتجديد

بقلم ت. س. اليوت

نقلها الى العربية منح خوري

*

يندر كلامنا على « التقاليد » في الكتابات الانكليزية رغم ايرادنا هذه اللفظة احيانا في معرض التأسف على اغفالها ؛ والحق انه لا يمكننا الاشارة الى تقليد بعينه او الى التقليد بوجه عام ، فاستعمال اللفظة لا يكون في الغالب الا وصفا نسنده - في مجال التعريض - الى شعر احد الشعراء بقولنا انه « تقليدي » او « ممعن في التقليد » . اما ما يكون لها ، فيما عدا ذلك ، من الدلالة على غامض الرضى عن المستحسن من الآثار الادبية ، فانما هو تعبير مستفاد من مفهومها في مجال الكلام على المعجب من العاديات . انه ليشق على المسامع الانكليزية ان تطمئن الى لفظة « التقاليد » دون هذه الاشارة المؤاتية الى علم « الاثريات » وما لها من الدلالة في نطاقه .

غير مألوف ، ولا شك ، استعمال اللفظة اليوم في تذوقنا لآثار الاحياء من الكتاب او السابقين . واذا كان لكل امة او لكل شعب فكره الخلاق ، فان له كذلك منحاه النقدي الخاص ، ولكننا كثيرا ما نرى بعض الشعوب اميل الى التغاضي عن قصور اساليبها النقدية وامكانياتها ، منها الى التغاضي عن مزايا عبقريتها الخلاقة : فنحن نعرف ، او نظننا نعرف نهج الفرنسيين في النقد باطلاعنا على وفرة انتاجهم فيه ، ولكن الغريب اننا لا نستنتج من تلك المعرفة سوى انهم انقد منا وانهم لذلك ، كما يطيب لنا ان ندعي احيانا ، اقل مبادرة وتلقائية . ثم لنفرض انهم كذلك ، فمن اللائق بنا - نحن الغفلة - ان ندرك ضرورة النقد ادراكنا لضرورة التنفس ، فلا نجد ، في تعبيرنا عما يجول في عقولنا عندما نقرا كتابا وننفعل به ، ما يضيرنا ، وانما نجد فيه ما يساعدنا على نقد عقولنا أثناء عملها . ان ما ينكشف من الحقائق عن هذا النهج هو رغبتنا احيانا في التأكيد - ونحن نطري احد الشعراء - على تلك النواحي الخاصة من ادبه ؛ فنزعم اننا نجد في تلك النواحي او المزايا ما هو سمة الشاعر المميزة . اننا نتمسك عن رضى ، بما يفرق هذا الشاعر عن اسلافه لا سيما الاقربين منهم ، ونسعى لئن نلقى عنده ما يمكن تخصصه به وقصره عليه حتى يتاح لنا تذوقه ؛ والحق اننا لو تناولنا الشاعر من دون هذه النظرة التحكمية ، لراينا ، في الغالب ، ان افضل ما في ادبه لا بل اخص ما في أدبه من صفات ذاتية هو تلك الصفات المشتركة التي خلدت اسلافه من الشعراء : وطبيعي انني لا اشير هنا الى ما ينطبع به الناشئون من التأثرات ، وانما اعني ما يحدث لكبار الادباء في دور النضج التام .

ومع هذا فلو كان الشكل الفريد « للتقاليد » - لنقل المأثور - قائما على اتباع طرق الجيل السابق مباشرة ، بواسطة التشبث الاعمى باسباب ازدهاره ، لوجب حتما مقاومة تلك التقاليد ونبذها ، فقد راينا كثيرا من مثل هذه التيارات العارضة يظهر ويفيض سريعا ، ويظل التجديد في هذه الحالة افضل من الاعادة . غير ان للتقاليد معنى اوسع من ذلك كله . انها لا تورث ، واذا ما نازعتك النفس اليها وجب عليك تحصيلها بالجهد العظيم . انها تشمل اولا الحس التاريخي الذي يكاد يكون ضروريا ، في راينا ، لكل من يود ان يظل شاعرا بعد الخامسة والعشرين . والحس التاريخي يستلزم بصيرة لا تقتصر في ادراكها على المنطوي من الزمن الماضي وانما تدرك كذلك استمرار وجوده في الحاضر . هذا الحس التاريخي يلزم الاديب الا يكتب بروح جيله الكامن في اعراقه فحسب ، وانما بشعور هو ان الآداب الاوروبية كلها منذ عهد هوميروس الى اليوم ، وما دخل في تلك الآداب من تراث بلاده جميعا ، كل هذا موجود في وقت واحد وجودا آنيا ، وهو يؤلف معا نظاما آنيا . ان هذا الحس التاريخي ، بما هو ادراك المحدود من الزمان وما لا حدود له ، وبما هو كلاهما معا ، هو ما يجعل الكاتب « تقليديا » وهو الذي يجعله في الوقت نفسه ادق وعيا لمكانه في الزمان ولصلته بابناء عصره .

- ليس لشاعر او فنان في اي نوع من الفنون قيمته الكاملة بنفسه ؛ وانما تترتب قيمته على اس علاقته بالسلف من الشعراء والفنانين ؛ فانت لا تستطيع تقييمه منفردا عنهم ، وينبغي ان تضعه بينهم موضع المقابلة والموازنة . وبعد فاني لا اقرر هذا كمبدأ في النقد التاريخي وحده

ولكني اقرره كمبدا في النقد الجمالي كذلك . اما الضرورة التي تقضي بتوافق الشاعر وانسجامه مع من تقدمه من الشعراء ، فلست استلزمها عن ضيق في الاتجاه ، وانما عن يقين بان ما يحدث عندما يخلق اثر ادبي جديد هو في الوقت ذاته شيء يحدث لجميع الآثار الادبية التي سبقته ؛ فالآثار الموجودة تكون فيما بينها نظاما كاملا مثاليا ، وادخال الجديد – الجديد حقا – من الاعمال الفنية على تلك الآثار القائمة يغير نظامها المثالي عن حاله ولو قليلا . لقد كان النظام القائم كاملا من قبل ان يحدث الاثر الفني الجديد ، وحتى يظل ذاك النظام مستمرا بعد حدوث الجديد فيه ، ينبغي ان يتغير النظام القائم « كله » ، وهكذا بالنسبة الى هذا « الكل » بشكله المحدث تتكيف في أجزائه جميع العلاقات ، والنسب ، والقيم ، تكيفا جديدا . هذا هو التوافق بين القديم والحديث. وليس بمحال على من يقرهذا المفهوم لفكرة النظام – لشكل الاداب الاوروبية والانكليزية– الاعتقاد بانه على قدر ما يجب توجيه الحاضر بالماضي يجب كذلك تغيير الماضي بالحاضر . والشاعر الذي يقدر ذلك يعي ما في عمله من المشاق والمسؤوليات ، ويدرك على الاخص بانه لا بد من الحكم عليه بمقاييس الماضي . اقول يحكم عليه بها ولا اقول يقطع في الحكم : فلا يقاضى من حيث مجاراته السلف او تقصيره عنهم أو تبريزه عليهم ، ولا يكون الحكم عليه ، ولا شك ، وفقا لمقاييس الغابرين من النقاد . انه حكم ، وانها مقارنة بين شيئين يقاس فيهما الواحد بالآخر . اما مجرد المطابقة مع القديم ، فليس في الواقع بالنسبة الى العمل الادبي الجديد مطابقة على الاطلاق «١» ، والا لانتفى معنى الجدة فيه وبطل بالتالي كونه عملا فنيا . ونحن لا نقول تماما بان الجديد انفس من القديم لموافقته له ، ولكن هذه الموافقة هي محك قيمته . والحق انه لا يمكن استعمال هذا المحك الا في تان وحذر ، لاننا ، في مجال الكلام عن المطابقة لسنا حكاما معصومين اقصى ما نقوله في احكامنا : « يظهر ان هذا الاثر الادبي مطابق ... وقد يكون ذاتيا او يبدو انه كذلك ... ومن الممكن ان يطابق ... » ولكنه من العسير ان نصدر حكما تاكيديا يكشف عن حقيقة ادبية بكونها ذلك الاثر ولا يكون شيئا غيرها .

نتناول الان صلة الشاعر بالماضي لنعرضها بوضوح : ليس بوسع الشاعر ان ياخذ الماضي جملة ، ويتناوله دفعة واحدة من غير تمييز ، وليس بوسعه كذلك ان يخرج نفسه بالكلية على واحد او اثنين ممن اثاروا اعجابه من الادباء ، واخيرا ليس بوسعه ان يخرجها على عصر واحد اثير لديه . فالاتجاه الاول مرذول ، والثاني تجربة هامة في زمن الفتوة ، والثالث امتداد لها وتتمة ممتعة . من الواجب ان يكون الشاعر شديد الوعي للتيار الرئيسي الجاري دونما انقطاع في موكب ابرز الشهرات الادبية ؛ وعليه ان يدرك حقيقة بيئة وهي ان الفن لا يترقى ابدا ولكن مادته هي التي لا تظل ابدا على حالها . عليه ان يدرك بان فكر اوروبا – فكر بلاده – وهو كما سيتحقق على المدى اهم بكثير من فكره الخاص – انما هو فكر متغير ، وبان هذا التغير لا يترك ثمة وراءه على الدرب شيئا ، انه لا يحمل على التقاعد شكسبير او هوميرس او صخرة الرسامين « المجدليين » ولا يعتق لهم عمرا . عليه ان يدرك بان هذا التطور ، هذه التصفية او ما نحسبه كذلك ، هذا التعقيد حتما ليس تطورا من وجهة نظر عالم النفس او ليس كذلك الى الحد الذي نتصوره . قد لا يكون في النهاية الا نتيجة تعقيد في حياة العصر الاقتصادية والآلية . ان « وعي » الزمن الحاضر هو ادراك الماضي بطريقة وبقدر لا يستطيع الماضي – في ادراكه لنفسه – اظهارهما ؛ وهذا هو الفرق بين الزمانين .

قيل : « ان الكتاب القدامى بعيدون عنا لاننا نعرف اليوم اكثر مما كانوا يعرفون » كذا ، بالضبط ، وهم حقا ذاك الذي نعرفه .

يثير اهتمامي الاعتراض الموجه عادة الى ما هو بصراحة جزء من منهاجي في « صناعة » الشعر . ومفاد الاعتراض ان هذه النظرية تستلزم من العلم (او الحذلقه) قدرا جنونيا . ادعاء يمكن رده بالرجوع الى سير الشعراء في أي مدفن من مدافن عظماء الامة . ثم ان الاعتراض يؤكد احيانا بان الاكثار من المعرفة يميت الحساسية الشعرية او يفسدها . اما نحن فنؤمن بانه من واجب الشاعر ان يعرف الى حد لا يتجاوز فيه طاقته على الاستيعاب وحاجته الضرورية الى التواني ؛ وليس من الخير قصر المعرفة على كل ما يمكن وضعه في اطار الامتحانات وقاعات الرسم او فيما هو اكثر من ذلك ادعاء من الوان النشر . ان لبعض الناس قدرة على عب المعرفة واستيعابها ، واما الكسالى فيجب ان يعرقوا في سبيلها ؛ ولقد كان ما قبسه شكسبير عن « بلوتارك » من الاساسيات في التاريخ فوق ما يستطيع معظم الناس تحصيله من المتحف البريطاني . ان ما يجب التاكيد عليه هو ان ينمي الشاعر وعيه للماضي وان يستمر في تنمية هذا الوعي ويلتزمه طوال حياته الفنية . اما ما يحدث فهو تنازله المتواصل عن ذاته ، كما هي في تلك اللحظة ، في سبيل ما هو انفس ؛ فتقدم الفنان هو تضحية بالذات مستمرة وافناء للشخصية دائم .

بقي ان نعرف عملية « التجرد من الشخصية » هذه ، ونبين صلتها بمعنى التقاليد ؛ فهي العملية التي يكاد الفن يستوفي بها شروط العلم ، وانه لمن الخير ، على سبيل التمثيل ، ان نتامل ما يحدث عندما ندخل صفيحة من البلاتين في وعاء مشحون بالاكسجين وثاني اوكسيد الكبريت .

«١» يمكن شرح هذه الفكرة بالقول مع احد النقاد (ج. وبنولد) بان: « من يقلد الالياذة ... لا يقلد هوميرس » .

ان النقد النزيه والتذوق الرفيع لا يتجهان الى الشاعر بل الى الشعر . واذا اصغينا الى ضوضاء النقاد في الصحف وما يتبعها من الاصداء الشعبية ، سمعنا اسماء عدد كبير من الشعراء ؛ غير اننا اذا اردنا الاستمتاع بالشعر ، والعثور على « القطعة الشعرية » ، ولم تكن المعرفة الرخيصة — معرفة الكتب «الزرقاء» من همنا — لما امكننا ذلك الا نادرا . لقد حاولت ان ابين حتى الان اهمية علاقة القصيدة الواحدة بغيرها من قصائد الشعراء ؛ وعرضت لمفهوم الشعر ككل حي مشتمل على جميع التراث الشعري . بقي خاصة اخرى لنظرية « التجرد من الشخصية » هي علاقة القطعة الشعرية بالمؤلف . فقد اشدت بان فكر الشاعر الناضج وفكر الشاعر الفج لا يقوم تماما على اي تقدير للشخصية ، ولا على كون الواحد اكثر اهمية او اغزر مادة ، وانما على كون ذلك الفكر وسيطا اتم تتمكن به مشاعر خاصة او متنوعة من ان تدخل حرة في تراكيب جديدة .

ان المثل الذي اوردته سابقا هو مثل « العامل المساعد » في المركب الكيماوي ؛ فعندما اختلط الاكسجين بثاني اوكسيد الكبريت بوجود صفيحة البلاتين ، تكون منهما الحامض الكبريتي ؛ ولولا وجود صفيحة البلاتين بين العنصرين ، لما تم ذاك التفاعل . ومع ذلك فان الحامض المولد لا يحتوي على شيء من البلاتين ، ويظهر ان صفيحة البلاتين نفسها لم تتأثر كذلك وبقيت على حالها من الثبات ، والحياد ، وعدم التغير . ان فكر الشاعر هو تلك القطعة من البلاتين ، فقد يؤثر بعض التأثير او يقتصر في تأثيره على تجربة الانسان نفسه . غير انه كلما ازداد الفنان تكاملا ازداد الانفصال في نفسه بين الانسان الذي يتألم والفكر الذي يبدع ، وصار هذا الفكر اوعى واقدر على تحويل ما هو مادته من الانفعالات . والتجربة — كما ترى — عناصر التجربة التي تفاعلت لوجود العامل المساعد ، تتكون من شيئين انفعالات Emotions ومشاعر Ferlings وتأثير العمل الفني في المتذوق تجربة مختلفة في نوعها عن اي تجربة اخرى ؛ فقد تتكون من انفعال واحد ، او من انفعالات عدة ، وقد تنتج بالاضافة الى ذلك عن مشاعر مختلفة يعبر عنها الشاعر بالفاظ او تعابير او صور معينة . ان الشعر الرفيع قد يصاغ من المشاعر وحدها ومن دون الانتفاع المباشر باي انفعال مهما كان . فالنشيد الخامس عشر من جحيم دانتي مثلا «١» مبني على الانفعال الخاص الناتج عن دقائق الوضع الذي نسجه دانتي حول ذلك النشيد . لكن تأثيره على القارىء لا يقتصر على ذلك الانفعال الواحد الذي ينتج عنه لكونه عملا فنيا رفيعا بل يحصل من تمازج التفاصيل المبينة جميعها . فالقطعة الاخيرة «٢» من ذلك النشيد تعبر عن صورة شعرية (او قل عن شعور منبثق من تلك الصورة) « هبطت » على الشاعر ولم تكن مجرد تطور لما جاء قبلها فقد كانت تلك الصورة « معلقة » في ذهن الشاعر حتى آن وقت هبوطها فاخذت مكانها بين المجموع . الواقع ان فكر الشاعر حيز يلتقط ويخزن ما لا يحصر من المشاعر والعبارات والصور التي تبقى هناك الى ان تلتقي معا جميع العناصر التي يمكن ان تتفاعل وتتحد لتكون مركبا شعريا جديدا .

واذا قارنت عدة مقاطع نموذجية من الشعر الرفيع ، وجدت مبلغ الفرق بين انواع المفرج فيها ، وعرفت فداحة الخطأ الناتج عن اية فكرة « شبه اخلاقية » تدعو الى « السمو » في الادب . فالقضية ليست قضية عظمة الشعر وشدة تأثيره ، ولا هي قضية عناصره والانفعالات الناتجة عنه وانما هي قضية حدة العملية الفنية والضغط الذي يحدث تحت تأثيره اتحاد العناصر المختلفة . وقصة باولو وفرنشيسكا في جحيم دانتي «٣» تستخدم انفعالا معينا ، لكن حدة الشعر فيها هي شيء يختلف تماما عن اشد حدة يمكن تصورها في التجربة الشخصية المعينة . والقصة لا تضاهي في حدتها النشيد السادس والعشرين (اي رحلة

«١» يحتوي هذا النشيد على ذكر المقابلة التي تمت بين دانتي ومعلمه (برونتو لاتيني) في الحلقة الثالثة من الدرك السابع في الجحيم وفيه يخاطب دانتي معلمه ويشكره على ما اسداه اليه في حياته .

«٢» وهي وصف لسباق كانت تقيمه مدينة « فيرونا » تخليدا لانتصار عظيم وكانت جائزة المجلي فيه وشاحا اخضر .

«٣» احتل هذه القصة القسم الاكبر من النشيد الخامس في جحيم دانتي وتعتبر اشهر حادثة في الملهاة الالهية . فقد تزوجت دا ريميني لاسباب سياسية شابا عليلا ثم وقعت في حب الفتى الوسيم باولو . وعندما فاجأهما الزوج طعنهما وارداهما قتيلين .

اوذيسيوس) الذي لا يعتمد مطلقا على اي انفعال . وهناك امكانيات عديدة للتنويع قد تتحقق نتيجة لما يحدث من تغير في الانفعالات . فمصرع اجاممنون ، او اسى عطيل يترك اثرا فنيا اقرب الى الواقع من اناشيد دانتي . والانفعال الفني في مأساة اجاممنون يقارب الانفعال الذي قد يحس به من كان شاهدا لتلك المأساة . وفي مأساة عطيل يقارب ذلك الانفعال الفني انفعال عطيل نفسه في الرواية. لكن الفرق بين الفن والواقع هو ابدا فرق مطلق. فالتفاصيل التي نتج عن اتحادها مصرع اجاممنون معقدة ومتداخلة تعقيد قصة رحلة اوذيسيون وتداخلها . وقد حدث في كلتا الحادثتين صهر للعناصر المكونة لهما . واذا اخذنا قصيدة « جون كيتس » الشهيرة في العندليب ، رأينا انها تحتوي على عدة مشاعر لا تمت بصلة الى الطائر نفسه ، لكنه اوحى بها الى الشاعر لما في لفظ اسمه من جمال او ربما لشهرته الذائعة .

ربما كان لوجهة النظر التي احاول جاهدا ان اعالجها علاقة بالنظرية الميتافيزيقية في حقيقة وحدة النفس . فما اعنيه هو انه ليس للشاعر « شخصية » يعبر عنها ولكن له « واسطة خاصة » للتعبير ، واسطة لا شخصية ، تمتزج فيها الانطباعات والاختبارات بطرق غريبة مفاجئة . على ان ما هو هام عند الشاعر من الانطباعات والاختبارات قد لا يتخذ حيزا في شعره ، وما يشغل حيزا في شعره قد يكون من تلك العوامل التي لم تترك ادنى أثر في حياته او في شخصيته .

واليك هذه المقطوعة الشعرية التي تستطيع ان تنظر اليها على ضوء الملاحظات السابقة :

والان اعتقد انه بامكاني ان احتقر نفسي
لتلذذي بحبها ، مع اني
سأثأر لموتها بطريقة غريبة
وهل تبذل دودة القز عملها « الذهبي »
لاجلك ؟ هل تهلك في سبيلك ؟
هل تباع القاب الرجال لحفظ القاب النساء
ولو لمدة حقيرة ، وجيزة ، محيرة ؟
لماذا يرتكب ذلك الفتى حماقات الطرقات
ويضع نفسه وحياته رهن شفتي الحاكم ؟
امن اجل الاداب الرفيعة يحتفظ بخيله ورجاله
وليثبت لها هؤلاء شجاعتهم واقدامهم ؟

ان في هذه المقطوعة (اذا اخذناها في سياقها) مزيجا من الانفعالات الايجابية والسلبية وانجذابا شديدا حادا نحو الجمال يقابله انجذاب مماثل نحو البشاعة المضادة والمدمرة في آن واحد . ونجد هذا التوازن في الانفعالات المتباينة التي يعبر عنها الموقف التمثيلي . غير ان اهمية الشاعر ليست في انفعالاته الشخصية ، الانفعالات التي تثيرها في حياته احداث خاصة ، فانفعالاته الخاصة قد تكون بسيطة او تافهة او سطحية ، بينما يتصف الانفعال في شعره بشدة التعقيد الذي يختلف عما نجده في حياة ذوي الانفعالات الشاذة المعقدة . الحق ان بحث الشاعر عن انفعالات انسانية جديدة ليعبر عنها ، هو من النقائص المتطرفة في الشعر ؛ ذلك انه بدلا من ان يهتدي في بحثه الى الجديد حيث يتعذر وجوده ، نراه يكتشف الشاذ المنحرف . ليست وظيفة الشاعر اذن ايجاد الجديد من الانفعالات ، وانما هي الانتفاع بالانفعالات الطبيعية وصوغها شعرا يعبر فيه عن مشاعر ليست موجودة في تلك الانفعالات على الاطلاق . اما الانفعالات التي لم يختبرها ابدا فينتفع بها في عمله الفني انتفاعه بالمألوف منها لديه .

وهكذا فالاعتقاد بأن الشعر « انفعال يتذكره الشاعر في هداة » هو معيار ناقص ؛ اذ ليس الشعر انفعالا ، ولا تذكرا ، ولا هو — من غير اخلال بالمعنى — هداة . انه تركيز — ورب جديد يخلقه التركيز — انه تركيز عدد كبير من الاختبارات التي لا تبدو لغير الفنان كذلك ، وهو لا يحدث في حالة وعي او تبصر ، فتلك الاختبارات لا تستحضر في الذاكرة ، وما هدوء الجو الذي تتحد فيه اخيرا الا مرافقة سلبية للحدث . ليس هذا كل ما في الامر، ففي المنظوم مقدار كبير مما يستلزم الوعي والتبصر . والواقع ان الشاعر الرديء يكون عادة « لاواعيا » حيث يلزم الوعي ، وواعيا حيث يجب اللاوعي ؛ ومن شأن كلا الخطأين ان يجعلاه « ذاتيا » . ليس الشعر اسالة انفعال ، ولا هو تعبير عن الشخصية ولكنه فرار من كليهما . وليس يدرك معنى ارادة الفرار من هذين الا ذوو الانفعالات وذوو الشخصية من الشعراء .

منح خوري

الجامعة الاميركية

في الطريق

الى الذي سالني عن سر الخطاب الاخضر

ساحضر غدا .. كما تعودت ..
حين يميل النهار .
وسيهبط المساء وانا عندكم ..
وسارحل عنكم فيه ..
وستشفقين علي من الطريق ..
ومن الظلام . وانا وحيد
ان الطريق الى قريتي طويل ..
ولم ارحل فى المساء ؟ قد تسالين .
اسمعي اذن ..
يا عزيزتي .. لكي اضحك وحدي
فلا يتهمني الناس بالجنون ..
ولكن اصفر صفيرا سعيدا تحول
دونه التقاليد ..
ولكي اقفز كالطفل فى عرض الطريق
لا استحي من الرقباء .
ولكي اقف على شاطىء الترعة
الضيقة .. اتملى صفحة الماء في نشوة
مع ذكرياتي القريبة دون ان يشغلني
العابرون ..
وايضا - يا عزيزتي . لكي نسير انا
وانت .. دون ان يرانا الناس .
هل علمت الان - يا صغيرتي - لم
لا اخشى ظلمة الليل ووحشة
الطريق ..؟
اسمعي اذن ..
ساحضر غدا .. غدا حين يميل
النهار ..

***

وسوف آخذ طريقي .. حيث امر
بالمقهى القريب ..
ان رواده يعرفونني .. وسوف
ينظرون الي .. ومع ذلك سأسير
ساسرع الخطى بعض الشيء -
وساصل حتما الى .. « البيت » ..
ساطرق الباب مرة او مرتين ..
انني خجول ..
سوف لا تسمعون هذه الطرقات ..
ولكنني سادق الباب بعنف هذه
المرة ..
يا لي من ثقيل ملحاح .. ربما
كنتم مشغولين ببعض الضيوف ..
ولكن لا باس .. ستسمعون حتما
طرقات الباب ..
ستردين انت هذه المرة .. اليس
كذلك ؟

*

ستقولين من ؟ وساقول .. انا ..
ثم اغيب عن الوجود .. انظر فى
الطريق ولا ارى العابرين ..

***

ستغيبين بعض الوقت حتى تفتحي
الباب ..
ساصدق انك خجلى .. وانك
سعيدة - وانك مثلي .. غائبة عن
الوجود ..
سأصدق كل كذب .. وساوقن
بكل وهم .. وسأؤمن بكل خيال ..!
وسترتعش يدي قليلا حين تطلين
براسك الصغير ... من الباب
الداخلي ..
وتقولين من ؟ واقول انا ... انا
ستهزين شعرك حول وجهك هزة
صغيرة .. تماما كهزة يدي ..
وستنظرين الي وانا سانظر ايضا
من خلال القضبان التي تحول بيني
وبينك ..
وسيصعد الدم الجميل الى
وجنتيك .. كما تعود ..
وستشتد ضربات قلبي كما تعودت.
ثم تخرجين .. قدماك عاريتان ..
و « فستانك » الابيض كثير الثنيات ..
الست فى البيت ؟ يا له من جمال ..
وستهبطين هذه الدرجات القليلة
من السلم الانيق ..
ستكون خطواتك جميلة حقا ..
ساحس دفئها فى دمي .. وساشعر
بحنانها فى اعماقي ..
ستكونين مضطربة بعض الشيء ..
اليس كذلك ؟
وستبتسمين بلا شك .. ستكونين
رائعة اذن ..
وسابتسم انا ايضا ..

***

ستفتحين الباب .. وكما تعودت ..
ساسالك عن « بابا » العزيز
ولكننا سننساه سريعا ..
ان يدينا مشتبكتان .. وعينينا
متعانقتان ..
انني اشعر بك فى اعماقي .. وهذه
يدك فى يدي - مدفاة الهية لقلبي
المقرور ..
انني سعيد .. سعيد لانني املك
شيئا
اليست اصابعك في يدي ..؟ .. الآن
ساضغط عليها قليلا .. لا تقولي
انني « شقي »
بل .. انني احبك ..
ولكن .. اين « بابا » ؟
ستقولين انه خرج لبعض الشئون ..
وساتاثر حتما .. وستحزن كل
ذرة فى كياني المحروم ..
ساقول لك .. ان حظي سيء ..
ساقسم لك انني حزين .. حزين
لانني لم استطع ان اجلس بجوارك
ساعة او ساعتين .. حسب ما
تقتضيه طبيعة الحديث مع « بابا »
العزيز .. حيث يعرض علي ايامه
القديمة - واعرض له شعري
الجديد ..

***

ماذا نقول ؟ لن نقف صامتين ..
ان الجيران فى نوافذهم ينظرون
لا بد ان نتكلم .. اي كلام ..
اذن - ساسالك عن « الصحة »
ولكنك ستقطعين علي الطريق
بقولك « الحمدلله »
اذن .. كيف « الحال »
ولكنك للأسف « ستحمدين الله »
لا بد ان نتكلم .. اي كلام ..
ساسالك هذه المرة عن شيء آخر
عن الحياة ..
كيف الحياة ؟
ولكنك ستطرقين براسك الصغير
الى الارض .
والدم الاحمر الجميل ... سيصعد
مرة اخرى الى وجنتيك .
ستكونين رائعة اذن .. كما
تعودت .
ستخجلين .. لانك تعلمين طبيعة

السؤال عن « الحياة » .
يا لك من شيطانة بيضاء ..
لقد علمت انني اسالك عن قلبك ..
اسالك عن حياتي انا – التي اودعتها
– هناك – عندك في الكون المجهول ..
ساسمع منك حينئذ في همس
حبيب « الحمد لله »
وفي هذه المرة سافرح بهذا
الجواب ..
وسترفعين راسك .. حين اسالك
عن « بابا » متى يعود ؟
وتجيبين .. انه لم يخبرنا متى
يعود
وستطرقين ..
ساصدق انك حزينة .. وانك
آسفة ..
ساصدق كل كذب .. وساوقن
بكل وهم .. وساؤمن بكل خيال ..
ثم اعود الى الوراء قليلا – قليلا ..
وانحني براسي .. وبقلبي ايضا ..
ثم اغيب عن كل شيء .. حتى عن
نفسي .
وانظر في الطريق ولا ارى العابرين
ثم امضي .. حيث امر بالمقهى
القريب
ان رواده يعرفونني – ولسوف
ينظرون الي !
ومع ذلك ساسير – هل تسمعين ؟ –
في الطريق المعتاد .

***

ولكن ..
لن اضحك وحدي .. كالمجنون .
ولن اصفر ذلك الصفير السعيد ..
ولن اقفز كالطفل .. في عرض
الطريق ..
ولن اقف على شاطىء الترعة
الضيقة – فليس معي من ذكريات –
ولاول مرة .. ساخش ظلمة الليل
ووحشة الطريق ..
ومن خلال السكون .. ساسمع
من نفسي .. هذا الهمس الحزين ..
ساحضر غدا .. غدا حين يميل
النهار ...

القاهرة محمد اسماعيل هاني

قصة

واحد من الريف

بقلم رشاد دارغوث

عرفته يوم وفد الى العاصمة ، من احدى المدن الريفية . وكان «شابا» في السادسة عشرة من عمره ، اذا صح ان ندعو المراهقين بهذا الاسم .

والريف عندنا يشمل كافة البلاد ، باستثناء العاصمة . وهو مهمل منذ عهود متطاولة ، لم تستثمر امكاناته ، ولا ارتفع مستوى المعيشة فيه .

وكان صاحبنا جميل الوجه ، دقيق القسمات ، رقيق المشاعر ، فكانت الحياة الجديدة ، في وسط لم يألفه ، صعبة عليه ، شديدة الاثر في نفسه . فقال لي ذات يوم :

– ... حتى المياه اجد لها هنا « طعما » غير طعمها هنالك ! انها نظيفة في العاصمة ، عذبة المذاق . بينما مياه « بلدتي » ... هيه !! يكفي ان اقول لك انهم يسدون مرتين في السنة مناقذ القناة المكشوفة التي تجرها « بسواد » الحيوانات !!..

وحينما راى سليم ما كان لتلك الصورة على وجهي من انطباعات ، قال وهو يحاول ان يبتسم كي يخفف من اثر الصدمة :

– ... الا ان ذلك يكسب الاجسام مناعة ... ملحوظة اليس كذلك يا دكتور ؟

وقلت حينما زايلني ما وجدته :

– وهل تستضيئون هناك ... بالمشاعل ؟

– بالطبع لا ... وانما بقناديل البترول ... كما يفعل سكان مجاهل افريقيا !

حينئذ عرفت سببا من الاسباب التي تحمل اهل الريف ... على الهجرة الى المدينة ، جماعات وافرادا . وقلت لسليم :

– ترى لو كان في بلدتك ماء وكهرباء ... هل كنت تفكر في الانتقال الى العاصمة والسكنى فيها ؟

– السؤال ناقص ، وان كان وجيها ... ولعلك تريد ان تسالني اذا كنت لو تكافأت الفرص ، اؤثر الحياة المدنية على الحياة الريفية ؟ انني تعلمت في بلدتي حتى حصلت على الشهادة التكميلية ... ثم جئت العاصمة لاتمم دراستي الثانوية فالجامعية ... ثم اقمت نهائيا واهلي هنا ... بفضل توفر اسباب الرفاهية ، بل لتوفر اسباب الحياة الانسانية ...!!

ثم بعد صمت تابع سليم اعترافاته فقال :

– واذكر لك على سبيل المثال ... ناحية من الحياة هي في نظري اهم نواحيها ... ناحية ... الحياة الجنسية !!

ففي بلدتنا لم يكن يتاح لي ان ... ارى وجه امراة الا صدفة ، ومن خلف الف حجاب ! اما هنا فالانثى .. في كل مكان !... يكفي ان تقف في احدى الساحات العامة ... حتى تملأ عينك وانفك من الجمال ... والعطر !...

وقلت بدوري مباسطا :

– لعلك ... لهذا اتيت الى العاصمة ؟

– بالطبع لا ! ولكن هذا ... هو جزء من الحياة ! وقد اتيح لي ان ارى وجه ... فتاة هناك ، في مسقط راسي . كانت تقف لحظات الى نافذتها المطلة على شاطىء البحر . فرفعت يدي يومئذ ... كمن يصفف شعره ! وصادف ذلك في اثناء مرور صياد سمك ... فكان ان انتشر الخبر في اليوم التالي ... ، مع فضلات « السردين » والروائح التي تنبعث منها ، في البلدة باسرها !

وقلت لسليم مؤاسيا ومستزيدا من اعترافاته :

– الواقع ان لحجاب الفتاة ... فضلا على امثالك من العشاق ! فهم

يستطيعون ان يعرفوا يقينا اذا كانت فتاتهم تبادلهم الحب حقا ! اما هنا حيث تبرز الفتيات بالمئات ، في الشوارع وعلى قارعة الطرقات ... فمن العسير ان تتبين الامر ! اليس كذلك ؟

فيقول سليم بحماسة ظاهرة :

– ولكن الحرمان ... اشد من الحيرة ! تصور انني حرمت ، بعد تلك النظرة ، من الوقوف بجوار المنزل المرصود ... ولو على مسافة مئة ذراع !

وبعد فترة قصيرة ، استعاد فيها سليم هدوءه ، قال لي :

– وقد نشأت لا احسن حتى مخاطبة المراة ! ... اسمع هذه الحكاية ... فقد وقعت الحادثة مع احد رفاقي ... في اثناء الفحص ... ! كانت الفاحصة في الهندسة ... فتاة اجنبية .. فلما سألته عن المعادلة الرابعة ... اجابها ، وهو يناديها باللقب الذي تعود لسانه عليه : « سيدي ! » فابتسمت الفاحصة وقالت : « انا لست سيدا يا سيد ! » حينئذ صعد الدم الى وجه رفيقي قانيا خجولا . وصحح التسمية قائلا : « سيدتي ! » فزادت البسمة اتساعا على شفتي الفاحصة الجميلة ، ... وقالت : « انا لست سيدة ايضا ! »

حينئذ حار رفيقي في امره : بماذا يناديها ، كي تغيب هذه البسمة الساخرة المريرة عن شفتيها الرقيقتين ... ولم يخطر ببال المسكين ، الا بعد لحظات ، ان ثمة لقبا ثالثا اختصت به الفتيات العازبات ! ولما نطق به ... « يا آنسة ... » صرخت الفاحصة بصوت لا تخفي بحته سخطها على هذا الابله المثالي ... وهي تقول : «الآن وجدتها ... يا صغيري العزيز !»

هذه واحدة ، واليك واحدة ثانية من ذكريات ابله آخر ... هو انا نفسي ! فقد عشت لا ارى من النساء غير امي وعماتي وخالاتي ، دون بناتهن بالطبع !!! وحتى الان لا اسمع منهن الا هذه الكلمات ، شربت او اكلت « العقبى لك ... ان شاء الله نفرح منك ! » والعقبى والفرحة هما الزواج بابنة خال ، او ابنة عمة .

لقد كنت اذ ذاك في الكلية ... وكان موسم الامتحانات الرسمية في ابانه . فانتدبتنا الادارة لمراقبة تلامذة الشهادة الابتدائية ، مراقبة قد لا يصلح لها امثالنا من الطلاب ، ولكنها مراقبة ترضي النظام اللاتيني السخيف للامتحانات !!!

وكان بيننا فتاة ... اجنبية بالطبع ، حسبت انها تنظر الي بانتباه اشد من اهتمامها بمراقبة اولئك التلامذة . فكان وجهي يصطبغ بالوان تتدرج من صفرة العرار الى حمرة الشفق ، وذلك تبعا لنظراتها وحرارتها

او تبعا لطول النظرات وعمقها .

وفي فترة ، وجدتني وجها لوجه امام تلك الانسة الجميلة : ابادلهـا نظرة حالمة بنظرة حالمة .

ولما تعارفنا همسا ... كي لا نزعج «تلامذتنا» المتبارين ، وامتدحت لها « فسطانها » الجميل قالت لي ، وهي تحدج الجديد الذي بقدمي :

ـ « هذا الحذاء ... بديع للرقص ! فمن صنعه لك ؟ » فاخبرتها بقصة ذلك الحذاء من الفها الى يائها دون ان يخطر لي ببال انها تدعوني بلباقة ... او تسألني كي ادعوها الى ... الرقص !

وكانت فتاة معتدلة الطول ، جميلة العينين ناعمة الشعر ، تتدلى خصلة منه على جبينها الواسع ، فتزيد شعورك بانوثتها الطاغية .

ولما التقينا بعد ايام ، كانت نظرتها الي لا تنم عن الاشفاق وحسب ، بل عن شيء آخر ربما كان ... شبيها بتلك السخرية التي ظهرت لي ولرفيقي على شفتي « الفاحصة » الجميلة !

لم يدم هذا الطور سوى بضعة اشهر ... فقد كان « الرفاق » ، باحاديثهم وتصرفاتهم ، يدلونني على كل شيء ... ولكن دلالات مغرية في صفاقتها ، ومثيرة في اباحيتها .

فتمنيت مرارا ان يكون الى جانبي اب حكيم ... استشيره ، او رفيق نصوح يقودني في هذه الطريق الوعرة المخيفة ! او ان تكون المدرسة ... وسطا للتربية ايضا ، لا بؤرة للتعليم وحسب !

لا تتصور مبلغ شقائي باولئك الرفاق ... الذين توزعتهم الشهوات ... وكان شرهم افرادا تملكهم الشذوذ ... فصاروا وحوشا في اثواب الاوادم !

بل ان بعض المعلمين ... الذين كانوا من فئتهم ال شاذة ، كانوا يشجعونهم على اقتراف الموبقات ، وييسرون لهم اسبابها !!

وهنا صمت صاحبي كانه يستعرض صورا من عهد الصبا ، يحن كل منا اليها ، حتى في ابان الشباب ، ثم قال بصوت متهدج :

ـ « بعد ذلك سرت في «المدينة» كما يسير كل وافد اليها من الارياف ... على غير هدى ! بل على هدى الرفاق والاصحاب والاخوان ! وما اكثرهم اذا كان « واحدنا » ساذجا مبسوط الكف ، فكنت ضحية مرتين: مرة لجهلي اسرار هذه « الحياة » الزائفة، ومرة لانني كنت وحيدا،وسط هذا البحر الزاخر من البشر ! ولا تنس اننا هنا ، في المدينة ، نعيش كما يعيش سكان سائر المرافىء الكبرى.. اخلاط من الناس، لايجمع بينهم سوى المصالح والمنافع !

وقلت بدوري ، حينما توقف الشاب عن البوح :

ـ « ولكنك تجور يا صاحبي على « المدينة » ! الا ترى انك تصور الوجه الاخر للخير الذي يستبطن دائما بعض الشر ؟ »

قلت هذا، وصاحبي يسوي شعره، بمشط يحتفظ به الى جانب المنديل المتدلي على صورة وردة ، من جيب سترته الاعلى . فالتفت الي محنقا يكاد يصفعني بنظراته الحادة المترجرجة ، وقال :

ـ « الخير ... اي خير يربو بين الوحول ، ، وفي اجواء الفجور ؟ دعنا من فلسفتك ، فلسفة المدارس والمدرسين ، فانني شقيت بها زمنا . قبل ان علمتني الحياة ان العضو الفاسد يجب بتره... الفسادبجب استئصاله ، لا اكثر ولا اقل !

ـ ولكنك لم تتعلم جديدا يا «فيلسوفي» الصغير ؟ هذا قول سبقك اليه منذ الفي سنة ... « سيد » عاش هنا ، وتقدست ارضنا مذ وطئتها قدماه ! »

قلت هذا ثم تعالى الصراخ من باعة الصحف ، الذين ازدحموا بباب الجريدة المجاورة لعيادتي ، فملأوا الاذان بصخبهم . واقبلت وصاحبي نطل على الشارع، واذا بنا امام مشهد رائع : الشرطة تهاجم ادارة الصحيفة. لانها نشرت الحقائق التي يرددها الناس عن فضائح ... التموين واثراء « بعضهم » على حساب لقمة الجائع ، وقرش الفقير !!! فكانت معركة بين الشرط والباعة ، لم يكن السلاح فيها متكافئا ، ولكن الاصابات في الفريقين جاءت متعادلة ! فحجارة الباعة ادمت وجوه الشرط ، كما ادمت عصي هؤلاء ... ومسدساتهم اقفية اولئك الباعة .

ولما انتهت المعركة ، التفت الي « الريفي » القديم ، وقد اصطبغ وجهه بحمرة الغضب ، وقال :

ـ لو لم اكن من اسرة غنية لما استطعت ان اتعلم ... ولكنت كاحد هؤلاء الباعة ... اواولئك الشرط ! وانني احمد الله على انه جنبني هذا المصير !

فسألت حينئذ صاحبي ، الذي عرفته منذ سنين ، دون ان استنبش ما لا يبوح لي به من اسرار حياته الخاصة :

ـ وماذا تعمل ... الان يا سيد سليم ؟

ـ تاجرا ... في المرفأ !

قال هذه الكلمات بسرعة واعتزاز . ولكن سرعان ما غامت في عينيه اشعاعة الزهو ، فقد كفت بداية قهقهة اطلقتها ببساطة ، حتى يمتعض صاحبي ، كأنه انسان منقوص ، وكزت موضع دائه . ثم قال :

ـ وهل لا تزال تحسبني واحدا من الريف ... يا دكتور ؟

فقلت له معتذرا :

ـ معاذ الله ! فانك قد «اعرقت» في المدنية حتى صرت ... مرفأيا ...!!؟

ثم نهضت ، ونهض سليم ونحن نضحك مرحين ، فسبقته الى غرفة «المعاينة» كي افحص في جسده عن اسباب العلة التي يشكو منها ... منذ اثرى ، وصار يملك ما ليس له به حاجة ، من اموال وعقارات .

رشاد دارغوث

مـريض

✷

مريضٌ أنا ... فى عروقي لهيبٌ حزين ، وفوق جبيني شتـــاء
وملء عيوني خريف شرودٌ وافقٌ يبوخُ (١) عليهِ مســاء
وفى شفتيَّ دعاء لجوجٌ أبــحُّ ... تهالك فيــه العيــاء
مريضٌ أنـا ... ما لقلبي تُقصّفُ أغصانه الخضر أيدي الفناء
وتصفرُ فى ليل نفسي رياحٌ لتطفىء فيه شموع الرجاء ...!

✶✶✶

ومثلي الطبيعـةُ ... ثم الحقول يجلببها أفــقٌ أغبــرُ
وتبكي عليهــا عيون السماء وتسفعهــا الزعزع الصرصرُ
ومثلي السواقي ... تعكّر فيها الصفـاء ، وجف الغنا المسكرُ
ومثلي العصافيرُ ... هامت ... فبعضٌ سيحضنه عشه المقفرُ
وبعضٌ يموت على الغصن بردا فيَلحِدُهُ الورق الاصفر

✶✶✶

مريضٌ أيا أختِ ...!... قلبي مريضٌ ... أحس به متعبا متعبا
كأن كآبة هــذه الطبيعةِ أضفت عليَّ شحوب الربى...
مريضٌ أنا ... أيُّ شُهبٍ عماق بنفسي توشك أن تغربـا
وأي أزاهـير تذوي رويـدا ونبـع ينازع كي ينضبا ...
ولحن تباعد شيئا فشيئا ... وغاب ... أحس به قد خبا ..!..

دمشق : **كمال فوزي**

(١) باخت النار : فترت وخمدت

بقلم هنري ودانا توماس

شعراء خالدون : جيوفري تشوسر

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

°°°

خرجت لندن كلها فى قوة لاستقبال الموكب المنتصر . فاصطف الناس فى جموعهم الفرحة على الطريق المفضية الى كانتربري . ذلك بان الفرنسيين هزموا فى بواتييه ، وعاد الامير الاسود الى انكلترا ومعه الملك الفرنسي الاسير . ان الغرور الوطني البريطاني لم يبلغ الحد الذي بلغه يومئـذ . فقد غدا كل انكليزي يشعر بالمجد الذي ينثال عليه ـ الفارس الذي حارب على صهوة جواده والاقطاعي الذي استخـدم قوسه ونشابه ، والتاجر الذي مون الحملة ، والنســاء والامهات والزوجات اللائي قمن بواجباتهن فى بيوتهــن بشجاعة حين كان رجالهن يحاربون فى خارج البلاد .

ولعدة ايام عملت لندن بحمية من اجل الاستقبـال الملكي . والآن جاءت اللحظة العظيمة . اتخذ الحرفيـون اجمل البستهم الزاهية ، وكذا النساجون والصباغـون والنجارون ، فاستعرضوا جميعا فى سترهم الحريريـة وخناجرهم الفضية ، فى حين كانت نساؤهم وابناؤهـم وبناتهم يتنافسون فى عرض ملابسهم الملونة البهيجة . وفى هذا الحشد كان بعض الشيوخ متأثرين من « هذه الملابس غير اللائقة » التي ترتدي بها النسوة وعلى الاخص العذارى منهن . ولم يكتف الشيوخ بذلك ، بل اشاروا بأصابـع السخرية الى اردية السيدات النبيلات ، فى تزويقهـا ، وتلوينها ، وزركشتها ، ومما زاد الطـين بلة ركوب تلك النبيلات خيولهن المطهمة ، وسيّر هذه الخيول خببا فى عرض الشارع وطوله . صرخ احد الشيوخ قائلا : « دمـاء غريبة ، ولكن سيدات لندن لاهفات على الاستزادة من الملابس . » . غير ان هذا الصوت غرق فى صرخة مدوية شاملة . اذ ان الموكب مقبل ـ الف فارس من لندن على ظهور الخيل ، تتبعهم جماعات من حملة الاسلحة ، والرماة . والان الحظ نبلاء (كاسكون) وهم يقودون ملك فرنســا الشقي . ما اعظمها من شهامة ! اذ بجانب الاسير يجلس الآسر ، امير بريطانيا الاسود .

ومن الشخصيات المرموقة التي رقبت هذا المنظر ، كان ليونيل ، شقيق الامير الاسود الاصغر ، وزوجته المحبوبة الكونتس اليزابيت ومن بين حاشيتها كان جيوفري تشوسر ، شاب صغير ساحر ، يرتدي بقميص احمر وسروال اسود ، ومعطف احمر . نبض قلب تشوسر بشدة . انه فخور لوقوفه بجنب سيدته . لقد كان يعلو صوته محبذا كلما مرت الخيول الزاهية في موكبها الرائع . والواقع ان هذه

كانت مناسبة سعيدة لشاب يافع من حاشية الكونتس اليزابيت . بدا الموكب باحتفالات عيد القديس جورج . وقد اشترت له الكونتس بدلة بثلاثة شلنات ونصف . ثم كانت زيارات الى قلاع وندسور ودستوك وهاتفيلد . كانت انكلترا منظرا مفرحا ! وكانت الحياة عيدا مثيرا للبهجـة ! ولطالما رغب (جيوفري) اتباع العرض فى الطريق كله من كانتربري .

★ كانت فرنسا بلدا عنيدا رفض الانصياع الى متطلبات المعاهدة . اما ملك فرنسا الاسير ، ففي شوقه للعودة الى الوطن ، وعد بالتنازل عن اي مقاطعة ترغب فيها انكلترا . ولكن مجلس الوزراء فى باريس ، الذي ظن انه بعيد عـن متناول السجون البريطانية ، ابى ان يتنازل عن اي قطعة من المملكة . وهذا مما حدا بالامير الاسود ان يقسم باغلظ الايمان ليعيد الكرة . اذن ، هل نسى الفرنسيون بواتييه ؟ ثم جهز حملة قويـــة ستنزل الخراب والدمار بالشعب الفرنسي الشكس المكابر . ومن ذلك الحين انضم كـــل انكليزي قوي البنية ، شديد المراس ، الى الجيش العرمرم المحتشد فى دوفر قصد الغزو .

ان « الله والقديس جورج يحفظان انكلترا ! » . تم تجهيز ستة الاف قارب فى عرض القنال ـ شرعت الرحى تطحن الذرة وبدات المخابى تخرج الخبز ، وتنافر الصيادون والكلاب السلوقية لمساعدة الملك فى الصيد فى ايام الحصار المنهكة . لمعت عيون جيوفري تشوسر . انه لم يمض سوى سنتين على الموكب المجيد فى مدينة لندن ، حتى تراه الآن جنديا على ساحل فرنسا . اللهم يسر ، بحملك ملكه متمكنا من الوصول الى (ريمس) ليتوج ملكا على فرنسا وانكلترا فى الوقت نفسه . كانت قطعات الجيش تزحف عـلى مونتريل على مقربة مـــن البحر فى الجنوب من بولون . دخل (جيوفري) الكاتدرائية العظيمة فى اتضاع ليصلي من اجل انتصار مليكه . كانت هذه الكنيسة هيكلا عظيما ، تعلوه خصل بارزة وعينان ورديتان واضلاع رائعة . ان هذه الكاتدرائية القوطية كانت مخلوقا جميلا من خلائق الله . والفرنسيون الذين اقسم على القضاء عليهم فى المعركة ، هم الذين شيدوا هذا البناء المقدس . لقد راى فى القرى نساء عجائز واطفالا صفارا ، وهم يحملقون بوجوههم المرعوبة فى الرماة والفرسان الانكليز الذين يسيرون فى راس قوافلهم المحملة بالمؤن . لقد تذكر عيون طفل صغير فى العاشرة من

العمر ، تلك العيون التي كانت الدهشة والرعب تجعلانها في اتساع مستمر . بدأ يشعر بالعار بعض الشيء . لم كان عليه ان يفخر بقهر بلد لم يعرفه من قبل ؟ لم كان عليه ان يذل شعبا لم يكد يراه قبل ذلك الحين ؟ وفي ثلوج الشتاء وصل البريطانيون قبالة (ريمس) . فعسكروا هنـــاك لمحاصرة المدينة . ارسلت طلائع من الجيش لنهب الضواحي وفي احدى هذه الغزوات وقع جيوفري تشوسر اسيرا بايدي الفرنسيين ، فاعتقل بين اسوار ريمس . ما كان اسعده اذ كان يسير تحت النوافذ الزجاجية وبين التماثيل المرمرية في كاتدرائية ريمس . لقد كانت الطبقات الرفيعة في انكلترا تتكلم الفرنسية ، غير انها خابت في ادراك الروح الفنيـــة الفرنسية . لم يدرك الانكليز فنا معماريا كهذا ! فكان على الشاب الصغير ان يسافر ، جنديا ، الى اقطار اخرى كي ينال ذوقا مفعما بالجمال . ولما اعتق تشوسر في الختام عاد الى لندن وراسه مفعم بذكرى ريمس . ان هذه الحمـــلة كانت حملة عسكرية عجيبة .

★ اجتازت الكونتس اليزابيت فردوس انكلتـــرا الى فردوس آخر (١) . فوجد جيوفري تشوسر نفسه طليقا من الخدمة. ولكن لاجل معين؛ ذلك بان صديقا من اصدقائه يدعى ، جون الفونتي ، ورث دوقية لانكستر العظيمة فاصبح اغنى رجل في انكلترا . وبمعونة هذا الصديق المتنفـــذ غـــدا جيوفري مرة اخرى عضوا في البـــلاط الملكي . ثم عين شاعر الملك رسميا . وقد وافق هذا التعيين تقاليد تشوسر تمام الموافقة ولاجيال كان اسلافه سقـــاة المآدب الملكية . فدعي الان لينعش حفلات الملك ــ بخمر اغانيه ، وبتوابل حكمته الدبلوماسية . لان الملك يسر له الدخول في مجلس المؤامرات الخاص به . ولم يمض طويل وقت حتى كان تشوسر خبيرا في تحريك البيادق السياسية على لوحة المكائد الخارجية .

ارسله الملك في بعثة دبلوماسية الى جنوه . ومرة اخرى وجد نفسه على تربة غريبة في خدمة بلاده . وهناك تطلعت نفس الشاعر من قناع السياسي . لانه ، وجد في ايطاليا ، وسط المؤامرات والمؤامرات المتقابلة ، وجد رسوم غيوتو واشعار دانتي . كانت ايطاليا اليونان القديمة وهي تبعث الى الحياة . ان الكواكب التي تسطع في سماء شبه الجزيرة ، تحمل نيران الشروق الفني التي ستمحو آياتها ظلام المكائد السياسية. ولكن حماسته من اجل الفن الايطالي لم تجعل الشاعر الدبلوماسي الصغير ينسى تبعات بعثته السياسية . فبعد ان انهى هذه البعثة نهاية مظفرة ، عـــاد الى مليكه ليتسلم جائزة ثلاثية لخدماتــه ــ وظيفة في المكوس في ميناء لندن ، ودار ضيافة في اولدكيت مجانا ، وقارورة من النبيذ يوميا ، تصار اليه من المخازن الملكيـــة « لانعاش بيته وتطييب خاطره » .

ملاه جديدة او امتيازات جديدة . تزوج شابة بالغة الاناقة والاسراف ، تدعى ، فيليبا ، عملت جهدها لكـــي تقوده في مطاردة مرحة « للانسجام مع النبلاء » . فاضطر الى سكب ما يحصله في بئر رغباتها التي لا قعر لها .

(١) المقصود بذلك انتقال الكونتس الى العالم الثاني ، المترجم .

الاديب

★

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيه ونصف او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات ، في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيها او ٦٠ دولارا كحد اعلى

★

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى

اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

★

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ — المنزل ٢٥١٣٩

Tél. Direc : 23819 — Dle. : 25139

★

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير اديب**

سكرتير التحرير : **الدكتور محمد يوسف نجم**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ــ لبنان

ومع اهتمامه بطلبات زوجته ، وجد فرصة ليكرس معظم وقته لسيدته الهة الشعر ، ميوز . كتب حكايات رومانية غرامية وقراها بصوت عال حين تخلو الموائد الملكية من الزوار ، ويسقط الضوء الاحمر من المشاعل على معاطف الفرو وملابس الدمقس التي ترتديها النسوة المجتمعات .

« وكجوهري يداه مليئتان بالجواهر ، سكب اللالىء والالماس اللامع والزمرد والياقوت باسراف وبذخ » ولكن نهمه لم يشبع ، وظمأه لم ينقع ، لان الشاعر لا يرويه شيء غير الحق . والى الان لم يصل الا الى مشارف مثل هذا الحق — الوان زاهية واشكال رائعة من اردية الحق . فليس من جواهر فى شعره غير اقواس قزح ، وقد اجاد فى تصويرها . انه كان يحيا فى حلم بعيدا عن الواقع .

سافر كثيرا فى اداء واجبات وظيفته . وكلما وكز جواده وجد وقتا وافرا لتفكيره . وقد احب خاصة ان يكون على المرتفعات فى شهر مايس ، حين تكون المناظر الانكليزيةفى خضرتها الطرية ، لتغرق جميعافى اعماق روحه. فثمة شيء سحري فى جمال انكلترا يفوق ما ينتجه من مناظر فى حكاياته . ان « ما فى كتبه واغانيه وقصائده » الكفاية . فعليه ان يحمل اغانيه فتنة انكلترا ويشرع فى ذلك من ذلك الحين .

★ جلس جيوفري يوما فى مكتبه فى الطابق العلوي من بيته فى اولدكيت . وكان الوصول الى هذه المكتبة عن طريق سلم حجري حلزوني . اصطفت على الرفوف مئات من الكتب اللاتينية والفرنسية . فعليه ان يتوقف وسط احلامه لينتفض منها ، ويتجه الى العمل . فليس من وقت لديه ليهز راسه الوسنان ، على حين يجلس نسيبه متحدثا اليه ، فى عرض المائدة ، بصوت مجلجل ، قائلا « ان ايام الفروسية ذهبت الى حيث لا رجعة . فمجد انكلترا مضى من غير عودة . لقد فر الاقنان من اسيادهم وطفق المزارعون يغزون المدن ليزيدوا طبقة الشغيلة تضخما ... » اهتز راس تشوسر ، فجاءته الجمل متقطعة مشوهة ، كانهـــا صادرة من ضباب . « .. مهيجون ... مطاليب مرعبـــة من اجل زيادة الاجور .. اجتماعات حرة فى البرلمان ... » تيقظ تشوسر مرتعشا للخطة . « برلمان » همس تشوسر ، برلمان من الاحرار — احرار كالطيور — برلمان من الطيور .. « ما ابدعها من فكرة فى صلب قصيدة » . افرض ان الطيور دعيت باسماء غير اسمائها كما هي الحالة في الخرافـــات المعهودة ، فماذا لك ان تعمل ؟ ليمكن ان تدعو الطاووس والعصفور باسماء الكواسر والغربان « ذات الشراهــــة والوقاحة » ثم يمكن ان تجلبها جميعا لمغازلة انثى نسر ... اجل كان يحلم مرة اخرى حين كان نسيبه يستمر فى كلامه ، على وتيرة واحدة ، قائلا « ان دات تايلر ودهماءه ... يتقدمون الى برج لندن ... وهم يتظاهرون صاخبين ضد ضريبة الراس ... وقت شرير ، يا جيوفري ... هـــذا اليوم المميت .. » هذا اليوم ؟ ومرة اخرى نفض جيوفري النعاس من راسه . لماذا ، وهذا يوم القديس ڤالاتين حين تغازل الطيور انثى النسر ، لتبين لها عواطفها ومشاعرها . والان تقوم الاوزة ، بهجوم عاصف لتنيل ما تريد بعد تصميم وسبق اصرار . ولكنها سترد على عقبيها من قبل الصقر الذي يحول بينها وبين ما تريد . فى الضجة الصاخبة .

والواقع ان ضجة كانت فى الشارع ضجة واقعية . ان ثورة المحرومين من الارض قد نشبت فى النهاية فقد اندفعت سيول الدهماء فى اتجاه البرج . فركضت زوجة تشوسر الى غرفة المطالعة مرعوبة صارخة « جيوفري ، لقد ضعنـــا . ان الرعاع مسلحون . »

نهب ، وسلب ، وقتل ، تمزق قلب جيوفري بــين عطفه على الثوار وولائه للملك . استمع الى خطاب احد قادة الثورة ، القس الكنتى جون ويكلف ، وهو يستحث اتباعه قائلا « ان الامور لا يمكن ان تجري هينة لينة ، ولن تكون كذلك ، اذا لم يكن كل شيء مشاعا — حين لن يكون خادم وسيد . وحين يقضى على الامتيازات جميعا . . »

ثم نطق صوت تشوسر فى دخيلة نفسه قائلا « يا جيوفري، انت مدين لمليكك فى كل شيء — حياتك، رتبتك، وخدمتك. انت من النظام القديم ؛ انت ثقافة هذا النظام . انت قلبه . انت خداعه . انت مهرجان حلم قديم . فلا تدع مثل هذا الحلم ينتفض في يقظة قاسية . »

★ قمع النبلاء الثورة ، فظل جيوفري فى خدمة الملك . وكان كثيرا ما يمتطي جواده الى حانة فى ماوتورك بعد ان ادى واجبه اليومي في لندن . كان ينتحي زاوية في الحانة بعيدا عن الانظار . لانه احب العزلة اشد الحب ، فلم يكن يهمه الاستغراق فى افكاره الخاصة . وفى ذات مساء فى شهر مارس ، بينا كان جالسا فى زاويته متأملا مفكرا ، تدفق جمهور من المسافرين الى الحانة في صخب شديد ، فظن جيوفري « بان هؤلاء لا بد ان يكونوا من حجاج كانتربري ، توقفوا هذه الليلة هنا ، وهم فى طريقهم الى مرقد القديس توماس ابكيت . » ولا شك فى انه تمتع كثيرا بما رآه من امتزاج الطبقات المتباينة فى المجتمع الانكليزي ، فى سفرتهم المشتركة ، « فى هذا الشهر البهيج ، شهر مايس . » انك واجد هنا القس والاطباء والفلاحين والملاحين والخـــدم والرهبان والتجار . وهم فى جلسة مشتركة فى الحانة ، يتبادلون سرد القصص والحكايات فى روح من الرفعة لـــن تجد لها مثيلا فى غير الفنادق الانكليزية . عد جيوفري الجمع فاذا هم تسعة وعشرون حاجا . ان « انكلترا برمتها» فى خان تابارد هذه الليلة .

كان صاحب الخان رجلا مرحا ، ذا صوت صادر من القلب ، يجلجل مثل الرعد فى عرض السقف . وبينا كان يتكلم تبسم ضاحكا فى وجه راهبة حيية ، اخذت موضعها فى جانب من المائدة لتلثغ بالفرنسية بلطف . وعلى مقربـة من هذه الراهبة تاجر ، كئيب المنظر ، ذو لحية مدببة ، وقبعة فلاندرية يتكلم بحماسة مع جاره على سفنه التجارية ومراكز معاملاته فى عرض البحر . وفى الناحية المقابلة من المائدة طبيب بعيد ذكر معاركه الظافرة مع الموت ، ممـــا جعل الضيوف يفغرون افواههم فى نفس متقطـــع . عـــلا صوت المضيف قائلا « لم ار جماعة من الناس اكثر بهجـة من هذه الجماعة ! » ثم التفت الى فارس ممشوق القوام ، حسن الهندام ، كان يرتشف جعته ببطء وهدوء . فقال له « هل رجعت مؤخرا من ساحة القتال ؟ » فاجابه الفارس « انا دائما عائد من ساحة الى اخرى يا سيدي المضيف . فقد حاربت من اجل الدين فى بلدان مسيحية ووثنية — فى

الاسكندرية وتركيا وبروسيا، وفرنسا، ولتوانيا، واسبانيا. والان ، فى فترة راحتي بين حربـــين ، اعتزم السفر الى كانتربري للحج والزيارة . » .

نظر تشوسر الى الفارس فى بدلتـــه المعروفة . ان شيخوخة الفروسية تتحطم امام عصر التجارة . فالحياة محيط يتموج باستمرار بما تهب عليه من رياح عواصف . رياح جديدة ، امواج جديدة ــ غير ان البحر هو هو فى عناده الذي لا يتقبل تغيرا . ثم حول تشوسر انتباهه من الفارس الى احد الضيوف الاخرين ــ قس تشع عيناه بنور يشبه نور الانجم فى ليل ضباب حالك . غنى القس قائلا « انا مسرور ، انا شخص مهم ، فليس من نظام كنسي خير من نظامي » تبا للجمعة ما تفعل بالرؤوس ! » .

ابتسم تشوسر لما سمع ما نطق به القس وقال « قس معترف ــ وابن شيطان. » رد عليه القس فى مرح ، كأنه قرا افكار الشاعر الصامتة : « اخذت البراءة الكهنوتية من يد البابا نفسه . فانا مستعد لسماع اعتراف اي منكم ــ على ان تقدموا ما يلزم من اجور . »

عبست الراهبة فى وجهه ، ثم مالت الى طعامهـــــا تلتهمه . وبكل نظافة مدت اصابعها الى (المرقة) معتنيـــة الا تفلت لقمة من بين اصابعها . سر جيوفري من دقـــة مسلكها . فبدت رقيقة الشعور ، خائفة لطيفة ــ كأن قلبها سيتحطم من رؤية فأر ينزف دما .

وفى هذا الوقت نفسه كان الضيوف الآخرون منهمكين فى لعب الورق والمزاح والملاطفة ، والجدل بين رنين الكؤوس الطافحة والصخب العارم . ثم لك ان تلتفت الى طحان ذي لحية حمراء وفم واسع كل السعة ، وعلى ارنبة انفه ندبة ، انه يوجه حديثه الى شاب صغير شاحب اللون ، يرتدي مزقا ليس لها من كلمة معطف الا الاسم . وممـــا قاله للشاب : « تعال ، تعال ، يا صديقي ، فانا على يقين من انك استاذ . » فاجابه الشاب « انت محق . فانا فيلسوف » . وبعد ان تبسم ببرود قال الشاب : « ولكن خزائني ملأى بالعلوم بدلا من الذهب . »

فقال الطحان : « اجسر على القول ان معدتك ملأى بالجوع دائما » . فتبرع رجل غني ، ذو لحية بيضـــاء للاشتراك فى الحديث ، فادلى بدلوه حين قال « يسعني اطعامك يا رجل . ولك ان تتصرف بخزائني ، فى البيت ، فهي ملأى باللحوم والمشروبات . ذلك بانها لا تحتوي علـى كتاب واحد . » ثم صرخ الطحان قائلا « ابق معنا ، ايها الشاب ، لنجعلك ابنا من ابناء ابيقور ــ . » فتدخل الطبيب قائلا « ــ ونعطيك جسما مريضا لتضيف الى مشاكلك الميتافيزيقية . »

دار الحديث جيئة وذهابا ، كأنه كرات ملونة بايدي الحواة . ثم جاء دور امراة بدينة مرحة فانضمت الى هذه الرياضة لتغدو مركز الحلقة . كان معطفها اصفر اللون وجواربها قرمزية . وكانت ترتدي بعمامة من المناديل تزن « عشرة باونات على الاقل . » همس الطحان شيئا فى اذنها، فاحمر وجهها اكثر من احمرار جواربها ، ثم فتحت فمها حتى بدت فجوة واسعة بين اسنانها . ثم راحت تخاطب الناس ، موجهة الكلام الى الجماعة كلها بدلا من الطحان ، قائلة « نعم ، ايها الشعب الصالح ... كان لي خمس ازواج منذ كنت فى الثانية عشرة . والان ، انا فى انتظار السادس. .

لقد امرنا الله ان نتكاثر ونزداد ، ولقد طبقت اوامره بثقة وايمان ... وحين اتكلم على الحب يسعني ذلك ، لانني به خبيرة احسن ما تكون الخبرة ... فقد ارسلت الى القبر خمسا ممن احببتهم اشد الحب . ولعل الله يعطف عليهم برحمته الواسعة .. »

ثم تكلم شاب كتاني الشعر : « اقسم بسيدتنـــــا (العذراء) بانك كنت واعظة نبيلة بالنسبة الي . فقد كنت موشكا على ان آخذ زوجة ... »

مضى الليل الا اقله . فحان وقت راحة الحجاج. لانهم كانوا فى شوق للاستيقاظ صباحا مبكرين . وحين نهض الحجاج من المائدة ، رأى المضيف ان يقدم اقتراحا ، فقال : « امامكم ، يا اصدقائي البررة ، سفرة طويـلة صباحا . فدعوني افيدكم برياضة مسلية . ليقص كل منكم قصتين فى الطريق الى كانتربري ، ومثلهما فى العودة منها . ومن كانت قصصه احسن من غيرهـــا ، سيجد فى نزل تابارد فراشا وطعاما مجانيين .» مضى الحجاج الى الفراش ، يجمعهم اتفاق مرح وتأييد تام .

فتح جيوفري تشوسر عينيه . انه كان وحيدا . ان ما رآه اضغاث احلام بفعل قنينة الشراب . لقد تلاشى شعب خياله . فصاحب الخان ، الذي اخذ منه النعاس مأخذه ، شرع يطفيء الشموع .

نهض تشوسر على قدميه وقال هامسا « انا فى عجب عن نوع القصص التي سيسردها الحجاج . » فنظر اليـــه المضيف باستغراب . « هل تكلمت على شيء تريده ، يا سيدي ؟ » فرد عليه تشوسر بابتسامة « اجل ، يا سيدي ، كنت اتحدث عن اقاصيص كانتربري .

***

ولما نشرت « اقاصيص كانتربري » تثبتت سمعة تشوسر ، على انه ابو الادب الانكليزي .

مرت عليه احوال كان فيها كيســه فارغ الوفاض . ولكن حياته انجزت واجبها . فقد قدم موسيقى جديدة الى لغته الوطنية ، وتحت سحر قلمه ، ظلت اللغة والمنـــاظر الانجليزية حية الى الابد . ابدا « اكثر ايناعا من ايار فى ازاهيره الجديدة . »

ولقد اوحى الى شعب بريطانيا كذلك نفس الحياة الخالدة . هذا هو سحر « اقاصيص كانتربري » اغنية الصباح فى العصر الحديث ..

وكلما مرت السنون ، استعد تشوسر لترك جانـة العالم ، من اجل السفر فى زيارته ــ كانت ثمة ايام ، كان فيها بائسا يائسا ، بسبب ما لقيه من عنت ونصب . لانــه لم يكن موقنا بطريقه الى الضريح المقدس . اسمعه يقول :

« سمعت الناس الف مرة يتحدثون ، عن البهجة فى السماء »
« والشقاء فى الجحيم ، انا اظن انهم على صواب . »
« ومع هذا ، فانا اعرف جيدا بان ليس من سكان بلدنا ، »
« من وطأت قدماه ايا من الجحيم او النعيم . »

ولكن لما ازفت الساعة ، واعلنت بداية الرحيل فى الفجر ، كان على اتم اهبة للسفر . « ايها الحاج ، الى امام . الى الصباح . من غير خوف ولا رهبة . »

يوسف عبد المسيح ثروة — **العراق ــ بعقوبة**

رسالة من بعيد

بقلم عيسى الناعوري

كنا رفيقين حميمين ، جمعت بيننا القرابة ، وجيرة الحي ، وزمالة المدرسة ، كما جمع بيننا التفاهم التام في كل شيء ؛ وكنا لا نكاد نفترق في مطالعاتنا التي كنا نجتمع لها احيانا في منزلي ، واحيانا اخرى في منزله ؛ وفي بعض الايام كنا نحمل بعض الكتب، ونمضي لمطالعتها في ظل أشجار الزيتون المتناثرة في حي الطالبية او الكفورية ، على مقربة من فندق الملك داود في القدس . وبين الحين والحين كان احدنا يرفع عينيه من كتابه ليعلق بما يبدو له من راي ، او ليروي ما اعجب من عبارات او افكار ؛ او نضحك لما يمر امامنا من نكات او فقرات مضحكة او طريفة .

وكنا معا نتحمل بصبر وصمت عظيمين ما كان يوجهه الينا بعض الاميين الجاهلين من اقربائنا ، حينما يرون عكوفنا المستمر على مطالعة هذه الكتب ، التي كنا نبتاعها بما ندخره بألف مشقة من رواتبنا الضئيلة ، ونحرم انفسنا لاجلها من كل متعة او لذة صغيرة .

وفي احدى المرات كنا جالسين معا في منزلي ، نطالع بعض الكتب ونتحادث في مواضيعها، غير مشتركين في الحديث المتشابك الذي كان يدور خلفنا بين جماعة من اقربائنا ، كان اغلبهم من النساء . وكانما غاظهم انصرافنا هذا عن تلك الاحاديث التافهة ، فاذا احدى العجائز ترفع صوتها لتلفت انتباهنا الى سخريتها الحمقاء ، وتقول :

ـ وددت لو ادري ماذا يستفيدان من هذه الكتب ، التي تطل عليهما باعجازها الكريهة من الرفوف الخشبية !!؟ .

فنظر كل منا الى الآخر نظرة فيها الم ومرارة وسخرية ، ولكننا لم نلبث برغم الالم والمرارة ان انفجرنا بالضحك لهذا التعبير الذي يدل على منتهى الغباوة والسخف . وكان ضحكنا هذا اول اشتراك لنا مع المجلس منذ انعقاده ...

لقد اعجبنا وآلمنا كثيرا ان لا ترى العجوز من الكتب غير اعجازها المطلة من الرفوف ... واني لها ان ترى ما في قلوبها من نور المعرفة ، ولم تتح لها عصور الظلمة ان تحس بعقلها ، ان هذه التي تطل باعجازها من الرفوف ، هي التي تقود الحيارى ، بنور المعرفة والحكمة ، وتفتح امامهم ابواب النجاح في الحياة ؟

وظلت عبارتها هذه عالقة في ذهنينا ، فما تنقطع عن التندر بها في كثير من جلساتنا ومطالعاتنا . ولكننا لم نكن نكتم فيما بيننا ما نشعر به من مرارة ، امام سخرية هؤلاء الاقارب الاميين ، مع انهم ، او ان فقرهم وجهلهم معا ، كانا السبب في عدم تمكننا من اكمال دراستنا ، فقد كانوا يعتقدون بان « فك الحرف » هو الغاية القصوى من المدرسة ؛ ونحن قد بلغنا هذه الغاية حين انهينا دراستنا الابتدائية ؛ فلم يبق الا ان نبحث عن عمل نعيش به ، ونساعد ذوينا في تكاليف المعيشة .

ولكن سخريتهم هذه ، ومرارة نفوسنا امامها ، لم توهنا من عزمنا ، او تحدا من تصميمنا على متابعة السير في طريقنا الى النهاية الممكنة ؛ فنحن ماضيان في حرمان انفسنا من كل متعة ، لكي نوفر قروشا في كل شهر نبتاع بها كتبا جديدة ومجلات جديدة ، فنهيء انفسنا للمستقبل .

ومضت بنا الحياة في بطء وقساوة ، سنين متتابعة ؛ ثم انحرف اتجاهها اخيرا برغمها ، امام عزيمتنا الماضية ، وتفتحت امامنا ابواب من العيش ارحم واوسع . وكانما بدأ الاقارب الاميون يحسون بان الكتب التي تطل علينا باعجازها من الرفوف الخشبية ، لم تكن بلا فائدة ؛ فبدأت لهجة حديثهم تتغير شيئا فشيئا ، ولكننا لم نكن نكترث لجديدها ، كما لم نكترث من قبل لقديمها .

لقد استطعنا ان نؤدي امتحان الدراسة الثانوية باجتهادنا الخاص ، بنجاح كبير ، وان تكتب الصحف اسمينا بين اسماء الفائزين بالشهادة ؛ فتتوارد علينا التهانيء من الاقارب والاصدقاء . وكان من الطبيعي ان يتلو ذلك ترفيع درجتنا ، وزيادة رواتبنا في الدائرة التي قضيناسنوات ونحن نعمل فيها اعمالا بسيطة . وبعد ان كنت مراسلا بسيطا فيها . وكان صاحبي عاملا للهاتف ، اصبحنا بعد ظهور النتائج في الصحف ، نجلس على طاولتين ، ونعمل اعمالا كتابية نظيفة ، ونتقاضى رواتب ذات قيمة وشأن ؛ واصبح في وسعنا بعد ذلك ان نزيد المبالغ التي كنا نخصصها في كل شهر لشراء الكتب والمجلات ، وان يزداد اكتظاظ الرفوف التي تطل منها أعجاز الكتب الكريهة ...

ومضت بنا الحياة منذ ذلك الحين اخف وطأة مما كانت ، والطف ريحا ، من حيث هموم المعاش . ولم يعد يهمنا ان نستمر في دراسة منتظمة لتادية امتحانات جديدة ، ونيل شهادات جديدة ، وانما انصرف همنا الى الاستزادة من المعرفة ، والاتصال الفكري بالعالم ، بقدر ما تسمح به ظروفنا . واستقرت بنا الامور الى حد ما .

وفي الدائرة التي كنا نعمل فيها جاءت موظفة جديدة لتعمل على الآلة الكاتبة . وكانت فتاة جميلة ؛ وقد جذبت انتباهي من اول وهلة بتصفيف شعرها الكستنائي ، وبالابتسامة الحلوة التي لم تكن تفارق شفتيها ابدا ما دامت تتحدث الى احد من الناس .

لقد بدأ شعوري نحوها في اول امره عاديا ، كشعوري نحو اية انثى اخرى . ولكنني كنت مع الايام اشعر بانها تزداد قربا من قلبي ، وتزداد حصتها من تفكيري ومن احلامي ، فصرت ما ان اراها ، حتى ابادرها بابتسامة خجلى ، احملها كل ما في جوارحي من احساس نحوها . ولكنني كنت اتخيلها لا تقابلني باحسن مما تقابل به اي زميل آخر في الدائرة . وجعل ذلك يضايقني ؛ بل لقد صرت كثيرا ما اشعر ، حينما افتح كتابا لاطالعه كعادتي ، بان عيني تسيران فيه وحدهما ، لا يرافقهما شيء من احساسي وتفكيري ؛ فاذا هممت بان اقلب الصفحة ، تذكرت انني لم افهم مما قراته شيئا ، فاعاود القراءة من جديد ، او اقذف بالكتاب بعيدا بغير رغبة في قراءة حرف منه .

لقد ذهبت اللذة الشديدة التي طالما كنت استسلم اليها فى معاشرة الكتب ، لان شيئا جديدا قد تفتح في اعماقي ، ومعه ظمأ شديد ، الى لذة جديدة من نوع آخر تقتل جفاف حياتي القديم ذلك الجفاف الذي لم أكن احس به ، او اهتم له كثيرا من قبل ، حتى وجدت من يوقظ فى قلبي الشعور به والحاجة الى ازالته وتبديله .

وزاد بي الامر ان اصبحت اشعر بغيرة شديدة من زملائي جميعا فى العمل ، حينما ارى سميرة تبتسم لهم ، او اراهم يضاحكونها . حتى صديقي الحميم « جميل » صرت اود لو لم يبادلها اي حديث ، مهما يكن قصيرا . ولم أكن استطيع ان اكتم هذا الاحساس طويلا ، فقد كان ينتشر على وجهي كلما رأيت سميرة تضحك او تتحدث مع احد الزملاء . وكأنما لم يفت « جميلا » ما كان يبدو على وجهي من ملامح الاستياء ، فقد جعلت احس بانه قد بدأ يتهرب شيئا فشيئا من زيارتي ، أو يفتر عنها ، كما صرت اشعر من نفسي بشيء من التردد فى زيارته ... لا ادري أكان ذلك لخشية لا شعورية من ان اثير فى نفسه مشاعر معينة ، ام انه كان مقابلة لفتوره الاخير فى التردد على منزلي كما كان يفعل من قبل ؟!

واخيرا لم اعد اطيق صبرا عن مفاتحة سميرة .. لم يكن من ذلك بد ؛ فلقد اصبح حبها يملك علي حواسي ، وأصبحت احس بان حاجتي اليها ليست اقل من حاجتي الى الماء والنور والهواء، وان كتمان هذه المشاعر لم يعد ممكنا.

ولم تخب محاولتي ... وكانت بداية سعادتي حينما قالت لي سميرة : « لقد بدأنا حياتنا زميلين فى مكتب العمل، ويسعدني ان ارانا نختمهـــا شريكين في عش الاسرة الواحد ... »

وفى يوم خطوبتنا لم يحضر صديقي جميل . وقـد علمت فى اليوم التالي انه كان مريضا ... وحين ذهبت مع سميرة لعيادته ، ضغط على يدي اكثر مما تعودت منه ... ولم يدر عينيه الى سميرة ، ولا رفعهما الي ، وخرجت من بين شفتيه تهنئة خافتة ، جاهد كثيرا ليبعث فيها الحرارة : « مبروك » .

ولم اعرف بعد ذلك ان جميلا قد جعل يسعى لدى رؤسائه لينقلوه ، الى حيفا ... الى ان نجح سعيه ، وجاء يوما يودعني، ويعلمني بانه سينقل الى حيفا فى صباح الغد.

كيف تم الامر بهذه السرعة ، وبدون ان يبدي جميل اية معارضة او تذمر او احتجاج ؟!

وحينما ارسلت اليه بعد اربعة اشهر بطاقة الدعوة الى حضور حفلة زواجي بسميرة ، لم يحضر بنفسه ، ولكنه كتب الي رسالة تهنئة طويلة، يدعو لنا فيها بالسعادة، ويقول:

« ... لم أكن ادري ان الحياة اللذيذة التي عشناها معا ، ستنتهي بان يفرقنا الحب الواحد ... لقد احببت سميرة بكل جوارحي . قبل ان اراك تخطبها . وكنت أتحين الفرص لابوح لها بحبي الشديد ، الذي كنت أكتم عنـك امره ، حتى رأيتك تسبقني الى الفوز بها ، فشعرت بان سعادتي تنتحر في يدي ، وان بقائي بقربكما لم يعد ممكنا ، كما لم يكن من الممكن ان اجعل من حبي سببا لتنغيص سعادتكما ... فاسعدا بحبكما ، وثقا من انكما ستظلان احب الناس الى قلبي ... اما انا فسأظل ابحث عبثا عن التعزية والسلوان ، فى هذه الكتب التي لا تزال تطل علي باعجازها الكريهة من رفوفها الخشبية ... »

عمان — **عيسى الناعوري**

دعوة

✳

انى منحتك دفء آفاقي والنور من أعماق أعماقي
والصدق والحب النبي ولم يظهرك حتى لون أحداقي
حتى رفاقي لم أقل لهم حرفا ، ولم أهمس بأشواقي
... خوفا عليك ، وكل ما كتبت كفي خبيء بين أوراقي !

***

لسنا معا ... أفلا نكون معا عند الغد الضاحي ... ألا نمضي...
في الليل ... في صمت البحار على سفن تهيم سدى بلا أرض
حيث المرافيء كالنجوم نرى أضواءها مبهورة الومض
حيث الجزائر تستفيق على ريح الجنوب وطيبه المفضي

***

اني أراك هناك لامعة العينين بالاضواء بالبحر
بالريح بالغابات نائية بالصاريات البيض ... بالنهر
تستقبلين البحر ضاحكة محلولة الخصلات والصدر
والثوب ترفعه الرياح بلا خجل ... كأن الريح لا تدري !

***

يا أنت ! حلمي هل تمزقه كلماتك التعبى ؟.. فلا الغاب
عندي ، ولا ريح الجنوب ولا صمت البحار...
ويوصد الباب
خلفي ... وأمضي دون أغنية ويهشم الغابات حطاب !

البصرة — سعدي يوسف



لماذا لا ننتج أدباً خالداً

بقلم سليمان موسى

تساءل بعض الخطباء* في اسبوع ادباء العرب الذي عقد في لبنان ، عن الاسباب التي تحول بين ادبنا وبين التسامي الى مستوى الاداب العالمية ، او بتعبير آخر ، عن الاسباب التي تقعد بادباء العروبة عن انتاج المؤلف الخالد سواء أكان رواية أم اقصوصة، او كتاب سيرة ام اسفار . وهذا التساؤل ليس جديدا علينا ، وقد قال الاستاذ سلامه موسى قبل شهرين ان ادباء مصر لم ينتجوا شيئا يحمل سمات البقاء والخلود . وما يصدق على ادباء مصر يصدق على ادباء باقي الاقطار العربية بوجه الاجمال .

ولقد عزى بعضهم هذه الضحولة عندنا الى انعدام حرية الفكر في معظم اقطار العرب ، والى فقر الادباء ، والى طغيان السياسة على تفكير معظم ادبائنا والى ما شابه هذا من الاعذار . ولكن احدا من المتسائلين والمعللين لم يذكر - فيما اعتقد - السبب الاساسي الاصيل الذي يكمن خلف المحاذير والعقبات الاخرى . وذلك السبب - في نظري - بسيط غاية البساطة - ولا يحتاج الا الى القليل من الجراة للافصاح عنه ، ويتلخص في كلمة واحدة هي : الجبن .

انا لست ابالي قولة الحق اذا كنت اعتقدها ، ولذا اراني اقول ان الاكثرية الساحقة من ادباء عالمنا العربي لا يتميز افرادها بما يجب ان يتميز به الاديب عامة من جراة وشجاعة واقدام . ذلك لان الاديب العربي - عادة - يستلهم موضوعاته من بنات القرائح وشوارد التخيلات . انه لا يفتش عن المواد الخام في مضانها ولا يبحث عن الصور الواقعية الصحيحة لابطال قصصه . انه يتخيل موضوعه تخيلا فياتي مشوها باردا لا تنبض سطوره بالحياة ، وان كان فيما يكتب شيئا من الحياة فهي الحياة مفتعلة اشبه ما تكون برؤى الاحلام .

اما لماذا لا يذكر المعللون هذه الحقيقة ، فالسبب واضح ايضا ، وهو ان الذين يتساءلون ذلك التساؤل هم ممن ندعوهم - او يدعون انفسهم على الاقل - ادباء كبار ، وفطاحل لا يشق لهم غبار . ومن كان حاله كهذا لا يمكن ان يسحق الهرم الزجاجي القائم حول اسمه بضربة واحدة ، فيعلن جبنه على رؤوس الاشهاد .

واذا كنا في تصرفاتنا الخاصة نجامل الاخرين مجاملة قد تصل كثيرا الى حدود النفاق ، افيعقل ان نبخل على انفسنا بما نجود به على الاخرين ؟ . اللهم كلا .

وهذا الجبن الذي اتهم الادباء العرب به ذو شقين . فهو ليس جبنا عن قول الحقيقة ذاتها فحسب ، بل هو جبن عن البحث عن تلك الحقيقة ايضا .

اترون مئات القصائد ، بل الافها ، مما قاله شعراؤنا الكبار والصغار ايضا في الحث على النضال ضد اليهود ، تعدل بيتا واحدا من قصيدة عبد الرحيم محمود ، التي قال فيها :

ساحمل روحي على راحتي
والقي بها في مهاوي الردى
فاما حياة تسر الصديق
واما ممات يغيض العدى
بقلبي سأرمي وجوه العداة
وقلبي حديد وناري لظى

وسبب هذا ان عبد الرحيم محمود كان يعني كل حرف مما يقول ، ونحن نعرف ان هذا الشاعر لم يقل قولته ويقبع في بيته . ولم يحمل لحافه على ظهره ويرحل الى الشرق ولكنه قال قولته وحمل بندقيته على كتفه وجاهد ما وسعه الجهاد على روابي فلسطين وهضابها . ومشى لا يتهيب الردى ولا يخشاه حتى استشهد في معركة الشجرة ، ولفظ انفاسه على رائحة البارود ودوي المتفجرات .

والمتنبي ذاته ، بالرغم عن كل ما عرف عنه من بخل وانانية وشعور طاغ بذاته ، لم يجد مندوحة عندما جد الجد وذكره غلامه مفلح بقوله :

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

... الا ان يقبل الواقع المرير الاليم ويصارع أعداءه حتى يلقى مصرعه . ذلك لان المتنبي - كما قيل في رثائه :

كان من نفسه الكبيرة في جيش
ومن كبرياه في سلطان

وعندما ثار فرانكو على الحكومة الجمهورية في اسبانيا - بتعضيد من المانيا النازية وايطاليا الفاشية - وعرف احرار العالم ومثقفوه ان هذه الثورة لا تهدف الا الى اعادة امجاد الكهنة ومظالم الاقطاع ، تطوع الاف الاحرار من جميع بقاع الارض ليساهموا في الدفاع عن الجمهورية والحريات التي تمثلها . وكان من بين اولئك الذين تطوعوا الكاتب الاميركي الكبير - حقا - ارنست هنغواي . واشترك هنغواي في المعارك التي دارت في اسبانيا ، اشترك بساعده وبندقيته . وعندما انتهى القتال عاد الى بلاده وكتب قصته الخالدة « لمن تدق الاجراس » .

فكيف نطالب ادباءنا بانتاج اثر خالد كهذا وهم في بيوتهم قابعون ، وكيف يتسنى لهم ان ينتجوا اثرا ناجحا وهم - اذا قالوا - يقولون ما لا يفعلون وما لم يفعلوا او يشاهدوا . كتب عبد الحليم عباس قصة « فتاة من فلسطين » وكانت فتاة فلسطين تلك اشبه بالدمية منها بالمخلوقة التي تحيا وتتألم وتحس بما يحس به الناس من هواجس وعواطف . ان المؤلف لم يشترك في معارك فلسطين ولم يشاهد الفواجع التي مثلت على ارض فلسطين ، ولكنه تخيل موضوعه تخيلا ، ولا اشك في انه اجهد نفسه لانتاج قصة كاملة حية ، ولكن الاجهاد لا يكفي . ان لذع النار لا يحس الا بلمسها واذا نحن لم نمارس هذه الفضيلة - فضيلة لمس النار - فسوف نبقى على ما نحن عليه .

يقف رجال القلم موقف الخطابة قائلين : « لا بد لحرية الفكر من شهداء » . يقولون هذا ويتلفتون حواليهم لعلهم يرون احدا - سواهم - يتقدم للاستشهاد . وفي ذات الوقت نرى المحيطين بالاديب الخطيب ينتظرون منه ان يبرهن باعماله على صدق اقواله . وينتظرون منه ان يجاهد دون فكرته التي يعتنق فاما أن يحققها او يستشهد دونها . ولكن عبثا ينتظرون . ان الخطيب قال كلمته وكفى الله المؤمنين القتال . ذلك لان ادباءنا يعيشون على الاماني والتمنيات . ولا اشك مطلقا في انهم يتمنون ان يعملوا اعمالا كثيرة وكبيرة

* حديث اذيع من محطة الاردن

انهم يتمنون ان يقعوا في النار شريطة ان يكون هنا من ينقذهم منها في الوقت المناسب. وقبل ان تصيبهم النار باهون الحروق. انهم يتمنون ان يستشهدوا في سبيل حرية الفكر ولكن بدلا من كأس السم التي شربها سقراط، يودون ان يشربوا كأسا من عصير الليمون.

هاكم مثلا آخر: في اعقاب الحرب العالمية الاولى كانت ايطاليا تطالب بميناء فيوم على ساحل الادرياتيك، ولكن دول اوربا الاخرى لم توافق على طلب ايطاليا هذا. وسخط الشعب الايطالي وسخط معه الشاعر جبرائيل دانونزيو، ولكن هذا الشاعر لم يكتف بنظم القصائد الحماسية ولا بالخطابة على زوايا الشوارع، بل قام على راس فريق من اعوانه بغزوة مفاجئة على ميناء فيوم، وهاجمها بالبارود والنار بدلا من الخطب والاشعار. واحتل مع جماعته المدينة رغما عن ساسة اوربا وساسة بلاده انفسهم.

فاين طبقة المثقفين الناعمة المترفة في بلادنا من عمل كهذا العمل. انهم ينتظرون من الفلاحين والعمال ان يقوموا بالجهاد والبطولات، كي يمثلوا دورهم الباهت على المسرح بالتحدث عن ذلك الجهاد وتلك البطولات.

لقد دعت محطة الشرق الادنى – عندما كانت في يافا – الاستاذ توفيق الحكيم من القاهرة الى فلسطين، واستعد بعض الادباء العرب لتكريمه والاحتفاء به، ولكنهم دهشوا عندما عرفوا ان توفيق الحكيم توجه راسا الى تل ابيب اليهودية ليقيم في احد فنادقها ويستمتع بما تقدمه ملاهيها من ترفيه وايناس. حدث هذا في الوقت الذي كانت فيه الصهيونية تشد بيديها الغادرتين على عنق العروبة في فلسطين. وعتب العرب على توفيق الحكيم، ولكن الحكيم لم يلق بالا لا للعتب ولا للعتبى.

هذا الاديب الذي كنا ننتظر منه ان يكون قدوة خيرة نيرة للناس الذين يقراون كتبه، هذا الاديب كان يعيش بمعزل عن حقائق شعبه، في برجه العاجي وفي احلامه بشهرزاد. كما انه في الوقت الذي كان فيه برنارد شو يرفض – لاسباب مبدئية – ان يكتب مقدمة لاي كتاب، قرانا ان توفيق الحكيم كان يكتب مقدمة لاي كتاب من كتب الادباء الناشئين شريطة ان يتقاضى بدل اتعاب عن مقدمته. ولكم ان تقولوا ما شئتم في هذا التصرف. ولكن الحكيم لا يبالي. هو في واد والناس والمبادىء في واد آخر بعيد.

وارجو ان لا يتصور احد ان توفيق الحكيم يختلف عن سواه من الادباء. اللهم لا. وربما كانت صراحته فيما اخذ به نفسه، افضل من التدليس الذي اتبعه كثيرون من الادباء، ونحن نعلم ان هنالك ادباء كبارا اجروا اقلامهم لبعض الاحزاب، وان بعضهم كان يتنقل بين الاحزاب بحسب تطورات احوالها وبنسبة الاجور التي تدفعها. تماما كما كان يفعل شعراء العصر العباسي.

والخلاصة مما تقدم. ان الاديب العربي اذا احب ان يثبت وجوده وينتج ادبا حيا نابضا يستحق البقاء، فما عليه الا ان ينحدر من برجه العاجي الى واقع الحياة اليومية للشعب الذي يعيش بينه. وما عليه الا ان يكون جريئا مقداما يضرب المثل الحسن بنفسه قبل ان يضربه بقلمه. عليه ان يركب المخاطر والاهوال ولا يرهب السجون والمعتقلات، وانا اضمن لاديب كهذا ان ينتج شيئا مقرؤا باقيا. اما اذا بقي ادباؤنا على ما هم عليه من حب للدعة، وحرص على الراحة والسلامة، فان صورهم ستبقى اجسادا بلا ارواح وستبقى جميع بطلات قصصهم على ما هن عليه من حسن وشباب وفتون، ولكنه حسن التمثال الذي لا حياة فيه.

ولعل متسائلا يتساءل عن كاتب هذا المقال؛ ولمتسائل كهذا اقول: ان كاتب المقال لا يستثني نفسه بكلمة واحدة مما قيل. والسلام.

المفرق (الاردن) سليمان موسى

مساء الغريب

لا شيء غير الذكريات ... وانها زاد الغريب
كلا ولا غير الحنين ... وغير اطياف الكروب
وهواجس الماضي القريب ... يثيرها صمت الغروب
ونقيق ضفدعة سرى ... في وحشة الليل الرهيب

●

الحديث الممتع

الفكر بعدك للهواجس مرتع ... اخنت عليه دجنة لا تقلع
والذكريات المائلات تهزني ... شوقا اليك فتستجيب الادمع
ابدا تقربك الظنون لخاطري ... فأحس والوهم المعاود يخدع
اني بقربك والزمان كعهدنا ... غضى الاهاب وروض حسنك ممرع
فتثيرني منك المفاتن غضة ... ويلذ لي منك الحديث الممتع

الحلة – العراق باقر سماكة

ماء ... ماء يا عطشانين !

بقلم عادل ابو شنب
من رابطة الكتاب العرب

✳

لو انه نظر الي مرة ، مرة واحدة فحسب ، لكنت اعتقدت ان ذلك وليد الصدفة . اما وانه قد راح يرشقني بين لحظة واخرى بنظرة .. نظرة سريعة ، حذرة ، فمن الغباء ان اسكت عن ذلك !

هل يجد فيَّ شيئا شاذا ؟ انني كأي واحد آخر .. شاب ، وعلى التحديد ، انيق ، جميل وساحر النظرة ، تؤكد هذا كومة من الرسائل جاءتني على فترات متباعدة من فتيات ونساء كثيرات ، كل واحدة رات فيَّ – على ما يبدو – حبيبا مخلصا ، مليئا بحيوية الشباب . بل وتؤكده اكثر فاكثر هذه الصورة التي ما زلت اخرجها من جيبي ، كل حين ، فادقق النظر فيها الى ان اسرد مع صاحبتها في ذكرى .. ليست ككل الذكريات .

ارسلت الي الصورة ، مدسوسة في رسالة ذات مغلف ازرق ، مع صديقة لها ، لا تعرف من امرنا شيئا ، قالت لها :

– اعط هذه الرسالة الى اخيك محمود .

فسالتها صديقتها ضاحكة :

– تتصلين باخي من ورائي ، واكون انا موزع البريد ؟

– لا ، وانما هي رسالة تخص احد اصدقاء اخيك .

فاتت بالرسالة الى اخيها محمود ، صديقي العزيز ، واستلمت الرسالة .

كانت رسالة قصيرة ، كعمر الايام التي قضينا ها معا ، لعل اطول ما فيها هذه الجملة .. كتبت خلف الصورة :

« سعيدة كنت معك .. فلا تنسى ! »

وما نسيت ، ابدا ما نسيت ، وهل انسى الايام .. عشتها بكل ما لديَّ من حيوية ، ومن حياة ؟ كنت اطرق الحلم المزهر بذراعي ، لانني اعرف ان الاحلام قصيرة اعمارها ، تموت في نفس اللحظة التي يتصل صاحبها بالواقع والارض !

واخرج الصورة من جديد ، حلوة هي اللحظة التي تنفتح فيها ستار المسرح عن حوادث ، كان عاشها المتفرج بكل قواه ، وعن ممثلين ، يرى فيهم نفسه واحبابه واصدقاءه . وارى الاشياء ذاتها ، كما كانت .. واغرق في لحظتي الحلوة ، لا افيق منها الا على نظرته المختلسة ، المتوثبة في فضول .

ماذا يريد ؟

واصوب نحوه نظرة مماثلة ، فيلقى باهدابه الى زاوية اخرى ، بسرعة .. ويصيح :

– ماء .. ماء يا عطشانين !

– تعال .

وياتي ، واحدق فيه ، بثيابه البالية بذقنه القريبة من انفة ، لشد ما اشعر بالرأفة اذ اراه .

– تفضل .

واتناول كاس الماء ولا اشرب ، وانما اقول :

– كنت تحملق بي ؟

– انا .. ابدا يا سيدي .

– انا رايتك .

– ابدا ، والله العظيم .

– وتحلف ؟

– صدفة يا سيدي ، انا مهمتي ان اسقي العطشانين .

– صار لك زمان وانت تشتغل في هذا المقهى ؟

– ثلاثة ايام فقط .

– طيب .. رح !

ويذهب ، لا يلتفت .. واعود من جديد الى حلمي ، امد يدي الى جيبي فاخرج الرسالة ذاتها ، واسبح في الحلم .. اخرجتني من حقيقته ظروف لا يد لي فيها .

ولدت فقيرا ، وعشت على امل ان اصبح غنيا ، وفي سبيل ان اعيش في جو الغنى المزعوم ذاك ، رضخت الى كثير من الاحكام ، فرضتها على نفسي فرضا .

تمردت على فقري ، وكنت مقتنعا بان الثياب الجديدة ، الانيقة ، قد تساعد المرء على ايهام نفسه وايهام الناس بانه غني كل الغنى ، ولذلك رضخت ، احيانا للجوع ، ودفعت في سبيل الثياب الانيقة ما كان جديرا بي ان ادفعه في سبيل معدتي التي تختلج احيانا ،تلح بطلب الطعام . بذلك خيل الي انني اعيش في غنى ، اكتشف ذوو هذه الصبية انه غنى زائف ، لا يتكافأ وغناهم الحقيقي ، فوقفوا بيني وبين ابنتهم التي تحبني ، وبمعنى ادق ، وقف فقري بيني وبينها !

واحدق في الصورة ، لا اخرجها من المغلف الازرق كي لا يراها الناس ، فاني ممن يخاف ان يفضح امره الناس واهم لابكي الا ان نظرة منه .. نظرة خاطفة ، مختلسة كسابقتها ، تقسرني على ان لا افعل .

– ماء .. ماء يا عطشانين .

– تعال .

وياتي ، يجر قدميه ببطء كمتهم يعود من المحكمة معدوما ، واقول له :

– تنظر الي باستمرار ؟

– ابدا يا سيدي ، والله العظيم ما فعلت !

– تكذب ؟

– انا لا اعرفك من قبل يا سيدي .

– فلماذا تحدق بي اذن ؟

ولا يرد .. ان له سحنة تستحث المرء على ان يشفق عليه ، سحنة مهمومة يقدر لها الناظر اليها سنا اكثر كثيرا من حقيقتها .

ويذهب ، واعود الى المغلف .. افتح جزءا صغيرا منه ، وانظر الى الصورة .

كنت ضممتها ذات يوم بكل قوتي ، فالصبايا يحسن الرجل في عيونهن بقدر ضغطه ، والصبايا يقسن الحب بمقياس الرجل الذي يعرف كيف يتعب لضلالتهن ، وكان في راسي ، يلف سؤال رهيب ، يخدرني .. كنت أتساءل باستمرار : هل يكتب لي ، انا الفقير ابن المائدة التي لا تشبع ،ان اتزوجها ، هي الغنية ، ابنة المائدة التي تتخم ؟ مما جعلني اقف كل امكانية لدي ، للاجابة على هذا السؤال اجابة مرضية ، انتظرت ان تكون زواجا قائما على ان تقصر رقبة طويلة ، ممعنة في الغنى .. حتى السماء ، لتصافح رقبة اخرى ، قريبة من الارض ، أو من الجوع والحرمان .

وكانت استجابت هي لعناقي ، فقذفت صدرها نحو صدري ، قائلة :

– اتمنى ان نتزوج يا حبيبي .

– وانا كذلك يا حبيبتي .. اتمنى !

– اطلبني اذن .

– ما ازال ادرس .

– اخطبني ؟

ـ خطوبة فقط ؟
ـ اقبل بالخطوبة .. الآن علـى الاقل .
ـ لا استطيع ابدا يا حبيبتي .
ـ لماذا ؟
ـ فرق كبير بيني وبينك .
ـ اي فرق ؟
ـ انت فى السماء، وانا على الارض. انا فقير !
ـ ماذا يهم ، الفقر ليس عيبا .
ـ ليس عيبا يا حبيبتي ، ولكنـه مشكلة .
ـ مشكلة صغيرة ، تحل !
ولم تحل المشكلة الصغيرة بعد ذلك ، لانها مشكلة كبيرة جدا ، فقد ثبت ان العداء .. قديم ، تاريخي بين الغنى والفقر ، وان الاغنياء لا يحاربون الفقراء لانهم فقراء ، وانما يحاربونهم لانهم هم اغنياء ، وبذلك خسرت صبية احببتها ، وربحت حقدا .. سكن صدري !

ويمر بجانبي ، يمد بعنقه الى الامام ليتمكن من رؤية ما فى المغلف ، فانفعل ، واضع المغلف فى جيبي بسرعة ، كيف لا ، وفيه شيء كثير للتاريخ ، التاريخ الذي لا يكتب على الورق لانه مجهول وانما يحفظ فى الصدور .. حيئا ، لانه اول الغيث !
ـ تعال .
فلا يرد ، واصرخ فيه مرة اخرى .
ـ تعال .. انت يا .
ويأتي ، وتتهادى الاعذار من فمه ، متبعثرة الحروف لانها لا تصطـدم باسنان ، اذ ليس له اسنـان . ولا اقتنع ، اقول له :
ـ ساشكوك للمعلم .
ـ يستر عرضك لا تقطع رزقي .
ـ تتجسس على الناس اذن ؟
ـ ابدا والله .
ـ طيب .. امش من قدامي .
ويقدم لي كاسا مليئة بالماء المثلج ، ويقول :
ـ تشرب يا بك ؟
ويبتسم ، فتصفر عيناه ، ويغدو منظره قابلا للاضحاك ، واهم لاضحك ، الا انني اخاف ان يجرح شعـوره ضحكي ، فاصمت .. واشرب من الكاس .
هنيئا يا سيدي .
ـ شكرا .
ـ هل تريد خدمة اخرى ؟
ـ شكرا . من الشام انت يا عم ؟

ـ نعم من « حكر السرايا » اشتغل هنا بليرة ونصف باليوم .
ـ هل عندك اولاد ؟
ـ عندي البركة خمسـة بنات ، واحدة منهن متزوجة وواحـدة خرساء
ويتركني المسكين ، فى عينه لهفة لا استطيع تفسيرها ، واعود الى الصورة .

★

واقوم مليء الراس ، فتتبعني عينان اعرفهما جيدا ، كانت عيناه تلحقانني بضراعة ، واقف احدق فيه كمن يسأله عن حاجته .. ويهرع الي . يقول :
ـ هل انت ذاهب يا بك ؟
ـ نعم ، هل تريد شيئا ؟
ـ سلامتك يا بك !
وارى البريق يتماوج في عينيه الصغيرتين .. لا أحس انه يريد ان يبكي ، وانما احس انه منفعل ، وان تيارا من المرارة يجتاح اعصابه ..
ـ سلامتك انت يا عم . قل ، هل تريد شيئا ؟
ـ ابدا يا بك . الله يديمك .
ـ تكلم .. قل .

ـ ويسكت ، لا يجيب اول الامر ، وانما يصوب نظره نحو الجيب التي غيبت فيهـا الرسالة ذات المغلف الازرق ، ثم يقول :
ـ احـدى بناتي مريضة ، وانا بحاجة الى ثمن الدواء .
ـ .....
ـ لو انك تعطيني المبلغ ، اسدده لك قريبا .
ـ ما معي ، وحياتك يا عم .
اقسمت بكل جوارحي ، فلم يبد عليه انه مصدق ، وخيل الي ان ما فى وجهه من عضلات قد راح يتقلص وينبسط من التقزز .
ويتركني ، وتفلت من فمه :
ـ ماء .. ماء يا عطشانين .
بحقد ، بكبرياء ، بقرف ... لست ادري !
يحسبني المسكين غنيا ، يعتقد ان المغلف الازرق مليء بالليرات .. وله ان يعتقد ما يشاء ، فثيابي تخدع في الحق ، تخدع ، وهذا ما يحزنني ، الا ان ما يفرحني حقا هو ان القى رجـلا آخر ، مثلي .. يخسر شيئا ، ليربح شيئا ، يسكن صدره ، هو الآخر !

دمشق عادل ابو شنب

الضباب

ماضي ذبحته فلا تخافي

•

ما طلعت الشمس بعد ،
ما طلعت .
والضباب يركب الارض ،
يلف الشجر ،
يعبىء كل فراغ .
ـ الضباب .. الضباب ...
وتقف حركة المرور ؛
وفي القرية ، ياوي الجميع ،
ويشعل (الفانوس) ،
ومن شقوق الباب الخشبي ،
تنسل خيوط الدخان ....
ـ الضباب .. الضباب ..
وأسحب عن المنقل يدي ،
واغمسها فى جيبي ،
وامسك صورة فتاة ...
ماضي ؟
ماضي العظيم !؟
... شيء ذهب ...
واللهب فى المنقل ...
واللهب ياكل الورق ...
والصورة من ورق ...
وضباب .. ضباب ..
لا احد في الطريق ...
وسكون ..
وظلام ....
.. وتمر دقيقتان ...
فاللهب يقذف السواد ..
وتعلق شقوق الباب ،
ذرات ورق محروق ...
وشيئا ـ فشيئا .. يصحو الصخب ،
وتزيح الشمس اللحاف ،
وتعود الحركة ،
وفي شق الباب ؛
ورق محروق !...

سوريا ـ دوما عبد الهادي البكار

الطفل المهمل

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي

اخصائي نفساني

*

هي قصة واقعية قريبة من غرابة الخيال ، قصة تصور ما يعانيه الاطفال من آثار وخيمة للاضطرابات النفسية التي تعكر صفو الجو العائلي وتعرض ضعفه الى الآلام المتواصلة. اننا معشر البشر كافحنا طويلا ، ولا نزال نكافح بنجاح باهر ضد الآلام الجسمية : فتغلبنا على آلام العظام والاسنان وقهرنا الميكروبات الفتاكة ، ولكننا لا نزال في المرحلة الاولى في كفاحنا ضد الآلام النفيسة . واترك لهذه القصة وحدها مهمة الشرح وفيها بلاغة بيان يصور ما يعانيه الطفل من الاخطار النفسية والجسمية والاجتماعية .

ولد الطفل من والد شديد البنية قوي الصحة عرفه البحر بجولاته فى الملاحة ومقاومة الامواج، وكانت امه جميلة مع حياء وعفة . وعاش الوالدان فى جو هادىء تجمعهما المودة والحنان الزوجي ، وبعد اربعة أشهر من ولادة الطفل بدات نار الغيرة تأكل فى نفس الاب فذهب يقفل الابواب والنوافذ مدعيا ان لامراته اغراء لا يقاوم ، وبدأ الاب يقضي وقتا طويلا فى مراقبة المنزل وصار شيئا فشيئا يشك فى صلة البنوة بينه وبين هذا الطفل الذي تقدمه له زوجته كابن له . وكانت دهشة الاقارب والجيران كبيرة لما عرفت به الام من استقامة واخلاص لزوجها ومحافظة على اخلاق الاسرة وخضوع لمبادىء الدين .

ولم يعزف الناس سبب هذا التحول فى موقف الاب من اسرته سواء كان نحو الزوجة او نحو الابن ، ولم يظهر السر الا بعد ما اعلن الاب زواجه من ابنة صديق له وعلم الناس ان الزوجة الثانية اشترطت على زوجها ـ كدليل حبه لهاـ اهماله المطلق لزوجته الاولى وابنها. وهنا حدثت الحادثة الكبرى اذ خضع هذا الرجل بقوته الجسمية خضوعا ينبىء عن ضعف نفسي. وتثبت لنا نهاية هذه القصة ان جريمة القتل اهون من هذه الجريمة النفسية اذ تم ما طلبته الفتاة الطائشة واهمل الاب ابنه وانكره وترك الزوجة الضعيفة التي كانت تحبه كزوج وكاب لابنها البكر وسكتت عن حقوقها بعد الطلاق وكافحت وحدها فى سبيل تربية ابنها الوحيد . وبالطبع مال الطفل على مر السنوات الى امه فى تعلق ازداد يوما بعد يوم وصارت امه كل شيء بالنسبة اليه ، يقدمها على نفسه ولا يستطيع البعد عنها فى سفر ولو كان ضروريا لعمل هام ، واذا حدث وسافر فان باله لا يكون مرتاحا وتكثر الاحلام التي تصور له حاجتها اليه ويقطع سفره فجاة ليرجع اليها متفقدا شئونها .

وفى مثل هذه الحال لم يستطع هذا الشاب ان يلتفت لاي امراة وان ظهر عنده حب فيكون لفترة قصيرة ويشعر الشاب فى اثنائها بنوع من الندم ويتصور نفسه قد خان امه فيرجع اليها بعطف زائد محاولا ارضاءها كانه ارتكب نحوها ذنبا .

ويقابل هذا التعلق الزائد نحو الام بانفصال تام عن الاب ، لا يشعر نحوه باي ميل ولا اي علاقة وعندما استولت الشيخوخة على الاب وتبدلت به الاحوال وصار فى حاجة الى المساعدة حاول طرق باب ابنه الشاب وقد اصبح رئيس نقابة للعمال . وتحت تأثير الحياء الاجتماعي ساعد الابن اباه مساعدة لا تدل على عطف ولكنها تحاول ان تمحو عارا . وفى آخر لحظة من حياته طلب الاب ابنه فحضر ووقف لحظة قصيرة امامه وتلاقت النظرتان فى صمت الى ان فارق الاب الحياة دون ان يلفظ بكلمة معلنا بذلك هزيمته وندمه على ضعف نفسي انتهى بانتصار الطفل المهمل الذي كان ضعيفا فى يوم من الايام . ورغم كل ذلك فان الشاب شعر بنوع من الثورة ضد نفسه لانها لم تبك فراق الاب ولم يكن يتوقع من نفسه هذه القسوة وذهب رغم كل ما قام به الاب من هدم للعواطف الانسانية يتساءل عن صلة الرحم . ولم يكن اخضاع هذه الثورة بالامر الهين على الطبيب النفسي ، وكان من العسير على المحلل ان يجد العبارات القصيرة المطمئنة . ان هذا الشاب لا يريد ان يبكي للبكاء فقط وانما يريد ان يشعر فى هذه اللحظة بفقد عزيز ومثل اعلى ممثل فى شخص الاب . فالجمود ينبىء عن خلو تام يشعر به اليوم اكثر من اي يوم آخر ، فانه لم يكن له اب بادله الحب ولم يخلف له احد رسالة معنوية او مادية وليس هناك مسئولية تورث . فليس هناك اذن علاقة وهناك فراغ حيث كان يجب ان يكون الشيء الكثير والشعور الغزير والتعلق الكبير .

وهذا جزء من آثار المأساة النفسية والجسمية فى قصة الطفل المهمل ، فهناك الصراع النفسي القاسي الذي ظهر في مرحلة الزواج وبعدها . لقد شاهدت الام تعلق ابنها يزداد وانه لم يظهر اي ميل للزواج فاندفعت تلح عليه لتذكره بهذا الموضوع وكانت قد اختارت له منذ طفولته طفلة اتفقت مع اهلها على ان تكون زوجة ابنها فى المستقبل .

وجاء اليوم المنتظر وفرضت الام على ابنها الزواج من الفتاة المختارة . ووجد الشاب فى مازق : اما الخضوع مع الرفض الداخلي ، واما العصيان مع اغضاب الام. وتحت تأثير اهمال الاب والتعلق الزائد بالام قبل الزواج من الفتاة عن غير رضى ودون استعداد ودون ميل ، وكان خضوعه المطلق للام فيهذه المرحلة مؤيدا لعلاقته الزائدة بها بدلا من ان تكون مرحلة انفصال طبيعي واتجاها ناضجا نحو تكوين

اسرة والاستقلال بالذات .

ومنذ زواجه اصبح هذا الشاب يعيش فى شقاء صريح آلام جسمية مستمرة ، صداع مع توتر فى الجسم ، واضطرابات فى الدورة الدموية ، احتقان فى الوجه احدث آلاما فى العين مع شدة احمرارها . واشتدت الافكار التشاؤمية واستولى التردد وتسلط الانفعال وبدا الشخص يعاني ليالي الارق المتواصل ، وبدا الطواف على الاطباء المجانيين وبدا يتناول الادوية الكيميائية على كثرتها . وتباعدت آراء الاطباء فى التشخيص: فالبعض اصر على ايجاد السبب فى قاع العين ، والآخر يقول ان ذلك نتيجة لاحتقان الكبد ، والاخر يثبت علاقة بين التعب فى العمل والحالة العصبية وذهب ينصح الشخص بالتخلي عن عمله . ووقع هذا الشاب فى حيرة اذدادت شدة عندما صارحته امه بندمها على ما فعلت وسمحت لنفسها ان تنصحه بترك زوجته والبحث عن اخرى . وهنا وقعت الواقعة وحدث انفجار قلما يشاهد مثله عند انسان . اذ ذكرته هذه النصيحة بموقف والده الذي ترك فى نفسه جرحا بليغا وقضى على طفولته ودفعه الى حماية الام من هجران الاب الاب الخائن المنقاد لشهواته . وكانت ازمة جمعت بين ثورة الاعصاب والنفس هددت الكيان كله بالتداعي بعد اضطراب طال امده .

وفى مثل هذه الحال يتدخل التحليل النفسي محاولا الوصول الى اصل الداء . ومن عرض القصة يبدو واضحا ان جذور الداء بعيدة ترجع الى الطفولة والى سلوك الاب الذي هيا الطفل الى التشبث بالام . واننا لا نستطيع ان نتغلب على كل بذور الداء ، ومهما عمل التحليل النفسي فانه لا يستطيع ان يرجع للشخصية تكاملها ، وكل ما يمكننا ان نصل اليه هو القضاء على الآلام باثارة المكبوت من الانفعالات ضد الاب وضد الام .

واكاد اقول ان العلاج النفسي فى مثل هذه الدرجة من التعقد يكون صعبا ويتطلب مدة طويلة من الزمن قد لا يصبر عليها المريض . وهنا ايضا ارى ان الوقاية اضمن من العلاج . ونستطيع ان نحكم العقل فى هذه المأساة ونرى ان الام هي التي وجهت لابنها الضربة القاضية بتدخلها فى شئونه الخاصة . ان كثيرا من الاخطاء تحدث من الامهات ، ولا يجوز استغلال العطف الزائد لتعبث الام بمستقبل ابنها. حرمن على انفسكن ايها الامهات التدخل فى خصوصيات ابنائكن عندما يصلون الى مرحلة الرجولة واحترمن استقلالهم وهو عنصر اساسي للصحة النفسية ، واوجه هذا النداء بصفة خاصة الى الامهات اللائي شعر ابناؤهن باهمال الاب فى طفولتهم – فكثير من الآباء يهملون ابناءهم لاسباب عدة مثل الانهماك فى التجارة او السفر او غير ذلك من الاسراف فى اللذات والاهواء ، ويوقع ذلك الاهمال الابن فى تعلق زائد بالام . فيجب على كل أم تعرض ابنها الى اهمال ان تتوقع العطف الزائد وان تحتاط حتى لا تعقد نفسه وتشاهد ابنها يتعذب اعنف انواع العذاب النفسي والجسمي .

القاهرة — ابو مدين الشافعي

شهيد

✻

لكمال نشأت

من رابطة النهر الخالد

✻

القاهرة

يحيا .. ولا يعرف طعم الحياة
تنهار في كفيه احلامه
وتجهش البلوى باعماقه
على صخور انبتت زهرة
ايامه .. هذا الخريف الذي
تجعدت فيه المنى .. وانحنت
وارخت الستر على قصة
فنانها هدم احساسه

مشردا يقتات بالامنيات
كطفلة اغفت بكف الممات
وترتمي اشواقه اليابسات
الوانها من ادمع الثاكلات
حطم من الحانه الشامخات
بقلبه فوق المنى الذكريات
منسوجة من توبة الخاطئات
ليمتح الاسرار منه .. فمات !

مذهب الحلاج في الحلول والاتحاد

بقلم محمد عمر فرحات

✷

قبل الخوض في بيان نظرية الحلاج في الحلول Incarnation نرى من الخير ان نشرح فكرة الحلول تحت ضوء الافكار والمذاهب الصوفية الاخرى ؛ واول ما نريد ان ننبه اليه هو الفرق بين مذهب الحلول ومذهب الاتحاد : فالاتحاد والحلول يتفقان في ان كليهما يعبر عن حقيقة واحدة ، بيد ان الاتحاد يقرر اتحاد المخلوق بالخالق ، على حين يقرر مذهب الحلول حلول الله في مخلوقاته ؛ فالنتيجة واحدة لا مراء ، وان كانت المبادأة تختلف في كل منهما ، فان كانت المبادأة من جانب العبد كان الامر اتحادا وان كانت من جانب الرب فقد كان حلولا . ولقد نشأت نظرية الاتحاد اول ما نشأت على يد رجل يقال له ابو اليزيدالبسطامي، امانظرية الحلول فيرجع الفضل في اذاعتها لاول مرة الى صاحبها الحلاج . كذلك تختلف نظرية الحلول كل الاختلاف عن نظرية وحدة الوجود Panthéism فهذه الاخيرة تعبر عن حقيقة واحدة هي الله من ناحية ، والمخلوقات من ناحية اخرى ، فهي تقول بالوحدة الذاتية لجميع الاشياء مع تعدد صورها ، اما الاولى فتقول بوجود حقيقتين مختلفتين الالهية والبشرية ، وان اللاهوت والناسوت او « الطول والعرض » على حد تعبير الحلاج ، شيئان متباينان ذاتا وطبيعة وان كان يمكن للاهوت ان يحل في الناسوت ، اذا بلغ الاخير درجة خاصة من التجرد والصفاء الروحي . واذن فمذهب وحدة الوجود مذهب واحدي monistic على حين ان مذهب الحلول مذهب اثنيني dualistic

زد على ذلك ان الحلاج على الرغم مما صدر عنه من الاقوال المشعرة بالتشبيه كان يراعى جانب التنزيه ، فهو وان كان يشاهد الله فى كل شيء ، بيد انه في الوقت نفسه يعد الحق فوق كل شيء مخالفا لكل مخلوق ، ولا يسلم البتة بان الكل هو الله ، فالوحدة التي يقول بها هنا وحدة شهود لا وحدة وجود . وفضلا عن هذا وذاك ، ومما هو ذو مغزى في آن ؛ انه لا يجب الخلط بين فيض العاطفة الدينية ونظريات الفلسفة الالهية اي بين عبارة تصدر عن صوفي فني في حب الله عن كل ما سواه فلم يشاهد غير الحق تعالى وبين مذهب فلسفي في طبيعة الوجود لا يرى صاحبه الا حقيقة وجودية واحدة يطلق عليها اسم الله تارة واسم العالم تارة اخرى . والآن لم يبق علينا الا ان نميز بين مذهب الحلول ومذهب وحدة الشهود ، فنقول ان مذهب وحدة الشهود يذهب الى ان المحب انما يفني عن كل شيء حتى نفسه في حب الحق ، حتى انه لا يشاهد سوى الذات الالهية وحدها ، اما مذهب الحلول فيقوم ابتداء على اعتبار ذاتين ؛ الذات الالهية والذات البشرية وان الاولى تحل في الثانية في حالة التجرد والصفاء . فالمذهب الاول لا يقول الا بمشاهدة ذات واحدة على حين ان المذهب الثاني يقول بمشاهدة ذاتين ذات المحب وذات المحبوب ، صحيح ان الحلاج لم يرد ان يشعر الا بوجود واحد هو وجود الحق ، وكان يبتهل الى الله ان يرفع عنه الأنا ، ولكن نفس هذا الابتهال يتضمن ان الحلاج انما كان يفترض وجود الأنا الانسانية ثم هو بعد ذلك يلتمس من الباري سبحانه ازالتها ، حتى يتم له الفناء الكامل في حبه تعالى .

والآن بعد ان ميزنا مذهب الحلول عما عداه من المذاهب الصوفية الاخرى ، لم يعد الا ان نأخذ في بسط مذهب الحلول عند الحلاج : وخلاصة هذا المذهب في كلمتين تتمثل في قولة الحلاج المشهورة « انا الحق » التي وردت في الطواسين (١) والتي من اجلها القى حتفه ، فكلمة «الحق» يستعملها الصوفية عادة للدلالة على الخالق في مقابلة كلمة « الخلق » التي يراد بها المخلوقات او العالم ، ومن ثم فقوله انا الحق معناه انا الحق الخالق je suis la Vérité Créatrice فيما اواها ماسينيون . وبيان ذلك ان الحلاج يرى ان من اخذ نفسه بالرياضة والمجاهدة ، فكبح جماح شهواته ، وسيطر على نزواته ، وتعالى فوق اللذات الزائلة ، وقبض بيد من حديد على زمام نفسه ، فطهرها من ادران الطبيعة البشرية وشوائبها ، حتى صفت روحه وسمت نفسه ، ودق حسه، وصار لا يبقي سوى حب الله ، والغناء في ذاته ، فانه لن يلبث الا ريثما ان يصفو عن البشرية طبعه ، فاذا لم يبق منها نصيب حل فيه روح الله واستحالت ارادته الى ارادة الهية فيصبح مطاعا ، لا يريد شيئا الا كان ، ويصير كل فعل صادر عنه فعلا لله ، وجميع امره امرا لله ، بمعنى انما امره لشيء ان يقول له كن فيكون . وجاء في دائرة المعارف الاسلامية ان عقيدة الحلول هذه هي احدى العقائد

(١) الطواسين : تحقيق الاستاذ الكبيرماسينيون ص. ٥ .

الرئيسية عند غادة الشيعة ، وقد اتخذ منها الحلاج اساسا بنى عليه مذهبه في حلول اللاهوت في الناسوت او على حد تعبيره حلول الطول في العرض ، كما يدل على ذلك قوله :

انا من اهوى ومن اهوى انا
نحن روحان حللنا بدنا
فاذا ابصرتني ابصرته
واذا ابصرته ابصرتنا

وقوله مخاطبا محبوبه وهو الله :

انت بين الشغاف والقلب تجري
مثل جري الدموع من اجفاني
وتحل الضمير جوف فؤادي
كحلول الارواح في الابدان

ومن اجل هذا نسب الى الحلاج ادعاء الربوبية ، فقد حدث الخطيب البغدادي لسنة قال : حضر عندنا بالدينور رجل معه مخلدة فما كان يفارقها بالليل ولا بالنهار ، ففتشوا المخلدة ، فوجدوا فيها كتابا للحلاج عنوانه « من الرحمن الرحيم الى فلان بن فلان » ، فوجه الخطاب الى بغداد واحضر الحلاج ، وعرض عليه فقال : هذا خطي ، وانا كتبته ، فقالوا كنت تدعي النبوة فصرت تدعي الربوبية فقال : لا ادعي الربوبية ، ولكن هذا عين الجمع عندنا ، وهل الكاتب الا الله وانا واليد فيه آلة» (١)

فبين ان الحلاج يقول بفكرة الحلول والفناء، القائمة على الزهد والتقشف والرياضة والمجاهدة وقصته فى حب محزنة، فقد لقي في سبيل محبوبه اشد ضروب الشقاء ، قضى السنين الطوال وهو يشاهد طيف الحبيب ، الحبيب الممنوع الذي يراه في كل موجود ولا يظفر منه بشيء غير الوجد والحنين ، ولقد طالت محنة الحلاج في هواه وظل يعاني ملامة العذال حتى استهدف للقتل . ولقد اثر عنه قوله : « يا معين الفناء علي ، اعني على الفناء » .

وللحلاج نظرية في خلق العالم وتاليه الانسان ، شديدة الصلة بنظريته في الحلول مؤداها : انه حينما تجلى الحق لنفسه في الازل ، قبل ان يخلق الخلق ، جرى له في حضرة احديته مع نفسه حديث لا كلام فيه ولا حروف . ثم نظر الى ذاته فاحبها واثنى على نفسه ، فكان هذا تجليا لذاته في ذاته في صورة المحبة المنزهة عن كل وصف وكل حد ، ثم شاء الحق سبحانه ان يرى ذلك الحب الذاتي ماثلا في صورة خارجية يشاهدها ويخاطبها ، فنظر في الازل واخرج من العدم صورة من نفسه لها كل صفاته واسمائه وهي آدم الذي جعل الله صورته ابد الدهر . ولما خلق الله آدم على هذا النحو عظمه ومجده واختاره لنفسه ، وكان من حيث ظهور الحق بصورته فيه ، وبه هو هو :

سبحان من اظهر ناسوته
سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا لخلقه ظاهرا
في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه
كلحظة الحاجب بالحاجب

فبين اذن ان القول بتشابه الطبيعة الالهية والبشرية انما كانت توطئة للقول بالحلول ومن ثم اتحاد اللاهوت بالناسوت . على ان الحلاج في تعبيره عن الحلول كان مترددا ، بين اثبات امتزاج روحه بروح محبوبه من ناحية وبين نفي هذا الامتزاج من ناحية اخرى ، فاما اثباته لهذا الامتزاج فيدل عليه قوله :

مزجت روحك في روحي كما
تمزج الخمر بالماء الزلال
فاذا مسك شيء مسني
فاذا انت انا في كل حال

فهو هنا يصور حلول روح محبوبه في روحه في صورة الامتزاج الذي يحصل بين الخمر والماء على وجه يصيران معه شيئا واحدا ، كما يعبر تعبيرا صريحا عن انه يستحيل وهذا المحبوب الى شيء واحد بحيث ان احدهما اذا مسه شيء فقد مس الآخر . ولكنه ينفي هذا الامتزاج في نصوص اخرى منها قوله :

انا سر الحق ما الحق انا
بل انا حق ففرق بيننا
انا عين الله في الاشياء فهل
ظاهر في الكون الا عيننا

وقوله في الطواسين : « من ظن ان الالهية تمتزج بالبشرية والبشرية بالالهية ، فقد كفر ، فان الله تعالى تفرد بذاته وصفاته عن ذوات الخلق وصفاتهم ولا يشبههم بوجه من الوجوه ولا يشبهونه . » (١) فالحلاج هنا حلولي بقدر ما كان هناك حلوليا واتحاديا معا . فهو هنا ينظر الى اللاهوت والناسوت على انهما شيئان متمايزان في ذاتهما وحقيقتهما في حين انه يرى هناك ان الذات الالهية يمكن ان تحل في الذات الانسانية على وجه تمتزج فيه الذاتان بحيث تصيران ذاتا واحدة . ويذهب البعض مذهبا معتدلا في التوفيق بين ما يبدو لنا تذبذبا من الحلاج . فاللاهوت يمكن ان يحل في الناسوت اذا تهيأ لهذا الاخير حظ من الفناء النفسي والصفاء الروحي ، فهنالك يحل الروح الالهي في الروح الانساني على نحو ما يحل الروح الانساني في البدن الانساني ، وهنالك ايضا يصدر الانسان في افعاله عن الارادة الالهية لا عن ارادته الانسانية دون ان يترتب على هذا ان يكون الانسان عين الله ، او ان يكون الله عين الانسان .

وفعل المقال ان كان الحلاج حلوليا، وحلوليا متطرفا ، الا انه لم يتردد في تنزيه الحق ، ووصفه بالتجريد ، ونعته بالتعالي ، وتنبيهه الى فكرة التوحيد ، وآية ذلك اشادته بابليس الذي ابى ان يسجد لآدم ، حتى على اعتبار ان آدم خليفة الله الذي خلقه الله على صورته فان هذا السجود شرك من وجهة نظر توحيد الحق ، ولا مراء . فابليس انما عصي امر ربه لمعرفته ان السجود لا يكون الا للباري وحده . ويذكر الحلاج ان موسى لما انكر على ابليس عصيان ربه وقال له : « تركت الامر ؟ » قال : « كان ابتلاء لا امرا » يريد اختبارا لحبه الله ، فكان ابليس في نظر الحلاج قد اجاب الله بقوله « جحودي لك تقديس » ، ولذلك اشاد الحلاج بابليس فقال عنه « ما كان في اهل السماء يوجد مثل ابليس» (٢) بل واعتبره ـ كما اعتبر

(١) تاريخ البغدادي ص ١٢٧

(١) الطواسين : نشر ماسينيون : ص ١٣٤

(٢) الطواسين ، طاسين الازل والالتباس ،ص٤٢

فرعون – استاذا له وصاحبا فهو يقول « ان لم تعرفوه فاعرفوا آثاره ، وانا ذاك الاثر، وانا الحق، لانني ما زلت ابدا بالحق حقا ! فصاحبي واستاذي ابليس وفرعون ، وابليس هدد بالنار وما رجع عن دعواه وفرعون اغرق في اليم ومارجع عن دعواه ولم يقر بالواسطة البتة ، وان قتلت او صلبت او قطعت يداي ورجلاي وما رجعت عن دعواي . » (١)

فالحلاج يقر بالاستاذية الى ابليس الموحد الاول في السماء ، ويدين بها لفرعون الموحد الاول في الارض ، فالرجل يتشبث بالتوحيد اينما كان ويعتبره المحك الاصيل لسبر العقائد وامتحان الايمان ، وهو القائل « والحق واحد احد وحيد موحد » . ناهيك عن مسلم ينادي بان ابليس اعظم من في السماء لا لسبب سوى لانه نظر اليه من زاوية التوحيد . ولما كان التوحيد مناط العقيدة الاسلامية فقد صار من البدهي ان الحلاج كان مسلما من الطراز الاول ، ولديغيره ان اهل عصره لم يفهموه ؛ فمتى كان الانصاف من شيم الناس ؟؟ سنة البشرية في كل طور من اطوار تاريخها ؛ حقد وحسد وغيرة وانسياق وراء الاهواء والرعونة الهوجاء . اعدم الحلاج كما اعدم سقراط وكوبرنيك وجان دارك فهؤلاء شهداء الحقيقة وقرابين الفكر الحر . وحسبي القول المشهور «ذكاء المرء محسوب عليه» .

ومن الغبن والاجحاف بمكان ، ان يقال بان شطحات الحلاج لم تكن لها ركيزة فلسفية ، او كانت بمعزل عن كل عملية عقلية اصيلة ، وبان قولة «انا الحق» لم تكن سوى صرخة من مجنون صار لا يدري الفرق بينه وبين المحبوب ، وانه نطق بتلك العبارة ولم يكن ليستطيع ان يدلي عليها ببرهان ، ولا ان يزيد عليها باكثر من انه شعر بمعانيها في نفسه . ففي الواقع ان كلمة « انا الحق » لم تكن مجرد صرخة جذب ولا كلمة شطح بل كانت عبارة موجزة كل الايجاز لخص فيها الرجل نظرية باكملها في الالهيات منصبغة بصبغة صوفية ، ثم انه لم يقل « انا الحق » واكتفى بذلك وانما اردف يقول لانني ما زلت ابدا بالحق حقا» !! فهو يطرح القضية ولا يلبث الا ريثما ان يؤيدها بالدليل والسند في حينها فعبارة « انا الحق » حصيلة تمخضت عن عمليتين متآزرتين الاولى عقلية والثانية صوفية . والمتصفح لكتاب الطواسين، يرى فيه من النظرات النافذة والحركات الفكرية المنتظمة والاحكام الصائبة ما يجعله يسلم بان الحلاج كان رجلا ذهينة ، ولقد حاولت من جهتي بما ليس بعده مزيد في مقدرتي ان انظر بمنظار النقد الى شتى النواحي التي جال وصال فيها هذا الرجل دون ان اظفر بشيء اللهم اذا كان شيئا من التعسف احيانا او التأويل المسرف احيانا اخرى . ففي زعمه مثلا ان ابليس قد رفض السجود لآدم لانه ابى ان يشرك بالله على حين ان ابليس قد عصى امر ربه كبرياء منه وانفة فقد راى انه مخلوق من نار بينما آدم خلق من طين ، فهو لم يحسب حسابا لوحدانية الله على نحو ما توهم الحلاج ، وانما حسب حسابا لكبريائه اولا وقبل كل شيء . كذلك فرعون لم يعترف بموسى لا لانه لم يؤمن بالواسطة وكان يعتقد بفكرة الاتصال المباشر ، بل لانه كان يعتقد انه هو الله الحاكم بامره ، واي جدل في هذا تهديد لملكه وتقويض لعرشه . مثل

(١) الطواسين ، ص ٥١ – ٥٢ .

هذه المآخذ هي قصارى ما يمكن ان يلاحظ على الحلاج وما عداها فهو فيها على صواب ولا غبار عليه على الاطلاق .

كذلك من الغبن والاجحاف بمكان ان يظن بمذاهب التصوف كالاتحاد والحلول ووحدة الوجود او الشهود على انها حديث خرافة ، فقد رأينا مذاهب معاصرة في فلسفة العلوم تذهب مذهبهم وهي بعد هذا موضع اعتبار واجلال ؛

فالعالم مكون من اجسام ، والجسم مكون من ذرات ، والذرة في نهايتها اشعاع ، والاشعاع هزات في الفضاء والهزة حركة ، والحركة في صميمها حسبة رياضية تقدر بالمعادلات والاعداد ، والحسبة الرياضية فكرة . اذن فالجسم فكرة والعالم المادي مجرد افكار ، ولكن الافكار لا تقوم بذاتها بل محتاجة بالضرورة الى محل ينتظمها ويحيط بها . ولذلك لم يعد بد من التسليم بضرورة وجود عقل كلي يشمل هذا العالم ويحتويه ، وهذا العقل هو ما نسميه بلغة الدين الله .

هذا هو ما ذهب اليه السير آرثر ادنجتون . اما مذهب اينشتين عن المكان – الزمان space - time فقد كان له اثر بعيد في رفع لواء المذهب الروحي: ففي البدء كان المكان والزمان، ومن اتصالهما نجمت الحركة ، ثم تجمدت الحركة فكانت المادة وكانت الاجسام ولكن مضمونات المكان والزمان مجرد نسب تحسب في الاذهان ، ولا تقدر الا في وعي الانسان ، مما يؤذن بالقول بان الكون افكار . والكون عند اينشتين كروي او هو كفقاعة الصابون وهو يخضع لهندسة المكان – الزمان ، اما فيما بعد المنحنى الكوني فقد توجد اكوان لا تخضع لهذا النظام الهندسي ، مما يرجح مزاعم الروحيين بوجود كائنات ميتافيزيقية لا مكان لها ولا زمان تكمن وراء هذا الكون .

والمادة على كونها حقيقة واقعة ليست كذلك البتة على وجه مطلق ، لان وقائع علوم النفس والحياة ووظائف الاعضاء تستعصي على التفسيرات الفزيائية البحتة . فاذا تأملنا الفرد الانساني وجدنا تركيبه الكيماوي وقوامه البيولوجي في سن الطفولة غيره في سن الشيخوخة

وبرغم هذا نراه محتفظا بذاتيته من حيث هي كذلك ، مما يدل على ان الذاتية جوهر غير متجانس مع سائر الظواهر الفزيائية وانه شيء له كيانه الوجودي غير المترتب دائما على الظروف المادية البحتة وعلم وظائف الاعضاء يقرر بان المهمة الوظيفية للجهاز العصبي لا تتعدى المعارف المباشرة الميكانيكية الدلالة ، اما المعاني المجردة والافكار الكلية فلم يكشف بعد عن قوانينها او عللها كشفا يريح العلم او تطمئن اليه الحقيقة . هذا فضلا عن ان الانسان بما ينطوي عليه من عناصر الارادة والشعور بالحرية ، يكفي دليلا على دحض الميكانيكية باعتبارها ناموسا للكون في وهم الماديين .

ومن السخافة التي لا سخافة بعدها ، ادعاء بعض المتعجلين بان نظرية التطور والارتقاء انتصار كبير من انتصارات المذهب المادي ، على الرغم من ان فروض كثيرة افترضوها هي في باب التخمين وهي قبيل الزعم بدون مسوغ او دليل . فقد غاب عنهم ان المكتسب لا يورث لان تأثيره لا ينصب الا على الخلايا الجسمية دون الخلايا التناسلية ، ومن ثم فان تسلسل الانواع الحية انما كان من بضعة اصول لا من اصل واحد ، لذلك فان القول بتطور عام من الاميبا الى الانسان مجرد افتراض تحكمي ، شاع في الدوائر العلمية ابان القرن التاسع عشر وتحمس له الكثيرون ممن دفعتهم الرعونة الى ارتكاب جرائم شنعاء كالتزوير العلمي على نحو ما فعل ارنست هيكل .

وفاتهم ان نظرية التطور والارتقاء لا تبحث الا فيما بعد اصل الحياة من نشوء بعض الاحياء من بعض على مر الزمان وتحت ظروف طبيعية معينة ؛ اما البحث في اصل الحياة والقول بتلقائيتهما وهو بيت القصيد عند الماديين ، فليس من اختصاص التطور على الاطلاق . وليس احجام التطور عن تناول مثل هذا الموضوع ضربا من الاضراب عن العمل . وأغرب من هذا انهم قالوا بالتولد الذاتي للحياة ولم يثبتوه بتجربة مع توفر جميع امكانياتها .

وفضلا عن هذا وذاك ، فان ما نراه من الحاح الكائنات في التطور والارتقاء وكأنه غاية يعقلونها ، بما ينطوي عليه من حصيلة قيمية ، ومن تناسق اعضاء الحي الواحد تناسقا اعجازيا ، ومن تعقد بعض الحلقات تعقدا لا يجعلنا نسلم بأن الظروف الطبيعية وحدها علة ذلك كله ، نقول ان ما نراه من كل هذا لدليل على المنظم البصير المعنى بأعماله .

كذلك من السخافة التي لا سخافة بعدها ، ادعاء بعض المتعجلين بأن مسائل التصوف قد افتقدت ما تنطوي عليه من دلالات في غمار المجتمع الحديث، على حين ان المجتمع الحديث قد اثبت من فضائل التصوف والزهد ما لم يثبته مجتمع من المجتمعات في سابق العصور . وربما كان الزهد شعيرة من شعائر الدين في العصور السحيقة ، اما الان فهو – بحق – فرض على كل رجل يؤمن بالعمل ويدين الحضارة . فنحن نسمع عن بعض مشاهير الاطباء انهم يعيشون على عصير الفواكه خضوعا منهم لبعض التعاليم الطبية . ونحن نسمع عن ملكات الجمال وكواكب السينما في اوربا وامريكا انهن يعشن على نظام خاص في المأكل والمشرب ، فيسقطن من حسابهن بعض الوجبات كما يستبعدن بعض صنوف الغذاء تفاديا لغوائل السمنة وحفظا منهن على رشاقتهن . ناهيك عن ابطال الرياضة والمشتغلين بفنون الرقص والغناء ، وما يسيرون عليه من نظم مرسومة لا يبغون عنها حولا ولا يريدون بها بديلا .

زد على هذا كله ان التصوف كائن وظيفي فى دنيا السياسة والاجتماع جميعا . ولا أحسب ان حركة المهاتما غاندي فى الهند الا ابلغ دليل على ما نذهب اليه . واني لاذكر اضراب الدكتورة درية شفيق عن الطعام حتى الموت اذا لم تستجب المطالب السياسية للمرأة المصرية .

وبعد فلم نرد من وراء هذا ، الا أن نطيح بما وقر فى بعض الاذهان من ان التصوف بقية من بقايا العهود الغابرة ، وان نثبت أهميته فى محيط كل دراسة حيوية جادة تؤمن بالعلم وتدين بالحضارة .

القاهرة **محمد فرحات عمر**

انا عائد

*

أنا عائد قبل المغيب الى الينابيع العذاب
قبل انحلال الضوء فى الافق الملفع بالضباب
أخشى لهاث الافق يقتل روحه قبل المتاب
وخشوع هذا الكون والصمت الموزع والعذاب
أنا عائد ثمل الخطى يحدو بي السر المهاب

***

أنا عائد ووراء اغنيتي نداء مستريب
همساته تنبث نازعة الى الكون الرحيب
حيث الظلال الدافئات ورنة الكأس المذيب
وتغازل الاضواء فى همس يرق ويستطيب
وهناك أهتف صارخا : أنا عائد قبل المغيب

***

لا لا أبوح بما اريد وأملأ الدنيا ندى
ولمن أبوح ولا أرى فى الكون هينمة الصدى
غير العيون المطفئآت تذوب فى هذا المدى
يستاقها الراعي ضحى وتموت فى خط الردى
أنا عائد لا أبتغي رجعى ولا أرجو غد !

***

كتمازج الالوان في حدق الصباح الطالع
رشت بأنداء تقيات المزاج لوامع
كانت تلوح لنا مموسقة الحنين النازع
هذي الرؤى الزرقاء منعطف الفضاء الواسع !!
يا للرؤى الزرقاء ! بعثرها تخبط صانع

***

أنا عائد فافتح نوافذك الغريقة بالضياء
الشاخصات الراقصات بنورها عبر السماء
الوارفات ظلالها ببنفسج غض النماء
اني أحس زجاجها ينداح عن ألق مضاء
اني أرى فيضا يسربلني وأشعر بانطفاء

بغداد — عبد الحليم لاوند

للكاتب الايطالي كورادو الفارو

انفصال

ترجمة مصطفى آل عيال

✴

كورادو الفارو*

تساءل : من هو هذا الكاتب ، والى اي طبقة من الكتاب ينتمي. هل تهمنا يا ترى معرفة مكان ولادته وكم بلغ من العمر ؟ وهل هو متزوج ام اعزب؟

حسبي وحسبكم ان نعلم انه لا يزال حيا يرزق . وقد جاوز العقد الخامس من سنه وهو لا يزال يتحفنا بقصصه واقاصيصه .

في اسلوبه شيء من التصوير البارز وشيء من النحت . ولكن فيه الكثير من الموسيقى التي اجتمعت الحانها وانسجمت كموسيقى الجوقة التي بلغت نهاية النضج واستنفدت دورها كفن بلغ الذروة . انسانية كل الانسانية . على فارق واحد ، ان موسيقى الفارو Alvaro لا تزال في براعمها ومع ذلك فقد بلغت شوطا بعيدا في هذا الفن .

فالفارو اذا كاتب موسيقي الروح والالفاظ على طريقة الجوقة . وقد اتحفنا وهو شاب طري العود بمجموعة من قصائده الغنائية الشعبية دعاها : ــ قصائد رمادية خضراء ــ اصدرها عام ١٩١٧ فيها الكثير من هذه الموسيقى .

نقرأ له البيت الواحد في هذا الديوان ، فيوحي الينا ان ما لم يقله اكثر مما قاله . وان خلاصة ذلك هو هذا البيت الواحد . يتكلم تلميحا وكانه قال اشياء كثيرة . يبدأ دوما بصورة بعيدة ، فتوحي الينا بالصور من عالم الابعاد . ان المسائل والموضوعات اللانهائية والشعرية والمنطقية كانت دوما محط انظاره ، يعتمد عليها ويرتاح اليها ، مما ساعد على شحذ اسلوبه الشعري ، فتوهم انه بلغ اشياء كان يروم ان يبلغها .

اما الموضوعات التي طرقها فلم تتنوع وقد بقيت هي هي تقريبا : حبه لوطنه وشبه حب لمهنة الشاعر ، الشاعر الذي يحمل بين جوانحه اثرا من النبوة .

يقول عن مراطنيه ووطنه في هذه الايام :ــ يهرولون اثر حضارة فيها حشرجة الموت ويتبجحون بمدنية تحتضر ، وهذه وتلك غير جديرتين بان نذرف عليهما الدمع . ــ

مرت الايام واشتدت بديهة الفارو الكاتب وحيويته ، ولا سيما ازداد حماسه الغنائي وقوي ، ومع ذلك فقد بقيت الاسباب هي هي لم تتبدل .

ولقد طبق نهجه المعروف في قصة دعاها : ــ الانسان في المتاهة ــ نشرها عام ١٩٢٦ . ولم يستطع ان يعطينا بهذا الكتاب الا مفهوما عن القصة خلاف ما درجنا عليه من المفاهيم في هذا المضمار . ولقد جاء في قصته هذه ما فحواه : ــ ان الاشياء التي نبصرها ونتبصرها ليست هي غير تعلة شبه انسانية ، شبه ذهنية ، شبه وهمية . وحيث لا يصل المبرر الانساني يتدخل الذهن مسعفا . وحيث الذهن على شيء من البلادة ، تداهم الانسان الاخيلة والاحلام .

كانت هذه القصة بمثابة محك وتجربة للكاتب الفارو . لقد حددت له الحقل الذي يستطيع ان يقبل على حرثه وزرعه . وجعلته مرتاحا الى هذا القليل ، قليله هو . وفي الوقت ذاته شحذت من اداة التعبير لديه وكشفت له على الخصوص ، عن الطريقة التي يجب ان يتقبل بها المذهب الواقعي مع احتمال كل انفعالاته . وهنا تبدو الصعوبة في تفهم الفارو . وهنا غناه وضعفه ...

كل الهام فيه ينبثق بحركة يشوبها القلق والاضطراب ، لا اليقين المحدد الثابت . تعتمل في داخله الانطباعات التي تتقدم وتنمو صاخبة ...

ولنعد الان الى فكرتنا الاولى . الى الجوقة الموسيقية التي اطلقناها على اسلوبه . اي شيء نتذكره في الفارو اكثر من غيره ؟ هل هي شخصيته المحددة ، شخصية يمكن لها ان تغالب الزمن . كلا لا شيء من كل هذا وذاك ... ان ما يبقى منه هي تلك الاصوات والمقاطع والحركات الداخلية . اصوات الارض اذا كان لهذه اصوات . اصوات المياه الرقراقة التي تنساب فوق الارض . واصوات وشوشات الاشجار وهمسات اوراقها واصطخاب اغصانها ...

لنقلب صفحة في مؤلفات الفارو ، صفحة واحدة يظهر فيها اكثر توفيقا من حيث الاسلوب . فمن كل سطر فيها وكلمة تطل علينا لجاجة متدفقة في كل شيء . مثله في ذاك كمثل الذي يقص علينا شيئا وهو حيران مترددبين قلقين، قلقمن يريد ان يقول اشياء واشياء ، وقلق من لا يعرف ان يقول كل ما تجيش به نفسه ويريد ان يلفظه ...

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فانه يستعمل اجمل الوسائل والاساليب التي تدخل الى روع القارىء ما تدخله . ان طرقه الاكيدة للتعبير عن جوقة موسيقاه ، تلك الفائقة الوصف ، وعن القشعريرة الحلوة التي تبثها ، تتأتى لنا معرفتها بقراءته وهو في حالة قد ران عليها القلق والغم . انه قلق الكاتب وغمه لانه لم يصب الهدف ، مما يجعلنا نغتم ونقلق له نحن ايضا .

في الفارو ميل خاص للاشياء المبهمة التي لم يعبر عنها بعد ، هذه الاشياء التي تنبثق عنها جوقته .

* القيت في المعهد الثقافي الايطالي ببيروت . وهي المحاضرة الثالثة في « الاقصوصة الايطالية » .

اما اجمل مواقفه ، فهي حيث يستطيع ان يحدثنا عن الاطفال بشكل من الاشكال . ان ذاك البرعم من الوجدان والحلم اللذين هما اول خطوة في حياة الطفل ، يصبحان في صفحات الفارو نابضين بالحياة الفياضة . ويصبح الطفل ، هذا الانسان الضعيف الصغير ، محور كل ما يحيط به من انسان وحيوان وجماد

ومن النادر ان يبلغ الفارو تلك المرحلة حيث تنصهر الاشياء بعضها البعض ، وتصبح كلها في نجوى حلوة . ان الاجزاء عنده تتحد فقط ولا شيء يعترضها او يقلق التاليف بينها .

ولو اكتفينا بما اعطانا الفارو مما الف من الكتب لوجدنا انه يحمل في اغوار نفسه خطرا واي خطر . فما عسى ان تحمل هذه النفس في حناياها بعد ذلك فيما ستعطينا من الكتب؟ . .

قصة : انفصال

ما كادت تستقر وحدها في منزلها حتى بدا سنها يؤلمها بشكل مزعج . وانتصبت في وسط كيانها كانها العملاق . وتجسدت فيها الامها كلها ، الام امراة اسيء اليها .

تزوجت ولما تبلغ السادسة عشرة من سنها . وقد مضى على ذلك خمس عشرة سنة . فتكون الان في الواحدة والثلاثين من سنها . وها هي اليوم تجد نفسها وحيدة ارملة . وزيادة على ذلك ان سنها يؤلمها . ولاول مرة في حياتها تقف موقفا لا تردد فيه . عليها ان تفكر بسرعة . وتعزم عزمة اكيدة بدون ان تنتظر اية مساعدة من الخارج . او اي نصح ياتيها من ناصح امين . عليها ان تعزم لتهتدي الى مخرج لها مما طرا عليها فجاة . انها وحدها الان ، وعليها ان تدبر امرها كيفما جرى الحال ، على نمط ما قد فعلته في هذا الصباح وهي تتناول طعام الافطار البسيط والبسيط جدا . طعام اكثر النسوة اللاتي بقين وحدهن واللواتي ليس عليهن ان يجهدن انفسهن لتحضير الطعام الطيب اللذيذ لارضاء الشهية الجامحة الحيوانية لبعولتهن .

كان طعامها بسيطا مثل كل طعام تتناوله النسوة اللاتي يعشن لوحدهن . ولو ارادت الطبيعة اشباعهن دون الرجال ، لكانت الحيوانات الداجنة وغيرها بالف خير من الله ، بعيدة عن اذى الانسان وجوره ، تعيش كما عاشت في ذلك الزمن السعيد ، في الجنة الارضية ، عالم ليس فيه مجال لمعتد بالقوة الغاشمة . وليس فيه نهم الاستيلاء والتملك ، وتنازع البقاء المرير ، وحب الدمار والهلاك .

لقد تعجبت صديقتنا الارملة من نفسها كيف طاف بها الخيال وجعلها تفكر بكل هذه الامور جملة . حسبنا ان تؤلمنا سن واحدة لننتبه اثر افكار لم نحلم بها من قبل .

ان سنها التي بدات تؤلمها ألما شديدا تعني انها تريد الانفصال عنها كما سبق وانفصل زوجها عنها . هذا الزوج الذي كان يغار عليها من طنين النحل لئلا يقترب منها كما يفعل بالزهر وهي الزهرة الجميلة اليانعة الفواحة . يغار عليها من كل شيء : من فكرة طارئة ، وطيف عارض وهمسة خافتة ، ورفرفة عين وادعة . .

فكرت وبحثت طويلا علها تتذكر بعض اسماء الاشخاص الذين تعرفهم . وقد جمدت اوطار الفكر منها ، وتوقفت عن الاهتزاز ولم تسعفها ، ذلك لانها لا تعرف احدا .

حتى صبيحة هذا اليوم عاشت في عزلة تامة ، فرضت عليها فرضا . وقبلتها كارهة او قبلتها لجهلها باصول الحياة . اما الان لقد صار بوسعها ان تجري وراء افكار لا يقطعها عليها احد . صار بوسعها ان تكون لها رايا وتعزم على امر ما ، الخروج مثلا ، وحدها الى اي مكان شاءت وبدون استئذان اي كان من الناس .

لم تعد مضطرة لاختراع الاعاذير المتعرجة لتبرر بها بعض تصرفاتها البسيطة ، وذلك كله لتجتنب اثارة غيرة زوجها وشكوكه التي لا تنتهي .

اصبح بوسعها منذ اليوم ان تخرج بمفردها ، بعد ان ظلت خمس عشرة سنة لا تبرح منزلها الا بصحبته . كان شديد الحذر عليها . يراقب لها حركاتها ونظراتها . وربما احصى تنفساتها .

كان يقص عليها جادا ان تغيرا هائلا مخيفا طرا على المدينة فامتلات بالمجرمين واللصوص . والمغتصبين الاشرار . والمتعرضين للسيدات العفيفات الاطهار . فمنهم المرضى بكل داء خبيث فتاك . ما اسرع ما تنتقل عدوى امراضهم بقبلة يختلسونها من امراة عزلاء . او بلمسة يختطفونها في حشرة . فيقضون بذلك على المجني عليها . وينتزعون سحر الحياة وجمالها من ناظريها .

كانت تتطلع من النافذة فترى الحياة تسير سيرها الطبيعي القوي المتيد ، على طول ضفتي النهر ، حيث كانت تصل شاحنات البضائع والسلع . ترى ناسا يحملون باقات الازهار وقد اشتروها من حانوت قرب الجسر . ترى بائع الكتب يدفع عجلته امامه وينادي معلنا عن بضاعته . . . وما اكثر الاشياء التي كانت تراها .

ترى الموظفات والعاملات ، بعضهن جميل ، وبعضهن انيق ، يمشين مرحات في الطريق ، وياخذن باطراف الاحاديث . خفيفات الخطى كالظبى . ظريفات في حركاتهن الهوائية ، هذا الظرف اللازم كلزوم الحياة ذاتها للانسات . كن يجتزن الجسر عدوا كانهن يخشين من يدري ماذا . . . . يتلفتن الى النهر بين الآونة والاخرى ، ليتزودن منه بالنظرات الاخيرة الصباحية ، قبل ان يغلق الباب من ورائهن في مكان عملهن .

وما كانت الاصباح بجانب النهر تخلو من الضباب . مثلها كمثل الحسناء تعرك عينيها بعد اغفاءة حلوة . والندى لم يجف بعد على

الطرقات فكانه اللؤلؤ المنثور انفرط سمطه من جيد تلك الحسناء ذات الدلال . ما كان كل ذلك ليزيد الحياة فتنة على فتنة ولغزا على لغز ولكنه جميل .

.... لم يعد عليها ان تنتظر ايابه، اياب زوجها ، ظهرا او مساء . كان يصل دوما مباغتة . وما كانت تعرف شيئا بالتعيين عن عمله . كان لدى وصوله يمثل على الدوام الرواية ذات المشهد الخالد ذاته . فكان يدخل عليها وكانه لاول مرة يلتقي بها . وكانت هي تستقبله بزينتها الكاملة وتبرجها الخلاب . فيعانقها وتعانقه . وهناك وابل من القبل ينهال به عليها ، لوقعه حفيف وطقطقة على وجنتيها .

كل يوم يمثل الرواية ذاتها ولايغفل عن سؤلها بماذا تفكر وبماذا قد فكرت . وبماذا تشعر وتحس . فكانت تجاريه وتقلده بمثل اسئلته حظ قليل . تردد على مسامعه تلك هذه واحاديثه ـ تقليدا فيه للطبعية الجمل الجوفاء التي طالما سمعتها في دور السينما من النظارة انفسهم وممثلات الافلام معا، وهي جالسة بقربه، تحيط ذراعه بخصرها ، وقد اسندت براسها اللطيفة وشعرها الهوائي على كتفه . كانت تمضي الساعات مصغية الى وشوشاته وهمساته ...همسات ووشوشات قدت من اديم واحد قلما تغيرت ...

ولا يمضي وقت طويل على هذا النعيم الزائف حتى تهب عاصفة هوجاء ويا لهولها . تنفجر فجاة وبشدة تلك المخاصمات ، باعثها الغيرة لامر تافه جدا : لشيء في هندامها او سلوكها لم يعجبه ولاح له بانه في غير محله . وغالبا ما يظن بان ذاك الشيء ، موضوع الشبهة ، اشارة منها او حيلة لتستر الحقيقة عما تكون قد دبرته او تآمرت به عليه .

والحق يجب ان يقال اذا ثمة شيء في لباسها وتبرجها وحركاتها ناب ، ذلك مرده لقلة اختبارها ومخالطتها للمجتمع ، ومعرفتها بالاصول المتبعة والازياء الشائعة وغير ذلك . كان همها الاوحد ان تعجبه مهما كلف الامر فكانت تفعل ما تفعل . فبدلا من ان تفوز برضاه تلقى منه سخطا وهيجانا وغضبا شديدا وثورة اشد .

كانت اذا ارادت ان تأتي بحركة لطيفة مبتكرة ، تريد بها انتزاع اعجابه واستحسانه ، كان بدلا من ذلك يسألها بنزق لا مزيد عليه : ـ « من اين لك هذا . من علمك هذه الحركات ... من رايت ... من جاء عندك ... »

***

لقد مضى على كل ذلك خمس عشرة سنة ....

قامت اليوم خفيفة . وارتدت بعض ملابسها . هذه الملابس التي تتبين فرقها كل سمة من سمات الزمن . كانت تتساءل ، وهي تنظر الى اعضائها البضة الجميلة ، وقد اصبحت لا تخص احدا ولا يمتلكها احد عن الذنب الذي اقترفته ، ذنب هذه الاعضاء الضحية ...

لقد بقيت من اثر العهد الذي باد بالامس لطخة زرقاء في ناحية ما من جسدها . فتذكرت بانه هو الذي احدثها ، ولم يعد هو الان يشغل حيزا في وجودها . تذكرت شعره وقد دب فيه المشيب ، وهو يتململ به على وجهها وعنقها وصدرها . فكانت تتألم بعض الشيء من هذا الشعر وتقول له بصوت عذب متردد :

ـ « لماذا حتم عليك ان تتعذب كثيرا من جراء هواجسك . »

***

ما كادت تصل الى عيادة طبيب الاسنان ، وتجد بعض النسوة ينتظرن دورهن في القاعة، حتى تشجعت وسريت عنها هذه الوساوس التي لا تكاد تفارقها لحظة حتى تعود اليها . ولكن ... انها لا تزال وجلة خائفة . ان اسارير تلك الوجوه ونبرات الاصوات ، وتلك الحركات والاشارات ، كل ذلك ما كان ليدخل الى قلبها الارتياح والطمانينة .

كان زبائن طبيب الاسنان كلهن من النساء . يحملن الاكياس التي وضعن فيها ما اشترينه من الاسواق في الصباح ، ويتابطن الصرر وغيرها . وكانت ايضا ثمة طفلة بقرب امها تمسك لها فستانها . كان بعضهن اترابا . والبعض الاخر متفاوتات السن . المهم ان جميعهن نساء . لا كلفة بينهن . كان بوسعهن ان يتركن العنان لاوجاع اسنانهن تفعل بهن ما تشاء . وقد مالت خدود اكثرهن الى جهة واحدة ، كان شخصا ما يشد باذانهن من طرف واحد . او كانهن سمعن صوتا آت من ناحية واحدة فاصغين اليه وادرن بنصفهن تجاهه.

كن وحدهن ، ولا رقيب عليهن ، ولا حاجة بهن ان يراعين ادبا بالذات . او يجلسن جلسة معلومة او يأتين بحركات يخفن ان ينتقدها المجتمع عليهن . انهن يعرفن بعضهن لكثرة ما يلتقين في هذه القاعة وحسبهن وجع الاسنان ان يجمعهن على صعيد واحد . فهن والحالة هذه ، لسن بحاجة ان يظهرن بمظاهر مختلفة . ولم تكن الاحاديث آخذة مجراها بينهن . كن يتهامسن احيانا ، ويتبادلن بعض الكلمات الرخيصة كلما سمعنا من الغرفة المجاورة صراخا مخنوقا لزميلة لهن . صراخ يفهم منه كانها اكتشفت نفسها لنفسها .

***

كانت صديقتنا الشابة الارملة ترتدي معطفا من الفرو الثمين . وقد اسندت خدها التي تؤلمها الى ياقة المعطف . جلست وضمت رجليها الى بعضهما وطوتهما ونحتهما الى تحت الكرسي . ولم تكد تستقر حتى لفت ناظريها نور ضئيل ينبعث من زاوية الحجرة البعيدة . فحدجته فاذا به يضيء تمثالا صغيرا لامراة عارية صنع من الصيني ، بلون وردي ولازوردي . يشبه الاصنام الصغيرة التي يؤلهها اصحابها واتباعها . وكان لعمري ذاك التمثال بعض التأثير على الناظر لشدة ما كان يلوح كانه من لحم ودم .

كان مجلسها بقرب امراة قد جاوزت الخمسين من سنها . ومع ذلك فقد بقي وجهها محتفظا بملامحه الاولى البعيدة في القدم ، ملامح فتاة صغيرة السن ولكنها تفهم كل شيء . لقد رمقت الزبونة الجديدة بنظرة فاحصة ولم تبتسم لها . كان في عينها وميض يشوبه الخبث والرحمة معا . ما عتم ان حدجت هي ايضا الى ذاك التمثال العاري ، ثم هزت راسها مراراكانها تستنكر ذوق الرجال في تزيين القاعات بمثل هذه الزخارف والتماثيل المبتذلة .

والتفت النسوة اللواتي كن ينتظرن دورهن ، صوب الزبونة الجديدة ، التي ما انفكت منذ وصولها ، تضغط خدها ضغطا رفيقا فوق فرو معطفها وياقته . كانت قبعتها تنسجم مع هذا المعطف . رمادية اللون يخرج من تحتها فوق جبهتها اكليل من الشعر المجعد تجعيدا اصطناعيا . كل ما فيها يدل على انها سيدة محترمة . تتألم وهي هادئة . وقد ارتدت ثيابها وكانها لا تعرف شيئا بالذات عن حقيقة نفسها . كانت كأنها تلبس بزة عسكرية وهي غير معتادة ذلك . وكان حذاؤها بكعبيه العاليين يساهم بدفعها الى الامام وهي تمشي . وكانت عيناها لا تتحولان عن ذلك التمثال الصغير العاري الذي كان يمثل امراة تخلع آخر غلالة عليها وتزيلها من تحت ارجلها .

ــ هل تؤلمك سنك ؟ ــ سألتها المراة ذات الوجه الذي يظهر كانه وجه فتاة صغيرة السن

فهزت راسها صاحبتنا علامة الايجاب .

ــ هل اتصلت بالتلفون

ــ وبمن اتصل

ــ بطبيب الاسنان

ــ ولماذا افعل ذلك . اني ها هنا انتظره كغيري .

ــ كان عليك ان تحصلي منه على موعد بالتلفون .ــ فاجابتها صاحبتنا والدهشة لا تفارقها :

ــ اي موعد ... وممن آخذه ، ولماذا ...

اصلحت تلك المراة المستجوبة من جلستها فوق كرسيها وهي مغتبطة الى محاورتها هذه التي تدل على الذكاء حسب زعمها . ثم اردفت قائلة : ــ هل اتيت ليخلع لك الطبيب سنك ؟

ــ هذا ما اعتقده .. كان علي ان افعل ذلك منذ سنوات .

فتأملتها المراة ذات الخمسين عاما او اكثر وقالت مترددة كانها لا تصدق ما تسمع او كانها تستوضحها :

ــ منذ سنوات تقولين ...

فهزت لها راسها علامة الايجاب وسكتت .

ــ عفوك الا اخبرتني اين كنت طيلة هذه المدة ؟

فاجابتها المراة الشابة بكل بساطة :

ــ كنت هنا في هذا البلد .

ــ افي رومة تعنين .

ــ اجل في رومة بالذات .

لقد ارادت المراة المسنة ان تنشر على رفيقاتها هذا الخبر ولا سيما الجواب الاخير . كانت عيناها تلمعان بشيء يشبه الخبث البسيط جدا ، كالماء البارد الذي يسبب لنا قشعريرة ورعدة وهو يلامس اجسادنا في اوائل البرد . لقد اهتدت الى منفذ تنشر به ، ما سمعته آنفا وادهشها ، على الملأ بصوت عال حتى لا يفوت احد سماعه . قالت :

ــ اذا كنت منذ سنوات وانت تنتظرين لتقلعي سنك ، فاني اتنازل لك عن دوري . انا بوسعي ان انتظر وما انتظاري بالنسبة الى انتظارك الا كنسبة نقطة الماء في المحيط .

ــ شكرا لك . لست بمستعجلة كما تتوهمين . اشكرك مرة اخرى .

ــ ستوفرين عليك ساعة من الزمن . ان الطبيب ماهر ولن يسبب لك او لاي كان من زبائنه ادنى اذى . انه شاب في مقتبل العمر . لا يحمل دبلوما في طب الاسنان ، ولذلك هو يزاول عمله وابوابه مغلقة .

قالت تلك الخبيثة هذا وهي تتلمظ وتدير عينيها في محجريهما كماتفعل الحرباء .

وتلفتت المراة الشابة فيما حولها مستفسرة . كانت تشعر فعلا انجميع الابواب والنوافذ مغلقة عليها وكانها اقفلت مرتين مرتين .

وما عتم ان انبرت لها امراةاخرى ، تقول وهي ما انفكت تحدجها ، وقد وضعت امامها حقيبة مملوءة بانواع الخضروغيرها التي ابتاعتها فيالصباح الباكر :

ــ وانا ايضا بوسعي ان اتنازل لها عن دوري طالما انها تنتظر منذ سنوات عدة .

فاجابتها المراة الشابة بسكونها المعهود : ــ كلا لن اقبل . انا ايضا استطيع الانتظار مثلكن جميعا .

لقد انتظرت طويلا ولم يعد اي معنى للزمن لدي .

ــ سيدتي هلا اوضحت لنا ماذا كنت تنتظرين . هل لنا ان نعرف ذلك . هلا قصصت علينا قصة هذا الانتظار ؟ -

سألتها متلهفة امراة سمراء في جلدها الاملس المشدودحرارة خطرة. وقد تعلمت من افلام السينما التي دابت على مشاهدتها ، كيف تبتسم وتقلب شفتيها بغنج ودل على الطريقة الاميركية .

لم تجبها المراة الشابة ولزمت الصمت .

ان اولئك النسوة قد اسررن الى بعضهن اشياء كثيرة في اثناءانتظارهن في تلك القاعة : اوجاعهن مثلا ، والاسواق التي اشترين منها زادهن من خضر وغيرها ، وانواع الاطعمة التي يفضلنها .. وبحثنا حالات اطفالهن المرضية وغير المرضية . والكمية التي ياكلها اولادهن من الطعام . ورجوع ازواجهن في المواعيد المضروبة تقريبا ، من العمل ، وبهم شهية الى الطعام لا كشهية الذئاب او غير ها من الحيوانات ..

وهنا انتبهنا كلهن فجأة الى صرخة حادة مزقت آذانهن . وقد اتت من

غرفة الطبيب الذي كان يعالج زبونة منذ اكثر من نصف ساعة . وسرعان ما اختفت تلك الصرخة فجاة كما جاءت . ومن يدري لماذا اطالت المكوث تلك الزبونة بين يدي الطبيب ... ؟

كانت النسوة يثرثرن بذلك ويعتبرن انفسهن محظوظات كجميع نساء الطبقة الكادحة لما يتمتعن به من الصحة والعافية واحتمال الوجع والالم .

بينما تلك التي صرخت هي حتما من غير طبقتهن . والا لما كان ثمة مبرر لصراخها مهما كان الوجع شديدا .

لقد كان هؤلاء النسوة فرحات بما يتمتعن به من الصحة . وسرعان ما عدن الى ثرثرتهن ، وبدان يصفن امراض واوجاع بعض اللواتي يعرفنهن من قريباتهن وصديقاتهن وجيرانهن . كن يتكلمن عن كل اولئك ويتشدقن ويقلن ان ما يصيبهن من مرض لدلالة بينة عن تخلي العناية الالهية عنهن . اما هن فكن يشعرن كانهن صديقات هذه العناية الالهية التي خصتهن دون سواهن بالعافية .

***

كانت صديقتنا الشابة ترتدي تحت معطفها ثيابا سوداء علامة الحداد . تصغي الى تلك الاحاديث سادرة . كان بوسعها ان تشارك تلك النسوة بمثل احاديثهن . ولكنها احجمت وآثرت الصمت . ذلك لانها كانت تشعر ان ما تفوه به ربما استثقله القوم . كان من الصعب عليها ان تتكلم عن اشياء بسيطة كل البساطة . كانت تعلم علم اليقين بان اولئك النسوة كلهن ينتظرن منها ان تفوه ولو بجملة او كلمة مما كن يفهن به .

— ليس الذنب ذنبي ان كنت لا احسن التحدث عن اي امر كان .— قالت بعد التريث الطويل . ثم اردفت قائلة :— لم اعتد الكلام في المجتمعات . يسرني كثيرا ان اصغي الى غيري وهو يتكلم ....

لم يصدقنها وقد جال في خاطرهن ما جال ، اشياء كثيرة . واعتقدن انها تهزا بهن او تترفع عن الحديث معهن . لا شك بانها بارعة التمثيل . ان عينيها الفاحمتين كانهما جذوتان متقدتان من حولهما اهداب طويلة سوداء كثة ، توحي الى المتفرس في وجهها ما توحي .

— من يدري يا ترى ماذا في تينك العينين الواسعتين من الخبث والاسرار ؟ — تساءلت احداهن ولم يكن ليشوب صوتها الحسد او شبه الحسد .

— عفوك سيدتي — قالت لها المراة الشابة بصوت هادىء ترتجف بعض نبراته . — عفوك ، ماذا تريدين ان يكون فيهما . اجل ان فيهما ما يدل على ملازمتي منزلي طيلة خمس عشرة سنة ، لم اكلم في اثنائها انسيا ما عدا زوجي .

ودهش النسوة لما سمعن وانتفضن عندما انتبهن الى باب الحجرة يفتح فجاة ويطل منه الطبيب نفسه بثوبه الابيض الناصع الطويل ، وهو لا يزال في شرخ الشباب . كان في حركاته بعض التراخي وفي صوته شبه ذلك ايضا . قال :— دور من الان ؟

انبرت له السمراء ذات الشفتين المتقلبتين على الطريقة الاميركية . وفتحت ذراعيها مقلدة بذلك ممثلات الافلام ، ثم التفت الى المراة الشابة

وقالت لها : ــ بعد خروجي من عند الطبيب اريد ان تقصي علي انا ايضا كل شيء . ــ واغلقت الباب وراءها بحركة تمثيلية ايضا ولم يعد يسمع غير الغرغرة بالماء يتخللها حفيف يدين تغسلان .

قالت المراة الام من بين تلك النسوة ، وكان طفلها يتقلب في حجرها ويداعب بيديه الصغيرتين صدرها :

ــ كيف صبرت طيلة هذه المدة على مثل ذلك الضيم ؟

ــ صدقيني يا سيدتي ، لقد مر كل ذلك في حياتي كأنه الومضة الخاطفة . خمس عشرة سنة . كان ذلك كان في الامس القريب . كل شيء سار في اثناء هذه الاعوام الطوال على وتيرة واحدة . لا اختلاف ثمة بين يوم وآخر وعمل وثان . وهكذا مرت السنون ولم احفل بها او لعلها هي لم تحفل بي ، او ربما هو زوجي الذي جعلها لا تحفل بي ولا احفل بها . لا ادري كيف كان ذلك . . .

قالت السيدة صاحبة كيس الزاد المنفوخ : ــ وبعد ذلك ماذا حدث ؟

فاجابتها المراة الشابة وهي تتنفس الصعداء : ــ لقد مات من شدة الغيرة علي .

قالت هذا واغمضت عينيها لتستعرض في مخيلتها بلحظة من الزمن حياة الامس التي انتهت بموت زوجها لم تنتبه الا على صرخة النصر التي انفجرت بها حناجر اولئك النسوة عند سماعهن تلك الجملة الاخيرة . كأنهن راين عدوا لهن لدودا يصرع امام اعينهن شر صرعة . انها صرخة البغضاء التي تنفجر فجاة في الصدور من جراء ظلم او حيف او ما شاكل ذلك يلحق بنا .

وفي الحال انقلب موقفهن الساخر جميعا ، الى عطف صادق عليها ، فاحببنها ورثين لحالها وتالمن لالمها . ولكن واحدة منهن ارادت ان تتفلسف على طريقتها اذ قالت :

ــ ما قتلت الغيرة قط احدا . انها هي التي تركته وفرت منه رغما عما يلوح في منظرها من الجبن والدعة .

وعادت النسوة الاخريات الى ثرثرتهن ، يرددن ما سمعنه الان من زميلتهن هذه المتفلسفة . يرددن ذلك كأنهن يقران في صحيفة يومية . او كان المعنية بالامر لم تكن جالسة بينهن . كن جميعا يتقن الى مغادرة هذا المكان بسرعة ليقصصن ما سمعن اليوم من طريف الحديث وغريب الاتفاق ، على الملأ والناس اجمعين .

ــ كلا يا سيدتي ثم كلا . انا لم اتركه ولم افر من وجهه يوما واحدا ، وما فكرت قط بذلك . كنت جاهلة لا اعرف شيئا عما يحيط بي . ما كنت لافهم الاشياء الكثيرة العادية، لاقصائي عنها . انما كنت اعرف امرا واحدا . اعرف انني كنت اخاف على الدوام. اخاف من كل شيء . وحتى صبيحة هذا اليوم كنت خائفة من الخروج وحدي . وما اعز عليكن ان تصدقنني ولو كنت من الصادقات .

وانفتح الباب مرة اخرى . واطل الطبيب كالمعتاد وعلى طريقته المعهودة نادى : ــ دور من ؟

لقد اتفق النسوة اتفاقا شاملا على ان يتنازلن عن دورهن للمراة الشابة الارملة .

انغلق الباب مرة اخرى . . .

وما عتم ان اقتحمته المراة صاحبة كيس الزاد المنتفخ ، وانتصبت في النصف المفتوح منه كأنها مارد من الجان ظهر فجاة . قال لها الطبيب وكأنه اضطرب لرؤيتها :

ــ ماذا تريدين ايتها المراة ؟

ــ لا توجعها ــ . قالت له بلهجة الآمر .

وردد هذه العبارة من بعدها جوقة النسوة :

ــ اجل لا توجعها . لا تقس عليها. على رسلك . لا توجعها . حسبها ما لاقت . خفف ما استطعت من المها .

لقد ملأ الدم فاه المراة الشابة الارملة، وانتفخت شفتاها . فتناولت كأس ماء لتشربه قدمه اليها اولئك النسوة بحنان الام . لقد راين دمها يلطخ زجاج الكأس ، فاسرعن خفافا ينشفن لها شفتيها بمناديلهن . ثم تسابقن يلتقطن بهذه المناديل دموعا حارة انحدرت من عينيها ، وجرت على خدها تسطر لها صفحة جديدة من الحياة لا يعلم غير الله ماذا فيها .

قال لها الطبيب وكأنه هو ايضا وقع تحت تأثير هذا الفيض من العواطف :

ــ هل اوجعتك يا بنيتي الجميلة . ما هذا الحنان الجم الذي تظهره لك هؤلاء الزميلات ؟

قامت المراة الشابة الارملة ، وكانت تشعر بفراغ عندما ادارت لاول مرة لسانها في فمها ، فوقع على مكان السن المنفصلة . وما اشبه هذا الفراغ الصغير المريح بالفراغ الكبير المريح ايضا الذي احدثه انفصال زوجها عنها ، بموته طبعا . لقد شعرت بان كل شيء فيها قد تغير . لقد فقدت شيئين منذ ليلة وضحاها كانا جزءا لا يتجزأ من كيانها . . .

ــ رافقيها انت الى منزلها . انها غير ملمة بمعرفة الطرق . وهي ايضا تخاف .

قالت النسوة ذلك للفتاة ذات الابتسامة الاميركية . . .

مشتا في الطريق . وقد مرتا امام حانوت يبيع ما لذ وطاب من الفاكهة والخضر .

ــ انها فاكهة جميلة طيبة ــ قالت المراة الارملة لرفيقتها السمراء . ثم اقتربت منها وطوقت لها خصرها بذراعيها وهمست لها في اذنها بصوت هادىء فيه بعض الطمانينة والراحة . فيه بعض الدعة والثقة بالذات . فيه بعض الحنان والتحنان . وقد ارتجفت نبراته ارتجافا رقيقا دل على كل ما كان يعتمل في نفسها من السرور والبهجة لعثورها على الحياة التي اضاعتها زمانا . . .

قالت وابتسامة الرضى تنير لها محياها : ــ عندما كنت طفلة في قريتي . . . آه ما احيلى تلك الايام . . .

مصطفى آل عيال

نورية

*

لوديع ديب

نورية" سكرت بها الطّرق والناي والمزمـار والبزقُ
رفافة الخطوات راعشة" كفراشة في الضوء تحتـــرق
في كفهـا للدف خشخشة مـا العقد ما الدملوج ما الحلق
نشأت على الاوتار هازجة في خيمـة للرّيـح تصطفق
نشأت على الاطيـاب نافخـة والبدر في علياه يأتلق
مـا همها جوع ولا ظمأ مـا همها جزع ولا ارق
سمراء مثل الظل ناعمـــة تدنو على امـــل وتنطلق
يا سحرهـا تشدو وصاحبهـا نشوان بالآهات يختنق

*

الحياة الكبرى

*

لاحمد محمود عرفه
من رابطة الادب الحديث

*

الاسكندرية

أنـا والبحر مهجتـــان تثوران فأين المراد من مهجتينـــا
أنا دنيا الخيال تسبـح في الغيب وقد أطلقت على الافق عينـا
أنا روح الطموح في الشعب ، في الانسان ، أستصرخ البعيد ، الينا
طالما سار كلنا في طريق ، والتقينا بعض الخطى . وانتهينـــا
كلنا في الضلال يخبط في الارض ، فأين اللقاء يا أهل أينـا
هـذه أرضنا ، وتلك مواشينـا ، وهذي الآلآت من ساعدينا
وشقاء يلفنـــا أبدي لم يزل في الزمان يقسو علينـــا
ما الذي أغلظ القلوب وأعمى أعين العالمين حتى اكتوينـــا
أهي الطيبة اللعينة يا شعب ومكر القوي يمشي الهوينـا
أهو تقديسك الرجال ولولا ثمرات زرعتهـا ما جنينـــا
أهو الجهل ، أنت أعماقك الحكمة ، أنت الضياء في شفتينا
أنت من نبعك الغزير ارتوينا ، فدرجنا نوابغـا ومشينـا
ذاك عصر الشعوب ، عصر المنى الخضراء ، قد مهدوا له فاستوينا
بدماء الآباء سرنا اليـه ، فحرام ضياع مـا في يدينـــا
يا أخي في الحقوق ، في الفكر ، في الموكب ، رد الحياة أطيب لونا
نحن منهـا فلم جنينا عليهـا ، وهي منا فلم ستجني علينـا



تنظيم النسل

للدكتور وليد قمحاوي – ٢٤٤ صفحة منشورات دار العلم للملايين بيروت

من الكتب الجديرة بالذكر والبحث هذا الكتاب الذي انتجته المطبعة العربية حديثا في بيروت للطبيب الاردني الدكتور وليد قمحاوي . ان عنوان الكتاب « تنظيم النسل » ، وقد اصدرته « دار العلم للملايين » منذ نحو شهرين او ثلاثة اشهر .

والكتاب دعوة ، بل هو صيحة عالية للدكتور قمحاوي ، تكاد قوتها تشبه رسالة داعية الى فكرة او حماسة انسان كرّس نفسه لهذه الدعوة ، او هو يريد ان يكرس نفسه لها.

والذي اعرفه ان هذا هو الكتاب الاول للدكتور قمحاوي ، ومع ذلك يجيء الكتاب واضحا في فكرته سلسا في اسلوبه نشيطا في عرضه موفقا في ايراده الى حد يحمل على الاعتقاد بان المؤلف فكر في موضوعه حق التفكير مدة طويلة من الزمن وحشد له من المراجع والمظان ما يؤيد فكرة الموضوع التي ذهب اليها ، تأييدا تكاد تسلم به وتميل الى حقائقه واستنباطاته .

ولا ريب انك تجد في الكتاب شيئا جديدا . تجد فيه حقائق عن اكتظاظ بقاع من الارض بسكانها الى درجة ان هذه البقاع لا تقوى على اعالة هؤلاء السكان مهما اوتوا من الجد والنشاط في العمل . وتجد فيه ارقاما حديثة تشير الى هذه الناحية في البلاد العربية وفي بلاد اخرى من العالم . وتستنبط اذا شئت مع المؤلف بان مشكلة كثرة السكان في الارض هي المسؤولة عن معظم الشرور التي تقوم اليوم فيه ، ان لم تكن مسؤولة عن هذه الشرور جميعا . وتستطيع ان تذهب مع الكاتب الى ان هذه هي مشكلة العالم الكبرى ، اذ تكاد تحس من الكتاب ان الملاحاة القائمة الان بين المذاهب السياسية او المذاهب الاقتصادية العالمية تتضاءل عند مشكلة سكان الارض او تنبع من مشكلة سكان هذه الارض . وملاحظة جديدة اخرى كبيرة في الكتاب هي ان الوضع الصحيح لسكان قطر من الاقطار في العالم هو عندما يرتفع المستوى المعاشي فتجد نسبة معقولة من زيادة السكان تتلاقى عند نسبة معتدلة من المواليد ادت اليها ثقافة رشيدة ، مع نسبة ضئيلة من الوفيات ادت اليها حالة طيبة بلغ اليها الشعب . والسويد عند الكاتب هي المثل الملائم لنظريته المبثوثة في تضاعيف الكتاب .

وبعد ان يدلل الدكتور قمحاوي على صحة نظريته (نظرية تنظيم النسل) في البلاد العربية وفي العالم كله يروح يتحدث عن اساليب تنظيم النسل ، فيذكر موانع الحمل ودعوة الناس الى هذه النظرية ليصل الى الوضع الذي يريده لبلاده وللعالم اجمع .

ويهدف المؤلف من ذلك جميعه الى خلق مجتمع انساني مثقف نظيف تستطيع موارد الارض ان توفر له مستوى عاليا لائقا بحياة « الانسان » .

ويؤكد الدكتور في كتابه الطريف هذا الهدف من امامه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن اعلاه ومن ادناه حتى ليقع في شيء من التكرار في المعاني والآراء . ولكنه تكرار مستساغ ، لانه وسيلة الى هدف نبيل . وهو بعد وسيلة قد يحتاج اليها القارىء من الشباب الذين لم يألفوا هذه الموضوعات والذين لم يتزودوا بقدر كاف من العلم البيولوجي والاحصائي والجغرافي يأذن لهم بالنفاذ الى الفكرة من المطالعة الاولى .

الى هنا يستطيع القارىء الكريم لكلمتي هذه ان يكتفي من التعرف الى هذا الكتاب الذي نرجو ان يكثر امثاله في الكتب العربية . فاذا اضفنا الى هذا الاشادة بالاسلوب الرشيق الذي يعرض به الدكتور مادته العلمية ، وتمكنه الملحوظ من لغة القرآن وقدرته على عرض موضوعه الجاف في اسلوب سريع جذاب حق لنا ان نكتفي بهذا القدر من التعريف .

ولكن للذي يريد ان يزن فكرة الكتاب كله في الظرف الراهن من تاريخ حضارتنا حقا آخر يجب ان نوفيه اياه في هذه الكلمة التي نرجو ان تميل الى الثناء على فكرة الكتاب اكثر من ان تميل الى اتجاه آخر . ولذلك اثبت هنا ان فكرة الكتاب من الناحية العملية لن تنبث في اذهان الناس الى القدر الذي يريده المؤلف ، لان التربة غير مهيأة لها ، ولان المؤلف يغفل عوامل هي الان اضخم بكثير من التيار الذي تولده دعوة طيبة تساق في قالب من الوعظ الجميل .

فلندع جانبا اولا الظن (ظن هذا الكاتب) بان سكان الارض الحاليين (٢٥٠٠ مليون نسمة) قد يجدون هم والزيادة التي تطرأ عليهم موارد كافية في ارضنا نفسها ، لو ان هذه الارض قد استثمرت كلها بطرق علمية حديثة ، وان المشكلة اذن هي ان تلتقط البشرية الراهنة انفاسها لتنصرف عن الحرب وعن الاستعمار والاستغلال والاثرة الى البناء الصحيح وتوفير جهد البشرية لرقيها وتقدمها ، ولتستطيع بعدئذ ان تنصرف الى البناء العلمي الصحيح

لسعادة البشر الذين يسكنون هذا الكوكب ،

ولندع جانبا الشك في جدوى الوسائل التي عمد اليها المؤلف في تحديد النسل من اتباع وسائل الاجهاض المحرض كما يدعوه ووسائل الدعوة الى تحديد النسل ، لو ان دول الارض وافقت على هذه الدعوة واتخذت سبيلها اليها طائعة راضية وساعية جادة ،

ولندع جانبا ايضا ارشاد المؤلف بان « اميركا ليست ملكا للاميركيين اكثر من ان البيت الابيض ملك خالص لايزنهاور » وان « كافة قوى الطبيعة وموارد طاقتها كلها يجب ان توزع بين البشر دونمـــا اعتبار او تقيد باللون والقومية والطبقة » ، وذلك من غير ان يبين الطريقة العملية لبلوغ ذلك .

لندع هذا كله جانبا ولنلفت نظر المؤلف الكريم الى ان الدعوة الغالية المعاكسة التي يراها ويسمعها في جميع ارجاء الارض لزيادة السكان غير صادرة عن دول لا تفهم المشكلة التي يعرضها الدكتور ، والتي يعرضها كتاب زملاء له ، ولكنها صادرة عن دول تؤمن بضرورة تصفية النزاع بين بعض الدول وبعض قبل ان تلتفت هذه الدول الى اية ناحية من نواحي تنظيم النسل او تحديده او تحسينه . ان هذا الصراع العالمي القائم والذي يبدو ان الدكتور يضع مشكلة تنظيم النسل فوقه لاعمق جذرا واشد الحاحا على الدول مـــن ان تتخلى عن وسيلة كبرى مـــن وسائله (وهي كثرة السكان) لترضي هذه النزعـــة الحق الى الصحة والجمال التي يهدف اليها المؤلف من كتابه . ولامر ما تجد دولا لا يمسها الصراع العالمي كثيرا كالسويد او سويسرا تستهدف اكثر من غيرها غايات المستوى الرفيع من المادة والثقافة لسكانها عن طريق تحديد النسل . وحتى هذه اضحت غير قادرة على تجاهل ما يدور حولها واصبح حيادها بين الدول المتخاصمة ضربا من المحال .

لذلك نظن ان المؤلف الكريم قد قلب الآية الحقيقية كل القلب حين قال « ان العامة تظن ان معضلة العلم والعلماء هي الطاقة الذرية ، لكنها في الحقيقة عدد البشر المتزايد بسرعة مرعبة (ص ١٣٥) ، اذ لن تصيخ الى هذه الدعوة اية امة على وجه الارض ما دامت الاوضاع الاقتصادية والاراء السياسية والاتجاهات العالميـــة العمليـــة بصورة حتميـــة الى العناية بالطاقة الذرية لتنظيم القتال لا لتنظيم حياة البشر .

ولو ان الكاتب حين اكد لنا رجحان مشكلة السكان جاء لنا بالطريق « العملية » كما اشرنا لتوجيه البشر الى حل هذه المشكلة وترجيحها على غيرها من المشاكل لهـان الامر ، ولكنه يقول عن « مشاكل الوطن العربي الناجمة عن طبيعة جائرة ، وبشر مستعمرين لبشر ، ونفوس ظالمة مظلمة » بانها « مشاكل ، بحساباتها ونتائجها ، لا تزول بين غمضة عين وانتباهتها ، ولا تزيلها الكلمات الجوفاء التي يتشدق بها المتشدقون ، وانما يزيلها بناء هرم جديد على طراز الهرم العالمي المتقدم بحشـــه . وهو هرم تأتلف في انشائه ثلاثة اضلاع وقاعدة مشتركة » . وهذا الهرم الذي يقيمه المؤلف انما هو في الواقع لتنظيم النسل ، وهو فرض لا اجراء ، اي هيكل لا عمل . واذا نحن قلنا للدكتور ان النظام الاجتماعي الراهن للبشر ، بما فيه من زيادة سنوية في عددهم ، انما هو انسياق مع المقتضيات الرديئة للحضارة التي ورثناها الى اليوم ، كان من حقنا عليه ان يدلنا عـلى السبب الذي من اجله سيترك البشر الان هذا التيار الجارف الماحق (وسيتركونه بعد زمن) لينعطفوا الى الطريق الذي يشير اليه قبـل ان يرووا ظماهم الى حماقات العصور السالفة ومظاهر وحشيتها .

عمـان — **محمد اديب العامري**

حرية وجمال

لجعفر حامد البشير — شعر — ١١٢ صفحة — مطبعة الصراحة بالخرطوم

خروج هذا الديوان الى حيز الوجود في ابانه . في وقت نحن احوج ما نكون الى مثل هذا الديوان الحي ليرفد عقول الجماهير المتعطشة في رحلتها الطويلة المحفوفة بالمخـــاطر والاشواك ، وليقوم بدورة « الايجابي » في اماطة اللثام عن كثير من الاضاليل والخدع المبثوثة هنا وهناك ضد الشعب السوداني المكافح .

ولقد قوبل هذا الديوان بما هو جدير به من الاوساط الادبية في السودان ، وتناوله كثير من النقاد الواعين ، بالنقد والتحليل ، والاخذ والرد على صفحات الجرائد ، ونحن نستطيع ان نقول بكل ثقة واطمئنان ان شاعرنا جعفر قد حدد موقفه تجاه الحياة ، والانسان ، والمجتمع فهو شاعر يستمد مقومات شعره من صميم المعركة ، من بوتقة الحياة التي انصهر فيها . وسوف تحس بعد الفراغ من قراءته انه اعطاك شيئا ، واضاف الى حسك ومشاعرك تجارب انسانية عميقة ، والقصيدة عند جعفر وحدة متكاملة الاجزاء ، تتلقى امدادات الحياة من قرارة وجدان خصيب ، عميق كالبئر ، انها كاللوحة الفنية ، فلن ترى تنافرا في اتساق الظلال ولن تلمح فوضى الالوان والاضواء كما نجد عند بعض شعراء الشباب ممن يصدمون شعورنا بتزييف الواقـــع دون تطويره . . استمع معي اليه يقول في هدوء ثائر :

ووعي كضوء الشمس مد شعاعه ... فكلل هامـــات الربى والاباطح
تغلغل في البيداء . وانســـاب في القرى ... واوغـــل في وجـــدان غـــاد ورائح
تأمل . . . ففي كل الجوانـح ثورة ... فماذا اذا بعد انفجـار الجوانح !

واستمع اليه مرة اخرى وهو يقول في صلابة المعاند الذي يدرك انه لا بد واصل يوما الى مدينة الغد الشجراء . وفي عرامة جهيرة يقول :

لا تحزنوا فلنـا الغد ... ولنا الزمـــان السرمد

العقل اصبح منذ هذا اليوم لا يتقيد
حرا يثور كما تريد له .. ولا يتردد
متمردا والحر حين تسومه يتمرد..
لا تحزنوا فلنا الغد ولنا الزمان السرمد

لن تلمح في ثنايا الديوان « انهزامية » الميتين الذين يخدرون قافلة التطور ، انه يبعث بالاناشيد تلو الاناشيد في موسيقية بناءة لا تحس فيها رخاوة اولئك الفارين من المعركة الى مناطق ما وراء الطبيعة !!

وشاعرنا يحس بالمسئولية الانسانية الملقاة على عاتقه كعضو فعال في كيان المجموعة، ويدرك جيدا ان له دورا مهما تجاه اخيه الانسان المعذب في مجاهل افريقيا ، واحراش نيروبى ، واستمع معي اليه مرة اخرى يقول في قصيدته « عيد الحرية » تلك القصيدة الممتازة ، ذات القافية المديدة التي تفرغ النفس فيها كل اعماقها ، والمضمون الايجابي الذي يهز بعنف وحرارة :

ولا عيد حتى يسعد القلب عيدها وترفع في العلياء غرا بنودها
ولا عيد عندي .. والحياة كريهة يسيل من الجرح العميق صديدها
الام ، وحتام الجهاد معطل ... ومعركة التحرير لسنا نرودها ..
وما زالت الستون عاما كانها عقود من الاذلال والشعب جيدها
اضيق بها خزيا اذا ما ذكرتها كاني وحدي في الانام طريدها

.. ثم احيلك ايها القاريء الى الديوان .. الى تلك النبضات الانسانية الحارة ، الى جومو كنياتا وضحايا الحرب وغير ذلك .

ومما لا شك فيه ان الزمن الذي كان يعيش فيه الفنان منفصلا عن تيار الحياة مغلقا سمعه على نواح اعماقه فحسب ، وعيناه منجذبتان الى ازرقاق اللانهاية قد مضى الى غير رجعة ، وان قيمة الفنان اليوم لا تقاس بمقدار الاشادة بفرديته « المطلقة » والدوران حول نفسه يناجيها مناجاة « نرجسية » ذليلة بل بمقدار ما في طبيعته من مرونةوتكيف مع الظروف المحيطة بهواندماجه في «النحن» او في « الانا الجماعي » . ويجب على الفنان ان يسأل نفسه بعد الفراغ من آنات الخلق والابداع ... ماذا سيضيف بوليده الجديد هذا الى رصيد الانسانية الثقافي ؟

الا ان هناك شيئا يجب ان نقوله ونرجو ان يتسع صدر الصديق لنا . انني لا احب رتابة الاطار الخارجي لبعض قصائده ذات الطابع الكلاسيكي واخص قصيدته يوم فلسطين بالذات بالرغم من قيمة الموضوع في حد ذاته وحساسيته كمشكلة تاريخية يمر بها المجتمع العربي فان هذا الاطار غالبا ما يعيق الدفقات الشعورية من ان تنسكب في مجراها الطبيعي في موسيقى عفوية ، انطلاقية ، ومن ثم فنحن في بعض الاحايين نصطدم بشبه توقف « فجائي » ازاء بيت يحفل بالرنين الخارجي اكثر من اي شيء آخر ونشعر ببطىء في الحركة تماما كالعرق المخدر لا يكاد نحس بنبضاته الا بين الفينة والفينة . ولكننا على العكس من ذلك نجد شعره الجديد ينطلق دون توقف او هبوط في درجة الحرارة كالينبوع المتدفق ومما لا شك فيه ان هذه الملاحظات لا تغض من قيمة الديوان ككل... ومما لا شك فيه انه قام بدور كبير تجاه الانسانية والمجتمع الانساني .. سد فراغا ملموسا في المكتبة العربية في الوقت الذي ما زالت غربان الرومانسية التشاؤمية المنسحبة من الميدان تنعق في زوايا الاطلال .

القاهرة **محي الدين فارس**

الجحيم الثائر

لنديم محمد – مجموعة شعرية

بعد الحرب العالمية الثانية ، توجهت ركائب الشعراء . نحو الواقعية ، ودلفت الى ساحة العمل والنضال، ودخلت الى حياة الشعب ، تستوحي منه الفكرة ، وتستمد منه القوة ، وتأخذ منه الالوان ، لتقدم له قطعا ونماذج من الشعر الوجداني الصادق ، والرسوم الانسانية الرائعة ، التي ترددها حناجر الشباب وتنشدها افواه العاملين ، وتسير على ضوئها قوافل الصاعدين نحو قمة المجد ، ودنيا السعادة ، وعالم الوجدان !!

والاستاذ الشاعر نديم محمد احس بهذه الحقيقة يوم ان صدر [آلامه] فوجد ان الناس الذين انشدهم اشعاره الحزينة الصاخبة – في الشفاه ، والنحور ، والكاس والتهاويم ، والدموع ، لم يقبلوا على هذا النوع من الشعر حتى ولو كان صاحبه صادق العواطف ، يعيش في واقعه المؤلم . بل ارادوا من الشاعر ان يكون لهم قوة ، وعتادا ، وارادة وثورة .

قوة من الحياة النابضة بالفتوة والشباب ، وارادة من العمل والكفاح وثورة على السخف والميوعة .

وهكذا عاد الشاعر الى نفسه الحساسة يفتفر خطاياه ، ويكفر عن ماضيه ، ويعتذر لاخطائه . عاد ، وفي صفحات نفسه الشاعرة الكبيرة ، صور من الحقيقة ، ونماذج من الوجدان الحي . ارتفعت في بواطنها نيران الجحيم المحرقة ، تكفر بالاصنام البشرية ، وتحطم قيود العبودية ، وتستهزأ بالتماثيل المزركشة المنصوبة للذلة والخنوع . وتدعو الى ازالة الالفاظ المخدرة ، الفارغة من جوهر الصدق ، وروح الكرامة .

تصرخ باولئك السادرين في احلامهم ان النوم على ماضي الامجاد البالية خداع . وان التخدير باسماء الجدود الكبار وهم .

ويكفي لنا في دنيا واقعنا العربي اليوم ان ننظر الى اخطائنا ، ونماشي ركب الحضارات الغربية ، العاملة بصمت ، وتجارب ، وحقيقة باعمالها .

اما الادعاء الكاذب ، والالقاب الضخام ، والمظاهر المزيفة، فما هي الا بقايا عظام بالية ، تصلح ان تظل في رفوف

المتاحف، وفي زوايا خزائن الموميا !!

وهكذا قام الشاعر نديم محمد باخراج مجموعتـــه الشعرية الجديدة [الجحيم الثائر] لكي يبين لاخوانه ولمحبيه، ان ماضي الزمن لن يعود، وان اوهام الامس لا ترجع. اذ اردنا ان نكون امة لها كرامتها، وعزها، وتقدمها.

وهذه قطعة جديدة من هذا الديوان الذي سياخـذ نصيبه من التعليق والنقد، والمكانة التي يستحقها واترك الراي للتعليق عليها الى القاريء :

فتح تقول ؟ متى واين ؟ وعزة كانت ومجد
من قبل، هذا، كل ما نزهو به ونتيه بعد
من قبل كان لنا سيوف للفتوح وكان جنـد
واليوم لا غار فنضفره ولا عيـد فننشدو
يا منكر الاذواق تأكل علقمـا وتصيح شهد
يبني ابي، واقول قصري شامخ في الارض فرد
واقول هذا الافق لي وحدي، ومالي فيه ند
انا ؟ لا امد الى النجوم سوى جناحي لا امد
لا. لا. اردها وان هدرت وان زارت معـد

جامعة برشلونة — كلية الاداب **محسن جمال الدين**

وكالات الانباء البرقية

منشورات اليونسكو — باللغة الفرنسية

٢٣٢ صفحة — مطابع جورج لانج بفرنســا

يتوق المرء بطبعه الى المعرفة والوقوف في كل لحظة على كل ما يجري في العالم من احداث، فهو يتطلع الى انباء بلده والبلاد الاخرى، وهو يتشوق الى معرفة كل جديد على وجه الارض، سواء كان ذلك هزة ارضية او مسابقة رياضية او انقلابا سياسيا او كشفا علميا. تلك هي الحوافز التي دعت الى انشاء وكالات الانباء البرقية العالمية، فهي التي تستطيع وحدها ان تروي هذا الظما الى المعرفة بتوزيع الانباء اليومية على الصحف ودور الاذاعة، وهي التي تقدم لنا صورة متجددة لهذا العالم الــذي نعيش فيه.

وقد رات منظمة اليونسكو، وهي التي تدرك الدور الجوهري الذي تلعبه هذه الوكالات البرقية، ان تكرس لها مؤلفا خاصا يعتبر اول دراسة مفصلة من نوعها في هـذا الميدان. وقد صدر هذا المؤلف حديثا بعنوان :

Les Agences Télégraphiques d'Information

ويقول مؤلف هذا الكتاب انه قد اصبح من اليسير علينا اليوم، بفضل تقدم الوسائل الحديثة، ان نتسابق في نقل الانباء الى اي جهة من جهات العالم. على انه لا يكفي ان نرسل طائفة غزيرة من الانباء في اسرع وقت ممكن، بل يجب ان نتسابق في ارسال انباء دقيقة الى اكبر عدد ممكن من الناس.

ان الكثير من شعوب العالم لا يقفون على الانباء بطريق مباشرة، وتشير دراسة اليونسكو الى ان مناطق في العالم تعادل ثلثيه تفتقر الى وكالات اهلية للانباء. وتقع معظم هذه المناطق في امريكا الوسطى والجنوبية وفي افريقيـا والشرق الاوسط، فنرى الراي العام في كل منها يعتمد على مراسلي الوكالات الاجنبية. بل لقد نجد مناطق لا تقف على انبائها المحلية الا عن طريق تلك الوكالات الاجنبية.

وتطورت الامور اخيرا، ففي عام ١٩٠٠ لم يكن هناك الا خمسة عشر بلدا تتمتع بوكالات انباء محلية، بينما اصبح اليوم عدد هذه البلدان اربعة وخمسين بلدا وعدد وكالات الانباء المحلية ستا وسبعين وكالة.

على ان الوكالات العالمية الكبرى هي التي تسيطر على سوق الانباء، فهي وحدها تستطيع أن تنبىء الصحف ودور الاذاعة بكل حدث يجري في العالم. ويقتضي هذا النوع من العمل مئات من المراسلين، وشبكة ضخمة من سبل الاتصال، وتنظيما معقدا كل التعقيد، وباختصار — موارد هائلة.

وفي العالم ست وكالات من هــذا الضرب، ويفرد كتاب اليونسكو فصلا لكل منها. وتوجد ثلاث من هذه الوكالات في الولايات المتحدة، وهي الاسوشيتد برس واليونيتد برس ووكالة الانباء الدولية. واما الوكالات الثلاث الاخرى فهي فرانس برس ووكالة تاس السوفياتية ووكالة رويتر في بريطانيا العظمى.

وتقوم هذه الوكالات الست بتوزيع الانباء حول العالم اما بطريق مباشرة او عن طريق الوكالات الاهلية، وتوزع الوكالات الامريكية الثلاث وحدها الانباء على مجموعة مـن البلدان تبلغ نسبة سكانها ٦٥٪ من مجموع سكان العالم، وتخدم وكالة رويتر منطقة تعادل ٥٥٪ من هذا المجموع، كما تقوم وكالة الانباء الفرنسية بخدمة ٥٤٪ منه، بينما توزع الوكالة السوفيتية انباءهــا على ٣٩٪ من مجموع السكان.

لقد اطلقنا على هذه الوكالات الكبيرة صفة العالمية لا الدولية. ويشير مؤلف اليونسكو الى انها وكالات اهليـة في صميمها مهما حاولت ان تقدم خدماتها لمعظم البلدان، فهي تحتفظ خلال تاريخهـــا الطويل وعلى الرغم من مسئولياتها المتزايدة بنفس الطابع الاهلي والنظرة الاهلية.

والان نتساءل : وكيف يتاح اذن للعالم ان يحظـى بوكالة انباء عالمية دولية بالمعنى الصحيح بحيث تزودنا بانباء لا تتسم بطابع اهلي على الاطلاق ؟ اما مؤلف اليونسكـو فيتضمن في خاتمته اقتراحا بانشاء وكالة تعاونية عالمية تشرف عليها جميع دور الصحف والاذاعة في العالم، بحيث يكون مديروها ومراسلوها ومحرروها وحدة دولية. وتشير هذه الخاتمة الى ان تحقيق مثل هذا الاقتراح يمهد ولا شك لسبيل جديد نحو التفاهم العالمي.

بالتعليم والعلوم والثقـافة .

كما اوضحت هذه الدراسة المقارنة ان الصحف عديدة الصفحات تخصص معظم اركانها للاعلانات ومن هذه الصحف خمس كرست للاعلانات اكثر من ٥٠ ٪ من حيز صفحاتها . وقد فسرت تلك الصحف الانباء الداخلية باسلوب شخصي بحت ، بينما اتفقت الى حد بعيد في نشر الاخبار الخارجية ، ذلك انها في الحالة الاولى تعتمد على مندوبيها ، بينما تستقي انباء الخارج من الوكالات الصحفية العالمية .

واما الصحف التي تناولها كتيب اليونسكو فهي : Borba في بلغراد The Times of India في بومباي ودلهي ، La Nacion في بوينس ايرس ، والمصري في القاهرة ، والحرية في استانبول، Rand Daily Mail في جوهانسبرج ، Daily Express في لندن ، و La Prensa في مدينة مكسيكو ، و Il Nuovo Corriere Della في ميلان ، و Pravda في موسكو ، و Daily News في لندن ، و Le Parisien Libéré في باريس ، Rude Pravo في براغ Estado de Sao Paolo في ساوباولو ، و Ta Kung Pao في شنغهاي ، و Dagens Nyheter في ستوكهولم ، و Daily Telegraphe في سيدني .

وتعتبر هذه الدراسة المقارنة عن اهتمام الصحافة المتزايد بنشر انباء العالم في اكمل واحسن صورة .

القيم الانسانية للعلم

مجلة اليونسكو «للعلم والمجتمع» Impact باللغة الفرنسية — الجزء الثالث المجلد الرابع

تتركز الآن قوى الابداع في الكون في عقول المفكرين الذين يكرسون قدراتهم المادية والعقلية لخدمة التقدم العلمي ، واصبح نفع كل اكتشاف علمي يعود على الجنس البشري باكمله . ذلك ما انتهى اليه الأستاذ بيير اوجر مدير ادارة العلوم الطبيعية في اليونسكو في مقال بعنوان (بعض آراء في القيم الانسانية للعلم) في عدد الخريف من مجلة « العلم والمجتمع Impact » التي تصدرها المنظمة اربع مرات في السنة .

ويقول الاستاذ اوجر ، المدير السابق للتعليم العالي في فرنسا واستاذ الطبيعة في جامعة السوربون : « ان لمشكلة القيم الانسانية للعلم وجهين ، هما قيمة المعرفة وقيمة الوسائل الفنية ، ويعلق اصحاب النظرية المثالية اهمية كبرى على الاولى بينما تهتم بالثانية مدرسة البراجماتزم . والحق ان الوجهين يؤلفان وحدة تمثل العلم ككل ، ويرسمان الدور الذي يلعبه العلم في تطور الانسانية العام . ان هناك وحدة حقيقية تؤلف بين الاتجاهات العلمية وتجعل المشتغلين بها — سواء اكانوا مدرسين او هواة او مبتكرين — يشعرون بانهم جميعا اعضاء واخوة يتخطون الاختلافات الاجتماعية والقومية .» ويقول الاستاذ اوجر : « اننا جميعا نواجه علما مطردا ضخما . ثم يقول : ان العلم يعيش على دراسة دائمة لجميع المشاكل مقاوما بذلك كل الصور المذهبية التي قد تتسلط عليه فتصيبه بالشلل .

ان احدث معادلة للعلم تميز عصرنا القائم تتسم بعودة فكرة الفردية . « فالفرد الذي كادت تذهب به صيغ القوانين الاحصائية ، يعود مرة ثانية ليلعب دورا جوهريا سواء في شكل الذرة او الكروموزوم او الكائن الحي » .

هذا، ويتضمن عدد الخريف من مجلة «العلم والمجتمع Impact» مقالة اخرى بقلم الدكتور شارل سانييه عن (البحث العلمي في الجريمة) ، وهو يشير فيها الى القيمة الاجتماعية لتطبيق المناهج العلمية في كشف الجريمة . كما يضم العدد مقالة بقلم الاستاذ جاك برجير ، عضو اكاديمية العلوم في نيويورك ، عن (الاتجاهات الجديدة في اجتماعية الاختراع) .



- **اعلام القصة الغربية — الجزء الاول — لهنري ودانا توماس — ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة — ١٧٦ صفحة — منشورات دار الرواد — مطبعة الايام بدمشق .**
- **هذا .. او الطوفان — لخالد محمد خالد « من العلماء » — الطبعة الثالثة — في كلمة التوجيه يقول المؤلف : « بدون شجاعة لا توجد حقيقة » وبدون حقيقة لا توجد فضيلة » — ٢٠٨ صفحة — منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة — مطبعة مخيمر بمصر .**
- **شاعر الهوى والشباب « الاخطل الصغير » — لنعمات احمد فؤاد ماجستير في الآداب — ٨٤ صفحة — منشورات مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد — مطبعة دار الهنا بمصر .**
- **دبان بيان فو — لصلاح دهني من رابطة الكتاب السوريين — ١١٦ صفحة — منشورات دار اليقظة العربية للتاليف والترجمة والنشر بسورية — المطبعة الجديدة بدمشق .**
- **نحو مستقبل سعيد — لنسيب نمر وحسن فخر — مشاهدات في رومانيا ومهرجان الشبيبة — ٢٢٤ صفحة — منشورات دار القلم ببيروت — مطابع الاستقلال بيروت .**
- **في زورق الحياة — شعر — لمحمد يوسف حمود — ١٥٢ صفحة — مطابع دار الكشاف بيروت .**
- **مجلة مجمع اللغة العربية — الجزء السابع — ٤٢٦ صفحة — حجم كبير — منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة — مطبعة وزارة المعارف العمومية بمصر .**
- **سنوات حاسمة — لايليا اهرنبورغ — ٦٤ صفحة — منشورات**

دار القلم ببيروت ـ مطبعة عز الدين ببيروت

● بنت القائد ـ لالكسندر بوشكين ـ ترجمة خليل الخوري ـ ١٥٦ صفحة ـ منشورات دار القلم بيروت ـ مطابع الاستقلال بيروت .

● الام ابيسكوبو ـ لجبرائيل دانتزيو ترجمة محمد كامل صالح ـ منشورات دار الرواد للتأليف والترجمة والنشر بدمشق .

● العذراء القديسة ـ موسوعة مريمية جامعة بمناسبة السنة اليوبيلية المريمية ـ ٢٦٠ صفحة ـ منشورات الرسالة المخلصية بصيدا ـ مطبعة دير المخلص بصيدا لبنان

● ربيع الخريف ـ لسعيد تقي الدين ـ ١٤٠ صفحة ـ مع الرسوم ـ منشورات دار الشرق الجديد ببيروت ـ مطابع دار الكشاف بيروت

● عائلة زالوموق ، ابطال مكسيم جوركي في قصة الام ـ ترجمة انطون حمصي وعبد الرزاق جعفر من رابطة الكتاب السوريين ـ ٢٥٥ صفحة ـ منشورات دار القلم ببيروت ـ مطابع الاستقلال بيروت

● من الازمة الاقتصادية الى الحرب العالمية الثانية ـ لهنري كلود ـ ترجمة الدكتور بدر الدين السباعي ـ ٣٠٤ صفحة ـ منشورات دار القلم بيروت ـ مطابع الحرية بيروت

● علم النفس التربوي ـ الجزء الثاني ـ تأليف ارثر جيتس وارثر جيرسلد وت، ماكونل وروبرت تشالمان ـ ترجمة ابراهيم حافظ ومحمد عبد الحميد ابو العزم والسيد محمد عثمان ـ تقديم واشراف الدكتور عبد العزيز القوصي ـ ٣٦٧ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر ـ مكتبة النهضة المصرية بمصر

● شاعران معاصران ابراهيم طوقان وابو القاسم الشابي ـ للدكتور عمر فروخ عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ـ ٢٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات للكتبة العلمية ومطبعتها ببيروت ـ مطبعة دار الكتب بيروت

● نحن في دروب لشمس ـ لالكسندر تشاكوفسكي ـ ٢٣٦ صفحة ـ منشورات دار المعجم العربي ببيروت ـ مطابع الاتحاد بيروت

● فن التعليم ـ تاليف جلبرت هايت ـ ترجمة محمد فريد ابو حديد ـ ٣١٥ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر ـ مكتبة الانجلو المصرية بمصر ـ مطبعة مصر

● غضب الجماهير ـ رواية ـ لميشيل سمعان ـ ١٧٠ صفحة ـ منشورات دار القلم بيروت ـ مطابع الاستقلال بيروت .

● من ليالي نيرون ـ شعر ـ قصة غنائية اجتماعية ـ لمحمد النقدي ـ ٦٢ صفحة ـ مطبعة دار المعرفة ببغداد .

● كيف تتكامل الشخصية ـ تاليف هيلين شاكتر ـ ترجمة احمد زكي محمد مدير عام الاختبار والتمرين بديوان الموظفين وداود حلمي السيد مدرس اول اللغة الانجليزية بالنقراشي النموذجية ـ تقديم الدكتور عبد العزيز القوصي عميد معهد التربية العالي للمعلمين بجامعة عين شمس ـ ٢٢٤ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ مكتبة النهضة المصرية بمصر .

● ازهار الشر لشارل بودلير ـ ترجمة الدكتور ابراهيم ناجي ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات رابطة الادب الحديث بالقاهرة ـ المطبعة المنيرية بالازهر بمصر .

● طريق الحرية ـ لهوارد فاست ـ ٤٨٠ صفحة ـ منشورات دار القلم ببيروت ـ مطبعة الاتحاد بيروت .

● والفولاذ سقيناه ـ لاوستروفسكي ـ ٢٨٠ صفحة منشورات دار القلم بيروت ـ مطابع الاستقلال بيروت .

● اربع مسرحيات من الادب الامريكي ـ تاليف يوجين اونيل وثورنتون وايلدر وسيدني هوارد وجورج كوفمان و.موس هارت ـ ترجمة سامي ناشد عبد السيد وصفية ربيع وعبد السلام شحاتة وبدر الديب ـ مع مقدمة لتوفيق الحكيم ـ ٤١٠ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● الدراسة المثلى لنوع الانسان ـ تاليف ستيوارت تشيز ـ ترجمة محمود ابراهيم الدسوقي ـ ٣٩٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

● حولية الثقافة العربية « السنة الرابعة » ـ تأليف ساطع الحصري « ابو خلدون » ـ ٥٦٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة.

● الفنون الاسلامية ـ تأليف م.س. ديماند ـ ترجمة احمد محمد عيسى ـ مراجعة وتقديم الدكتور احمد فكري ـ ٣٥٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مع اضافة ٨٠ صفحة رسوم لوحات وزخارف وآنية ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ دار المعارف بمصر .

● حادث فوق العادة ـ قصص ـ لمكسيم غوركي ـ ترجمة عبد المعين الملوحي من رابطة الكتاب السوريين ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات دار القلم بيروت مطابع الاستقلال بيروت .

● المفتش العام ـ تاليف نيقولاي غوغول ـ ترجمة صلاح دهني من رابطة الكتاب السوريين ـ ١٨١ صفحة ـ منشورات دار القلم بيروت ـ مطبعة النجاح بيروت .

● اذا اردت ان تعيش ـ لايليا اهرنبورغ ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات دار القلم بيروت ـ مطبعة عز الدين بيروت .

● دراسات في الادب الامريكي ـ الشعر ، القصة الطويلة ، الدراما ، القصة القصيرة ، الادب غير القصصي ، الاجتماع ، الفلسفة ، الصحافة ، النقد ـ باقلام الدكتور محمد عوض محمد ، الدكتورة سهير القلماوي ، الدكتور لويس عوض ، انيس منصور ، الدكتور احمد زكي ابو شادي ، احمد قاسم جودة ـ باشراف وتقديم الدكتور طه حسين ـ ٢٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ مكتبة النهضة المصرية بمصر ـ مطبعة مصر .

● جدد وقدماء ـ دراسات ، نقد ، مناقشات ـ لمارون عبود ـ ٣٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الثقافة ببيروت .

● تحت اعواد المشنقة ـ للكاتب التشيكي يوليوس فوتشيك ـ ١٤٢ صفحة ـ منشورات دار القلم ببيروت ـ المطبعة التجارية بيروت .

● شرح قانون العقوبات ـ القسم الخاص : الجرائم المخلة بالاخلاق ولاداب العامة ـ للدكتور عدنان الخطيب ـ ٣٨٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة الشام ـ مطبعة المفيد بدمشق .

● الشقيقان اغناتوف ـ لبيترو اغناتوف ـ ترجمة وصفي البني ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات دار القلم ببيروت ـ مطابع الاستقلال بيروت .

● قصص شامية ـ بقلم السيدة الفة عمر الادلبي ـ قدم لها محمود تيمور ـ ١٤٧ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار اليقظة العربية للتاليف والترجمة والنشر بسوريا .

منشورات دار المعجم العربي بيروت ـ المطبعة التجارية بيروت .

منشورات دار المعجم العربي بيروت ـ المطبعة التجارية بيروت

● ارضهم كسبوها ـ لسياوتسيين ـ ترجمة ميشيل سمعان ـ ١٧٩ صفحة ـ دار المعجم العربي بيروت ـ مطابع الاتحاد بيروت .

● زهر الربى ـ شعر ميخائيل خليل الله ويردي مؤلف فلسفة الموسيقى الشرقية وبدائع العروض ـ ٣٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ المطبعة الهاشمية بدمشق

● الاسلحة والاطفال ـ شعر ـ لبدر شاكر السياب ـ ٣٠ صفحة ـ مطبعة الرابطة بغداد .



١٦ نوفمبر ١٩٥٤ – اعلن السيرانطوني ايدن وزير خارجية بريطانية رفضه للاقتراح السوفياتي الداعي الى عقد مؤتمر مشترك في باريس او موسكو خلال الشهر الحالي لبحث موضوع انشاء حلف للامن الاوروبي .

– صدر بلاغ لمجلس الثورة في مصر جاء فيه ان اللواء محمد نجيب كان مستعدا للسير حتى النهاية في قضية اغتيال البكباشي جمال عبد الناصر واعضاء مجلس الثورة .

١٨ – قرر مجلس قيادة الثورة في مصر تخويل مجلس الوزراء سلطات رئيس الجمهورية . وتخويل رئيس الوزراء ممارسة سلطات رياسة الجمهورية نيابة عن المجلس .

– يواصل المسيو منديس فرانس رئيس الحكومة الفرنسية محادثاته مع المسؤولين الامريكيين في وشنطن بصدد قضية الهند الصينية ومشاكل اوروبا .

١٩ – وافقت حكومة المانيا الاتحادية على تصديق اتفاقات باريس لادخال المانيا ضمن حلف شمال الاطلنطي وعلى اتفاق السار الذي تعارضه الجماعات في المانيا .

٢٠ – وصل الملك فيصل الثاني ملك العراق الى بيروت في زيارة رسمية للبنان .

٢١ – صرح الرفيق مولوتوف وزيرخارجية الاتحاد السوفياتي بان التصديق على اتفاقات لندن وباريس بشان تسليح المانيا وربطها بحلف الاطلسي سيزيد حالة التوتر في الموقف الدولي وينذر بحرب جديدة .

٢٢ – توفي في واشنطن الرفيق اندريه فيشنسكي المندوب الدائم للاتحاد السوفياتي في هيئة الامم المتحدةعلى اثر نوبة قلبية. وقد اعلن رئيس الامم المتحدة تعليق الجلسة حدادا على الفقيد الكبير .

٢٣ – كلف الرفيق جاكوب ماليك سفير الاتحاد السوفياتي في لندن ان يراس وفدبلاده الى الامم المتحدة .

٢٥ – ذكرت الصحف التركية ان اليونان رفضت الانضمام الى حلف البلقان بالرغم من الحاح تركيا ويوغوسلافيا .

٢٦ – هاجمت قوات الصين الشعبيةجزيرة قريبة من فرموزا تسيطر عليها الصين الوطنية.

٢٨ – اعلن في موسكو ان المؤتمر الذي دعا الاتحاد السوفياتي الدول اليه للنظر في شؤون اوروبا ونزع السلاح سيعقد في موسكو في موعده .

٣٠ – ابحر الماريشال تيتو رئيس جمهورية يوغوسلافية متوجها الى الهند وبورما في زيارة رسمية .

اول ديسمبر ١٩٥٤ – اعلن الملك فيصل الثاني مجددا عند افتتاحه لدورة مجلس الامة العراقي طلب العراق انهاء معاهدة سنة ١٩٣٠ المعقودة مع بريطانيا .

٢ – حثت الحكومة البريطانية حكومة الصين الشعبيةعلى تفادي اتخاذ اي عمل طائش ضد الجزر التي تسيطر عليها الصين الوطنية.

– انجزت الولايات المتحدة والصين الوطنية المفاوضات لعقد ميثاق للامن المتبادل وجاء في بيان مشترك ان المعاهدة بين البلدين ستسير على النمط العام لمواثيق الامن الاخرى التي عقدتها امريكا في المحيط الباسفيكي الغربي .

– وقعت ايران والاتحاد السوفياتي اتفاقا لتسوية النزاع بين البلدين على الحدود والديون المالية .

– اختتم مؤتمر الامن الاوروبي الذي عقد في موسكو اعماله بالموافقة على بيان دعيت بموجبه الدول الشيوعية الثماني الممثلة في المؤتمر الى ضم قواتها المسلحة في قيادة مشتركة اذا ما صادق الغرب على اتفاقات باريس لاعادة تسليح المانيا الغربية .

٤ – اصدرت محكمة الشعب المصرية قرارها في قضايا زعماء جماعة الاخوان المسلمين فقضت بالاعدام على سبعة بينهم المرشد العام الاستاذ حسن الهضيبي ومحمود عبد اللطيف السمكري الذي حاول اغتيال البكباشي جمال عبد الناصر .

– غادر طهران شاه ايران في زيارة خاصة للولايات المتحدة الامريكية .

– خفف مجلس الثورة بمصر الحكم الصادر باعدام الشيخ حسن الهضيبي الى الاشغال الشاقة المؤبدة .

٥ – تم التصديق على اتفاق الجلاء عن قناة السويس في لندن ويتم الان تبادل وثائق الموافقة بين بريطانيا ومصر .

٧ – نفذ حكم الاعدام شنقا في ستة من اعضاء جماعة الاخوان المسلمين

– استقال شغيرو يوشيدا رئيس الوزارة اليابانية

٩ – انتخب المجلس النيابي الياباني ايشير هاتوياما زعيم الحزب الديموقراطي الذيتالف حديثا ليؤلف الوزارة الجديدة .

١٠ – اصدرت الحكومتان الفرنسية والتونسية انذارا مشتركا بانه سيتم افناء جميع الثوار الذين لم يستسلموا بانتهاء اجل عرض العفو الفرنسي التونسي المشترك .

١٢ – اعلن الامين العام للامم المتحدة انه قد يقوم بزيارة الصين الشعبية للقيام بمحادثات بصدد الطيارين الامريكيين المعتقلين بتهمة التجسس والتي طلبت امريكا اثارة قضيتهم في الجمعية العمومية .

١٤ – جرت في اثينا مظاهرات دامية تأييدا لضم جزيرة قبرص الى اليونان

– قدم اعضاء الحكومة اليونانية استقالتهم الى الماريشال باباغوس رئيس الوزارة .

١٥ – وجه شاه ايران بوشنطن نداء الى الدول الغربية ناشدها فيه مد يد المعونة الى ايران التي تستهل الان عهدا جديدا من الاستقرار .

– صرح الجنرال ايزنهاور رئيس الولايات المتحدة بان الحالة الدولية الراهنة قد تستمر خمسين سنة

١٦ – انذر الاتحاد السوفياتي فرنسا بانه سيلغي المعاهدة الفرنسية السوفياتية التي عقدت بينهما سنة ١٩٤٤ اذا ابرمت اتفاقيات باريس المتعلقة باعادة تسليح المانيا

١٧ – اقرت الجمعية العامة للامم المتحدة عدم مواصلة البحث في طلب اليونان تطبيق حق تقرير المصير لسكان قبرص

١٨ – وافق مجلس حلف شمال الاطلسي على ان الخطر السوفياتي على الغرب لم يتضاءل خلال السنة الماضية .

٢٠ – انذر الاتحاد السوفياتي بريطانيا بانه سيلغي معاهدة التحالف المعقودة بين الدولتين اذا ابرمت اتفاقيات باريس

٢١ – اصدر السيد اسماعيل الازهري رئيس وزراء السودان بيانا تحدث فيه عن مؤامرة دبرها ثلاثة من اعضاء وزارته مع بعض من حزب الامة السوداني لاسقاط الحكومة

٢٢ – صرح السيد وليد صلاح وزير خارجية الاردن بان اللجنة السياسية للجامعة العربية اوصت الدول الاعضاء بقبول المساعدات العسكرية من الدول الكبرى على اساس ان لا تكون مشروطة بالدخول في اي حلف .

– وصلت الشحنة الاولى من المساعدات العسكرية الامريكية الى العراق

٢٣ – اصدر الماريشال تيتو رئيس الجمهورية اليوغوسلافية والباندين نهرو رئيس الوزراء بيانا مشتركا في نيودلهي استبعدا فيه فكرة تشكيل كتلة عالمية ثالثة من الدول المستقلة عن الكتلتين الغربية والشرقية .

مطبعة العمال اللبنانيين – الحازميه
تلفون ٣١٦٧٤